مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

أَنْماطُ المُشْتَقَّاتِ الصَّرْفِيَّةِ فِى شِعْرِ أَبِى الطَّيِّب المُتَنَبِّى بَيْنَ انْفِتاحِ الدِّلَالَةِ وَقُيُودِ التَّدَاوُلِيَّةِ

(بَحْثٌ تَطْبِيقِىٌّ فِى نَماذِجَ مُخْتَارَةٍ مِنْ اسْمِ الْفَاعِلِ)

د. حمدي علي بدوي أحمد

مدرس علم اللغة بقسم اللغة العربية

كلية الألسن – جامعة الأقصر

DOI: 10.21608/qarts.2024.255958.1836

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٤) يوليو ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

أَنْمَاطُ الْمُشْتَقَّاتِ الصَّرْفِيَّةِ فِى شِعْرِ أَبِى الطَّيِّب الْمُتَنَبِّى بَيْنَ انْفِتَاحِ الدِّلَالَةِ وَقُيُودِ التَّدَاوُلِيَّةِ (بَحْثٌ تَطْبِيقِىٌّ فِى نَمَاذِجَ مُخْتَارَةٍ مِنْ اسْمِ الْفَاعِلِ)

الملخص:

يُعيد هذا البحثُ التطبيقى قراءةَ شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى (ت٣٥٤هـ) فى ضوء أبعاد النظرية التداولية ومرتكزاتها الخمسة؛ مستشهدًا–فى هذه القراءة–بتحليل الدلالات المضمَّنة فى بعض النماذج المُختارة من المشتقات الصرفية، من فئة اسم الفاعل، وفق المحددات التداولية، وقواعدها المتعددة؛ لرصد ما تُوحى به هذه القوالب الصرفية من دلالات متنوعة ونوعية؛ فى سياق الاستعمال؛ بوصفها عنصرًا من عناصر الدلالة الكلية للفعل الكلامى، بين انفتاح الدلالة وقيود التداولية؛ وقد كَشَفَتْ هذه القراءة عن وجود انتهاكات تداولية، فى شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى، لاسيما فى إساءته–فى مواضع عديدة– توظيف قالب اسم الفاعل؛ من صيغ الفعل الثلاثى المجرَّد ومن غيره، فى عملية التواصل، تلك الانتهاكات هى التى قلَّلت من درجة التداولية وكفاءتها، وأسهمت فى انخفاض درجة الكفاءة الإعلامية فى عملية التواصل الفعَّال بين المؤلف والمتلقى.

الكلمات المفتاحية: المُتَنَبِّى، اسم الفاعل، انفتاح الدلالة، قيود التداولية.

البنــــاء الهيــكلى للبــحث

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتى فيما يلى:

أولًا: الإطار العام للبحث: أشار فيه الباحث إلى: موضوع البحث، وأسباب اختياره ودوافعه، ومشكلته والإحساس بها، وأهدافه وأهميته، وفرضياته، ومادته، وحدوده، وتساؤلاته، ومحتواه، والمنهج المتبع، وبعض الدراسات السابقة، ذات الصلة بفكرة البحث.

ثانيًا: الفصل الأول: وقد تضمَّن الجانب النظرى للبحث؛ واشتمل على مقدمة ومباحث ستة، وذلك على النحو الآتى:

المقدمة، التى جاءت بعنوان: الفعل الكلامى شريكٌ فى عملية التواصل، فى إشارة منه إلى ضوابط عملية التواصل بين مستخدمى الفعل الكلامى.

المباحث، وهى كما يلى:

- المبحث الأول:الدلالة المعجمية والاصطلاحية للمشتقات.
- المبحث الثانى:الدلالة الصرفية للمشتقات.
- المبحث الثالث: الانفتاح الدلالى وقيود التداولية.
- المبحث الرابع: أبعاد النظرية التداولية فى التراث اللغوى العربى(محاولة للتأصيل).
- المبحث الخامس: بين علمىْ الدلالة والتداولية.
- المبحث السادس: القيمة التداولية لاسم الفاعل.

ثالثًا: الفصل الثانى : ويشكِّل الجانبَ التطبيقىَّ للبحث، ويشتمل على مبحثين، هما:

المبحث الأول : جاء بعنوان : ما يختص بأنماط اسم الفاعل من الفعل المجرد الثلاثي، ويتضمن ثلاثة مطالب، هي:

المطلب الأول : اسم الفاعل المقترن بــ(ال):

الممطلب الثانى : اسم الفاعل المعرف بالإضافة:

المطلب الثالث : اسم الفاعل النكرة المنون:

المبحث الثانى: وقد جاء بعنوان: ما يختص بأنماط اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي، واشتمل على مطالب ثلاثة، هي:

المطلب الأول : اسم الفاعل المقترن بــ(ال).

المطلب الثانى : اسم الفاعل المعرف بالإضافة.

المطلب الثالث : اسم الفاعل النكرة المنون.

رابعًا: خاتمــة: وفيها: أهم النتائج، والتوصيات، ثم ثبت بالمصادر والمراجع. ويُمكن تناول هذه العناصر بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

أولًا: (الإطار العام للبحـــث):ويتضمن النقاط التالية:

موضوع البحث[١]:

تقوم فكرة هذا البحث على العلاقة التبادلية بين القوالب اللغوية ونمط المتلقى، واعتماد التفسيرات على العلاقة بين المؤلف والمتلقى، مع عدم إغفال دور سياق القراءة فى تحديد الدلالة، والكشف عن القصد. وينطلق هذا البحث صوْبَ نصٍّ من نصوص الإبداع الشعرى العربى، من شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى[٢]، ويختص بحدٍّ موضوعى، وهودراسة: أنماط المُشتقات الصرفية فى شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى بين انفتاح[٣] الدلالة وقيود التداولية.(بحث تطبيقى فى نماذج مختارة من اسم الفاعل). ويقوم على إبراز ما

---

(١) يجدر بالباحث أن يُشير إلى أن هذه القراءة، هى قراءة نوعية، وهى فى جوهرها محاولة اجتهادية؛ لا تحجر- بحال- على غيرها من القراءات، بحسب نمطية القارئ، وسياقات القراءة، فلكل قارئ قراءة، لها محدداتها، وما يبررها، ولكل قراءة قارئ؛ حيث يؤمن البحث بأنه لا توجد قراءة أخيرة للنص الإبداعى، ولكل سياق دلالته، ومحدداته.

(٢) ذكر الشيخ يوسف البديعى أن المتنبى هو: أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجُعْفى الكوفى، الملقب بأبى الطَّيِّب، وكان والده الحسين يُعرف بِعِبدان السقَّا، بكسر العين؛ وذكر أنه كان شاعرًا عظيمًا مشهورًا مذكورًا محظوظًا من الملوك والكبراء، كان ينزل إلى جوارٍ بالكوفة، وهو صبى، وكان محبًّا للعلم والأدب، وقد أكثر من ملازمة الوراقين. انظر: الصبح المُنبى عن حيثية المتنبى، للشيخ يوسف البديعى، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد شتا وعبده زيادة عبده، ط٣، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب(٣٦)، القاهرة، ١٩٩٤م:٢٠

(٣) رغب الباحث فى التعبير بمصطلح الانفتاح بديلًا لمصطلح الإبداع، إيمانًا منه بأن الإبداع قد يشمل المضامين الذاتية البعيدة عن العرف أو يقترب من الدلالات غير المحتملة، حيث إن الموضوعية تقتضى تفسير النص الشعرى وتحليله فى إطار سياقه الاجتماعى والثقافى، حتى لا نُسقط على ذهن المتلقى قراءات ليست فى محل توقعه، بالإضافة إلى أن الإبداع قد ينتهك معيار الذوق والجمال، حين تغلب عليه الدوافع الشخصية، أما مصطلح الانفتاح فيُشار به إلى الامتدادات الدلالية المحتملة وغير المحتملة؛ بيد أنها منضبطة بمعيارى المواضعة والذوق؛ من أجل ذلك مال الباحث إلى استخدام مصطلح الانفتاح.

فى شعره من انتهاك لقواعد التداولية Pragmatics Rolrs، بوصفها مرتكزات([٤]) تواصلية، تضبط استعمال المؤلف والمتلقى للفعل الكلامى([٥])، وتُلزم المؤلف- بصور أخص- ضرورة مراعتها- والمتلقى- إذا رغبا فى إنجاز عملية التواصل بنجاح، واتفقا على ذلك.

ومن الجدير ذكره أن فكرة البحث ليس بدعًا، فقد سبق الإشارة إليها عند بعض من تناولوا الشعر عامة، وشعر المتنبى خاصة، بالنقد والتحليل، حتى أن البحث يرتكزعلى ما أشار إليه عديد من النُّقَّاد-خاصة الصاحب بن عبَّاد(ت٣٨٥هـ) وغيره- بأن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى قد أخلَّ- فى مواضع كثيرة- بالصواب المعيارى، فيما يخصُّ القواعد النحوية والصحة الصرفية، وبالأصول اللغوية أحيانًا، أوفاته مراعاة الذوق وسياق الاستعمال أحيانًا أخرى، أو بمجيء الغريب والحوشى والمبتذل، وغير المستعمل فى شعره أحيانًا ثالثة؛ بما يقوِّى الافتراض أو الادِّعاء المسبق بأن خطابه الشعرى-فى قوالب([٦]) اسم الفاعل- لم يكن خطابًا تداوليًّا، فى صورته الكليَّة.

([٤]) يُقصد بذلك : المرتكزات التداولية الآتية:١- الاستلزام الحوارى، ٢- الأفعال الكلامية، ٣- الافتراض المسبق، ٤- الإشاريات، ٥- الحجاج.

([٥]) يشمل ذلك: ما قبل الفعل الكلامى، وما يجاوزه، ابتداءً من الفعل المنجز إلى الفعل التأثيرى السلوكى، فى ضوء الأفكار التواصلية للتداولية.

([٦]) آثر الباحث استخدام مصطلح القوالب، حيث يُشير إلى التشكيل الفونولوجى للبنية، الذى يدلُّ على الأصل المعجمى لها؛ وفقًا لفئتها الصرفية، وما تتكون منه من مقاطع، وما يتصل ببنيتها من ظواهر صوتية، نحو: التنغيم والنبر، مع ما تُشير إليه من دلالة، بحسب تضامها مع غيرها، وما تحمله من معانٍ فى ضوء موقعيتها النحوية، ووظيفتها التداولية، بالإضافة إلى وصْف هذا القالب بكونه لبنة صغرى فى لبنات الدلالة الكلية للعناصر اللغوية التركيبية، التى تترابط بعلاقات، الإسناد أوالمشابهة، أوالتبعية، كما أنه لا تخلو هذه الصيغة الصرفية من دلالة على الزمن. انظر: البنيات الإيقاعية فى فواصل السور المكية، أثرها الصوتى، ودورها الفنى، د: أحمد عبد الله أحمد نصير، حولية كلية الآداب، جامعة بنى سويف، المجلد١٣، ج:٢، ٢٠٢٤م:٦٠٧، وانظر: نظرية القوالب من نظريات علم اللغة

وقد نبَّه إلى هذا الافتراض كثير من النقاد، الذين أقاموا نقدهم لشعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى([٧]) فى ضوء الاستعمال والتفسير، والمنهج الموضوعى، فى سبْق منهم لأبعاد الطرح التداولى ومرتكزاته، فيرى الصاحب بن عبَّاد أن من واجبات المؤلف أن" يدرى كيف يجب وضعُ شعره، وكيف يبتدأ النسج، لأن حق الشاعر أن يتأمَّل الغرض الذى قصده، والمعنى الذى اعتمده، وينظر فى أىِّ الأوزان يكون أحسن استمرارًا، ومع أىِّ القوافى يحصل العمل اطِّرادًا؛ فيركب مركبًا لا يخشى انقطاعه، ويتيقَّن الثبات عليه، وأن يجعل كلامه أقربَ إلى القلب، وأوقعَ فى النفس".([٨])

الحديث، د: حازم على كمال الدين، (د.ط)، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت): ٥-٧، وانظر: التغيير الدلالى لزمن الفعل فى الصيغ الخبرية البسيطة، دراسة تطبيقية فى النصوص السردية الحديثة، د: حمدى على عبد اللطيف، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد:٤٦، يناير: (٢٠١٨م) الجزء الأول: ١٦١

([٧]) لن يُفرد الباحث حديثًا للتعريف بالمتنبى، فهو الشاعر الفريد فى كل ما يتصل به، وهو الأشهر من بين الشعراء قاطبة؛ لم يبلغ غيره ذياع صيته، على مرِّ العصور وتتابع الأزمنة؛ لذا حرى بالباحث أن يُشير إلى أنه لا يقصد- مطلقًا- القدح فى المنجز الشعرى لأبى الطَّيِّب المتنبى، ولا التقليل – بحال- من إبداعه وتفرده، فهو الشاعر من دون غيره، وهو نادرة الفلك، وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر؛ كما أطلق عليه العلوى(ت ٧٢٨هـ)، إذ كان يُلقبه بالشاعر، ويسمى غيره باسمه، فالباحث يؤمن بأنه لا قيد على الإبداع، ونصوص الشعراء والأدباء نصوص إبداعية، يضبطها القول بأن الشعراء ملوك الكلام، لهم تصرفات يختصون بها من دون غيرهم من سائر الناس، وكذلك قول الفرزدق لابن أبى إسحاق؛ وقد سأله عن رفع كلمة : (مُجَلَّفُ)، قائلًا له: علامَ رفعتَ؟. فقال: على ما يسوؤك وينوؤك؛ علينا أن نقول، وعليكم أن تتأوَّلوا. وحُكى عن المعرى أنه يقول عن المتنبى: ليس فى شعره لفظه يكون غيرها أحسن منها، بيد أن هذا القول لا وجه له على إطلاقه؛ انظر فى هذا الشأن: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوى، تحقيق: جماعة من العلماء، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، ج٣ : ٦٠

([٨]) انظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبى : ٣٨

أسباب اختيار الموضوع ودوافعه: من ذلك ما يلى:

(الأسباب):

- قلة المصادر التى تعرضت للتداولية التطبيقية فى المكتبة اللغوية العربية.
- استدْعاءُ مفردات التراث اللغوى العربى ومحاولة توظيف معطياتها فى مقابلة الطروح اللسانية الوافدة، خاصة، النظرية التداولية بحدودها وقواعدها.
- _افتتانُ كثير من اللغويين بالمنهج التداولى، وادِّعاؤهم بأنه من الطروح الوافدة؛ لما فيه من جدة، ولما يقدمه من طرحٍ لطرائق نوعية فى عمليات الرصد والتحليل. والاستعمال والتفسير، أحيانًا التعليل.
- _محاولةُ نقل مصطلح التداولية من التأطير النظرى إلى التطبيق على نصّ عربى رصين، يقع ضمن الأساليب الرفيعة فى الاستعمال اللغوى، بهدف اكتناه الدلالات النوعية أوالكلية للوحدات اللغوية المستقلة، لاسيما القوالب الصرفية لاسم الفاعل، من الثلاثى وغيره.

(الدوافع):

- يُراود الباحثَ هاجسُ أن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى لم يقدِّم–لضاغط نفسى من ذاته المنفعلة(الأنا الشاعرة) لمتلقيه نمطًا تداوليًّا ناجحًا بالمعيار التداولى؛ وعلى المعنى المتَّسع لمفهوم إجادة المؤلف فى عرض مقصده، بما يُعين المتلقى فى الكشف عن الدلالات السطحية أوالمضمَّنة فى قالب اسم الفاعل، بصفة خاصة.
- كوْنُ اسم الفاعل من أهم الصيغ الصرفية الاسمية الأكثر استعمالًا فى عملية التواصل بين المؤلف والمتلقى، لما يتميَّز به من قوة فى اللفظ والدلالة.

- قدرة قالب اسم الفاعل على تحقيق الضغط الدلالى، لما يحمله من دلالة على الحدث وفاعله.
- وقوعُ قالب اسم الفاعل فى شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى بصورة تلفت النظر إلى إدراكه لقوة القيمة الدلالية له، فأصرَّ على توظيفه فى منجزه الشعرى بصورة مقصودة وطاغية.
- الافتراضُ بأن–استعمال أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى لقالب اسم الفاعل– قد شكَّل– فى مواضع كثيرة– عبأً على الاستعمال اللغوى، وقيْدًا لتفسيره فى عمليات القراءة والتحليل.

مشكلة البحث:

يالنظر إلى هيكلية النظرية التداولية، الفكرية والتطبيقية، وبإمعان النظر فى أبعادها، يُمكن القول بأنها تشكِّل عبئا(٩)–نسبيًّا– على المنجز اللغوى للاستعمال، المعيارى أو العرفى؛ لاسيما حين ترتبط هذه الوحدات الكلامية(القوالب الصرفية والتراكيب اللغوية)بمحددات توضيح القصد، وأغراض النفس، وأن بها بعض التداخل فيما يخص المفاهيم والمصطلحات ووجود بعض فجوات التطبيق، فيما يخص العلاقة

(٩) ليس من قصد الباحث– بحال– التقليل من تجليات المنجز التداولى، وشموليته فى تيسير فهم النص التبليغى، ومحاولة تفسيره تفسيرًا يقترب من اكتناه القصد المركزى للمؤلف، إنما يُحاول إعادة قراءة– أو إعادة النظر– لأبعادها فى ضوء أنماط التلقى، وسياقات القراءة، وفى ضوء العلاقة المتداخلة بين موت المؤلف أو موت النص، بما لا يصطدم مع معيارية اللغة، ولا يتنافى مع روحها ؛ ويقرُّ الباحث بأنه لا يُؤمن بموت المؤلف، إذ المعنى مرهون بإنتاجه هى، وليس القارئ؛ ولا بموت النص، إذ تخضع تجليات القراءة لسياق القراءة وانفعالات المتلقى، حيث إن انفعالات المتلقى هى التى تدفعه إلى الإقرار بحكم ما، أو تغييره، وكذلك نمط التلقى والفكر الجمعى المحيط، وما يفعله هو قراءة نوعية للشكل فى إطار السياق، وهى اجتماعية التأويل، من دون حَجْر على ما يغايرها من قراءات تختلف معها أو تتفق.

بين القصد واحتمالية التفسير؛ التى يحتاج تراثنا اللغوى– برافديه النظرى والتطبيقى– إلى الاستدعاء والعرض على قواعدها، بغية توظيفه، لاستكشاف ما به قدرات تنظيرية وتطبيقية.

يستشعر الباحث أن المنهج التداولى ينظر إلى قالب اسم الفاعل بوصفه قالبًا صرفيًّا مراوغًا، من حيث دلالته السطحية(الهامشية) أو المركزية(العميقة)؛ فيراه صالحًا أحيانًا لأن يكون مفتاح الدلالة، الذى يُسهم فى كشف المعنى وتجليته؛ فتتصاعد درجة التداولية، ويتحقق التواصل بين المؤلف والمتلقى، أو قد يكون مُسْتغْلَق الدلالة، إذ ما نلبث أن نراه يتسبب فى انخفاض درجة التداولية بينهما، يتمثل ذلك الانخفاض فى قصدية المؤلف تعميةَ القصد، والإيغال فى الاحتياط لكشفه، ومن ثَمَّ تُعاق عملية التواصل؛ إذ أُنتهكت إحدى قواعد التداولية، وأخصها وضوح دلالة الفعل الكلامى، بين شركاء التواصل.

وعند انتقال المتعرض للمنهج التداولى إلى جانب التطبيق على النصوص اللغوية، فإنه يلزمه بعض الاحتياط فى تطبيق أبعاده؛ على نص إبداعى من صنيع شاعر متفرّدِ، ويمثِّل أيقونة لغوية، بين جنس الشعراء، يصاحب هذا الاحتياط استشعار الباحث وجود بعض الفجوات النظرية فى المنهج التداولى، التى تتمثل فى كثرة التفريعات فى الفعل الكلامى، وأعسر ما فى الأمر حديثها عن الفعل الانعكاسى، الذى يُلزم المؤلف بإعادة الفعل الكلامى، بفعل كلامى آخر، يشكل صورة أخرى من صور القصد، تقترب أو تبتعد عن القصد الأول، ويزيد هذا الأمر تلك الرواية التى تؤيد قيام المُتَنَبِّى بتعديل بعض قوالبه الشعرية أو استبدالها بنفسه، والتعليق على بعض نماذجه، أواستبدالها أحيانًا، أوالإقرار بمجافاتها مقام الاستعمال، أوموقعيتها، وتقديمه شرحًا لديوانه بنفسه، قدَّم فيه تعليقًا على منتجه الشعرى. وكذلك التشدد الصارم فى الحكم

على الرواية اللغوية، ومغالاتها فى مكونات البعد الذاتى والثقافى والمجتمعى والتفسيرى لنمط المتلقى.

يدَّعى الباحث أنه: يعدُّ المنهج التداولى- فى إطلاق تطبيقه على النصوص- منهجًا غير مؤتمن على كثير من النصوص المقدسة والثابتة، فعلى الرغم مما به من ميزات تواصلية عديدة، جعلت كثيرين يُفتنون بقواعده؛ فإنه يُمسك باليد الأخرى عصى عدم الملاءمة، والادِّعاء بوجود فجوات تواصلية، والاتهام بانتهاك مرتكزاته، وتحقق المراوغة الدلالية بين الدلالات الاجتماعية، ودلالة السياق التداولى، مما قد يفتح باب الاختلاط والالتباس، والتعصب للرأى، وتغليبه على الإجماع، فكأنه سلاحٌ ذو نصلين.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على أبعاد المنهج الوصفى، بوصفه منهجًا جامعًا لسائر المناهج البحثية، التى تندرج تحت لوائه، لما له من قدرة على الرصد، والتسجيل، والتحليل، والمقارنة.

التساؤلات البحثية: السؤال الرئيس، وهو:

- هل نجح أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى فى تحقيق عملية تواصلية منضبطة وناجحة مع متلقيه على اختلاف نمطه، وتعدديته الثقافية، وعلى اختلاف سياقات القراءة والتفسير، باستخدام قالب اسم الفاعل بوصفه القالب الصرفى الذى يُؤَدِّى دورًا جوهريًّا فى صياغة البنية الدلالية السطحية والعميقة وتفسير الدلالة فى ضوء التزام المؤلف بالمرتكزات التداولية؟

بعض الأسئلة الفرعية:

- هل أحسن أبو الطيب المتنبى استخدام قالب اسم الفاعل فى التعبير عن القصد بصورة كافية؟
- ما مدى قدرة البنية الصرفية لاسم الفاعل فى توضيح الدلالة الجزئية أو الكلية للمعنى؟
- هل أحسن المُتَنَبِّى توظيف الدلالة الصرفية لاسم الفاعل توظيفًا تداوليًّا فى عرض القصد المركزى وتفسيره؟
- كيف كان استخدام قالب اسم الفاعل سببًا لانتهاك المُتَنَبِّى لبعض القواعد التداولية، وفقًا لنمط التلقى، وسياقات التفسير؟
- هل جاء توظيف قالب اسم الفاعل سببًا فى إضعاف عملية التواصل، وانخفاض درجة التداولية؟
- هل يصلح المنهج التداولى للتطبيق على النصوص الإبداعية المختلفة، وتحليل الفعل الكلامى بكل مستوياته وأنماطه؟
- هل من الواجب النظر إلى المنهج التداولى بوصفه منهجًا مكتمل الأبعاد، ويصلح للتطبيق على النصوص كافة، من دون ضوابط؟

فرضيات البحث :

يستند البحث إلى أن الفكر العربى؛ قديمه وحديثه؛ قد قدَّم منجزًا تطبيقيًّا رصينًا ومشابهًا-بل متطابقًا على الأصل- للطرح التداولى المعاصر- مع تباين فى المفاهيم والمصطلحات- حين أقرَّ أصحاب هذا الفكر بضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وحين تناولوا أنماط المتلقين، وأحوالهم، وحصروهم فى أنماط أربعة، بين خلو

الذهن، والتردُّد فى الخبر، أو إنكاره، ومن ثم العقلية ذات النمط الجاحد لمضمون الخبر، وألزموا مؤلف الكلام بضرورة مراعاة هذا الأمر، وحددوا- لكلٍ- نمطًا تخاطبيًّا تداوليًّا، وإلَّا فقدت عملية التواصل أبعادها، فيُصاب المتلقى بالملل، وكذلك أوصوا المتكلم بأن يُراعى حال متلقيه، وأن يسوق حديثًا مناسبًا له، بالإضافة إلى تحديدهم لامتلاك المؤلف العديد من الملكات والقدرات التى تجعل حديثه معبرًا وناجحًا، موصوفًا بالصدق؛ وإلَّا كذَّبه المتلقى، وانصرف عنه.

يفترض الباحث أن استخدام أبى الطيب المتنبى لقالب اسم الفاعل كان نفسيًّا، معبِّرًا عن انفعال ذاته، أكثر من كونه محاولة منه لإقناع المتلقى، من أجل ذلك لم يُراع أفق انتظاره أحيانًا، وألبس عليه الدلالة وأصابه بالحيرة، فى أحيان ثانية، وكدَّ ذهنه بالتكثيف الدلالى فى السياق التعبيرى الواحد، فى أحيان ثالثة.

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى ما يلى:

- عقد موازنة بين انتقاءات أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى لقالب اسم الفاعل والأطر النظرية والتطبيقية لقواعد التداولية فى استعمالها لهذه القوالب من اسم الفاعل، بغية استدعائها، واستنطاقها، وإعادة قراءتها، فى ضوء قواعد التداولية، بين اتساع الدلالة، وقيود التداولية([١٠]).

([١٠]) تشكل التداولية – فى هذا البحث- منهجًا علميًّا، له أبعاده ومرتكزاته؛ ولعل أشدها ارتباطًا بمفردات البحث، هى التداولية الأسلوبية. التى تتخذ من القالب اللغوى أساس فى إنشاء الأصلوب، بوصف هذا القالب هو مركز الفعل الكلامى على امتداده؛ بدءًا من الفعل التأثيرى على منتج القصد ذاته، وصولًا إلى الفعل السلوكى، من جانب المؤلف أو المتلقى، مع التأكيد كون السياق المحيط ضربًا من أضرب الفعل الكلامى، الذى يُشارك فى تحديد الدلالة، ويندرج تحت لواء هذا الصنف من التداولية الفعل الانعكاسى، بوصفه ردة الفعل التفسيرية من لدن المؤلف تجاه فعله الكلامى؛ حين يُلجئه سياق التواصل إلى الجنوح إلى المراوغات الدلالية، أو الخداع التفسيرى.

- تقديم إضاءات حول مجافاة أبى الطيب المُتَنَبِّى لضوابط عملية التواصل بين المؤلف والمتلقى.
- الإشارة إلى أن الطرح التداولى كان مستوعَبًا فى التفكير النقدى لدى القدماء، يؤيد هذا ما فعله الصاحب بن عباد، فى الكشف عن مساوئ المُتَنَبِّى، والشيخ يوسف البديعى فى كتابه: الصبح المنبى عن حيثية المُتَنَبِّى، وغيرهما.
- إبراز بعض الانتهاكات التداولية فى شعر المُتَنَبِّى، خاصة ما يتعلق باسم الفاعل.

أهمية البحث:

- يُسلط الضوء على أن تطبيق القواعد التداولية تكشف بعض صور الانتهاكات فى شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى؛ فيما يخصُّ استعمال قالب اسم الفاعل من الثلاثى وغيره.
- يؤكِّد العلاقة بين الجانبين الصرفى والتداولى.
- يُبرز بعض أوجه الصرامة وفجوات التحليل والتفسير فى المنهج التداولى.
- يُنبِّه- ضمنيًّا- إلى وجود قصور وفجوات تطبيقية فى المنهج التداولى، وإلى خطورة المغالاة فى تطبيقه على النصوص اللغوية.

الدراسات السابقة:

حظى أبو الطيّب المُتَنَبِّى بعدد كثير من الدراسات والبحوث، التى تمحورت حول تتبع حياته، ودراسة شعره، وأدبه، وشاعريته، وتحليل الجوانب الفنية فى شعره؛ مع التركيز على الأبعاد التاريخية فى هذا الشأن، بيد أن الباحث سيذكر أقرب الدراسات ذات الصلة بموضوع بحثه، وهى كما يلى:

الدراسة الأولى : ظاهرة الاستبدال فى الصيغ الصرفية، دراسة دلالية تداولية، د: فوزية عبد الله على خريشا. نسخة pdf، الصفحات من: ١٢٥– ١٥٨. تناولت الدراسة ظاهرة استبدال صيغة صرفية بدلًا من أخرى، وتوظيفها داخل النص، بوصف ذلك التصرف تعويضًا لعنصر مكان عنصر لغوى آخر، على مستوى الاستبدال الفعلى، والمصدرى، والاشتقاقى.

الدراسة الثانية: الاستعارة بين الدلالة والتداولية، دراسة لسانية فى الحديث النبوى، غصاب منصور الصقر، دار نشر جامعة قطر، كلية الآداب والعلوم، مجلة أنساق، المجلد(٣)، العدد (١،٢)، ٢٠١٨– ٢٠١٩م، نسخة pdf.

جاءت هذه الدراسة فى الصفحات من: ٨٨ – ١٠٥، سعى فيها الباحث إلى دراسة الاستعارة دلاليًّا، وتداوليًّا؛ وأشار إلى أنه قد توصل إلى إبراز دور الاستعارة فى الحديث النبوى الدينى والنفسى، وأن الاستعارة أسهمت فى إحداث انفعال شعورى وعاطفى فى نفس المتلقى، وأنها قد تجاوزت الرؤية التركيبية إلى الرؤية التداولية إلى أن أصبحت نشاطًا لغويًّا، يستلزم حضور المتلقى إلى سياق التواصل.

ليس من شك فى أن هذه الدراسة– وسابقتها– تتباين رؤيتهما عن البحث الحالى، فى الهدف والجانب التطبيقى، حيث يروم هذا البحث أن يُثبت أن المبادئ التداولية قد تعدُّ قيدًا أمام انفتاح الدلالة؛ هذا من ناحية، ومن جهة أخرى يُحاول أن يُثبت أن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى قد انتهك بعض مبادئ التداولية، ومن ثم لم ينجح–بصورة كلية– فى تحقيق تواصل تداولى منضبط وناجح بين المؤلف والمتلقى، ويظل هذا الأمر مرتبطًا بمفردات هذا البحث.

حدود البحث : تأتى حدود هذا البحث على النحو الآتى:

- الحد الزمانى أو التاريخى: الدولة العباسية فى عصرها الثانى، منتصف المائة الرابعة منه.
- الحد المكانى : الكوفة.
- الحد الشخصى : شاعر العربية الأهم، والأشهر، أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى، المتوفى عام ٣٥٤هـ.
- الحد الموضوعى: بعض أنماط المشتقات الصرفية، خاصة اسم الفاعل.

مادة البحث: سيركز الباحث–فى مادة بحثه–على نماذج مُختارة من الوحدات اللغوية من جنس اسم الفاعل الواردة فى شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى.

وقبل الشروع فى التعرض لمفردات هذا البحث وعناصره، تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث يُحاول رصد العلاقة بين الانتخاب(الانتقاء أو العدول) أو الاستبدال Substitution الصرفى وتداولية التلقى، من حيث النمط، وسياق التواصل أوالتداول– وما يرتبط بذلك من استعمال وتفسير للقوالب والتراكيب، فى ضوء الأعراف الثقافية والدلالية، والمعانى الوضعية(١١)– بالعلاقة بين الضابط المعيارى والاستعمال؛ وكأن للتداولية المرتكزة على الفعل الكلامى المستعمل على المعايير النحوية والقواعد الأصولية حقَّ الطاعة، فى علاقة لا يصحُّ–بحال–وصفها بالتنافر، بل بالتكامل أو التداخل فى إنجاح عملية التواصل، وإنجاز عملية استلزام حوارى منضبط؛ وفى ضوء هذا؛ يكون من المترجَّح القول :إن دلالات الأقوال الشعرية–من خلال اسم الفاعل– فى شعر المُتَنَبِّى جاءت مشوبة بالخلل والاضطراب. ويلزم الباحث–بعد هذا الإطار العام–

---

(١١) انظر : الطراز ، ج١: ١٩

أن يعرض بعض الأطر النظرية لمفردات البحث بصورة تفصيلية، والتى تكون على النحو الآتى:

ثانيًا: الفصل الأول : الجانب النظرى، ويضم النقاط التالية:

المقدمـــــة: بعنوان: الفعل الكلامى شريك فى عملية التواصل:

لعلَّ أفضل ما تُوصف به اللغة؛ أنها مجموعة من المكونات المتداخلة والمتكاملة من العناصر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والإشارية، والدلالات العرفية، والرمزية، والسياقية Context/Syntagm([١٢]) التى يستعملها مستخدموها، فى حياتهم الاجتماعية؛ بغية التعبير عن المقاصد، والتفاعل، وتحقيق التواصل الناجح، متواضعين على افتراض مسبق بأن أنماطه المتعددة؛ تُعَدُّ أهم الروافد التى تسهم–مع العناصر اللغوية–فى تحديد الدلالة وضبطها أو تخصيصها؛ أو قد تتسبب فى انفتاحها، أواختلاطها، أوتعميمها؛ انطلاقًا من كون اللغة وليدة الحاجة إلى التواصل والتفاهم؛ بين أبناء المجتمع الواحد؛ يروغون إلى استعمالها؛ فى ضوءِ الممارسات أو الأفعال الكلامية التأثيرية، أو المضمرة، أوالمنجزة والمستعملة، تلفظًّا أو سلوكًا.

---

(١٢) تحسُن– فى هذا الموضع– الإشارة إلى أن لغة الدوافع النفسية، والسياقات المجتمعية، هى التى تدفع مستعمل القوالب والتراكيب أو مفسرها إلى أن يطمئن إلى انتقاء بنية ما للاستعمال، وأن يعمد إلى تأويل، من دون غيره، ورغم أن هذا التأويل يتحكم فيه عديد من الأشياء، منها: النوازع الذاتية، والقناعات الفكرية والمعرفية، والخبرات السابقة والعلاقات النفعية المشتركة بين المؤلف والمتلقى، أو أطراف الخطاب؛ حاضرين كانوا أم افتراضيين، وصورة الفعل الكلامى، وماهيته، وسياقه، تفعيلًا للقول بأن التفاوت فى السياقات المحيطة يتبعه تفاوتٌ فى الشكل والتركيب والتلقى والتحليل والتفسير، والسلوك، وكذلك الاعتقادات الشعبية، والقناعات المذهبية التى قد تذهب بالتفسير أو التحليل بعيدًا عن القصد المراد، وتجعل هذا التأويل بين المحمود والمذموم، بالإضافة إلى الحالة النفسية، أو مقدار التقبل النفسى بين المؤلف والمتلقى.

وليس فى ضوء الخضوع المُطلق للقواعد المعيارية الصارمة، التى تحددها المعايير النحوية والأصول اللغوية؛ مع حرص المؤلف والمتلقى على توخى مطابقة كلامه لتلك القواعد، والأصول، قدر الاستطاعة، ووفقًا لسياق التواصل الناجح، وفى ضوء المواضعة الاستعمالية للقوالب والتراكيب، ومحددات تفسيرها؛ وإن كان ثمة خروج جاء بصورة عرفية، وعلى استحياء، أو لنكتة ما؛ وتحدَّد دلالة هذا العدول وفق قواعد اتَّفق عليها مستخدمو الكلام، ممَّا يُتيح لكلا الطرفين إدراك المعنى من خلال الدوال اللفظية والسياقية(١٣) لاسيما أن المعنى هو ما يُعنى القلب ويؤلمه.(١٤) وقد أشار إلى ذلك ما ذكره أستاذنا الدكتور: أحمد مختار عمر، ناقلًا إشارة فيرث إلى أن المعنى لا ينكشف إلَّا من خلال تَسْيِيق الوحدة اللغوية، بمعنى قراءتها فى سياقات مختلفة، وهذا مفاده أن السياق هو المانح الأقوى والمحدد الوحيد لمعنى الوحدة اللغوية.(١٥)

حيث إن مفهوم التواصل التداولى الناجح يقوم–فى جوهره–على تحقُّق حيويَّة العلاقة بين القالب الكلامى(الصيغة الصرفية أو التركيب)، ومستعمله، سواءً أكان مؤلفًا أم متلقِّيًا؛ فى ضوء ما يُنتَج فى موقف الاستعمال والتواصل، والذى يقع عليه عبء التفسير لتلك القوالب الكلامية؛ ويترتب على العلاقة بين القالب ومنهجية التفسير تحديد الفعل السلوكى من لدن المتلقى.(١٦) ويتحقق هذا الأمر– على سبيل التمثيل– حيث تدل الصيغة (مُفْتَعَل) بزيادة الميم والتاء على الاتِّخاذ، بواسطة هذه الزيادات، فيحمل

---

(١٣) انظر: ظواهر نحوية برؤية تداولية د: خلود بنت عبد الله إبراهيم النازل، مجلة علوم العربية، المجلد الثالث، العدد الخامس، يناير– يونيه، ٢٠٢٣م: ١٧٣

(١٤) كتاب الطراز،المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ج١: ١٠

(١٥) انظر : علم الدلالة ، د: أحمد مختار عمر ، ط٤، عالم الكتاب ، القاهرة، ١٩٩٣م: ٦٨

(١٦) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى، الطالبة: بن شريط نصيرة؛ كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، رسالة دكتوراه غير منشورة، نسخة pdf الجزائر، ٢٠١٦م/٢٠١٧م : ٩

اسم الفاعل تلك الدلالة، ويتحقق ذلك–أيضًا– حين يجعل الفاعلُ المفعولَ أصلَ الفعل، مما يُؤَدِّى إلى التباس المعنى لدى المتلقى.(١٧)

وحدُّ اللغة– فى ضوء قصدية التواصل–أنها نشاط سلوكى(صوتى وعضوى)للكائن الحى، يعبِّر به عن أغراضه ومقاصده، على حد تعبير ابن جنى(ت٣٩٢هـ)(١٨) حيث تتمحوراللغة التواصلية فى وضع الألفاظ وفق دَلالتها على معانيها، أى: وضع الأسماء على المسميات؛ لتكون مُنْبِئَةً عنها عند إطلاق اللفظ(١٩)، تبعًا لذلك فهى ظاهرة اجتماعية انفعالية تجاه الذات، والأشياء، والأحداث، والأفكار، والسياقات، وسياق الصمت، وحديث الإشاريات، وسائر الأفعال الكلامية Speech Acts؛ حتى المفترض منها، فيما أسمته التداولية: الافتراض المسبق، بوصفه سياقًا حاضرًا فى عملية التواصل، لاسيما حين يُحادث المؤلف ذاتًا افتراضية؛ بُغْية حِجاجها.

وهنا تبرز العلاقة المتشابكة بين الفعل الكلامى من جهة، مرتكزات التداولية وعلم النفس اللغوى الأعلى أو العميق وعلم اللغة الاجتماعى من جهة أخرى؛ فتنتقل القوالب والتراكيب من حيز اللغة ذات الدلالات الفردية إلى تأكيد اللغة ذات الدلالات الاجتماعية– ليتكون المرتكزان التداوليان؛ الافتراض المسبق، بالتداخل مع مرتكز الحجاج، والتى تتوقف حياة عناصر القوالب الصرفية والتراكيب اللغوية على ما تحمله من معانٍ فى سياقات كلامية، وعلى قدرة طرفىْ الخطاب على إنفاذ عملية تواصل

(١٧) انظر: اسم الفاعل من الثلاثى المزيد فيه بأكثر من حرف والواقع نعتًا فى القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية، د: هبوا عبد الله كريم، وعبد الباسط عبد الخالق عبد الله، مجلة جامعة تكريت للعلوم،م(١٩)،ع(٥)، آيار ٢٠١٢م:١٩٢

(١٨) انظر: الخصائص، ابن جنى، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، (د.ط)، المكتبة التوفيقية، (د.ت) الباب الأخضر، العراق،ج١: ٤٤

(١٩) انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر، ج١: ٣٨

قائمة على أسس من حُسْن استدعاء مقومات الافتراض المسبق، واستثمار الحجاج أو التحاجُج المنطقى المُقنع.

ذلك الإقناع الذى يجعل غايته قائمةً على كثْرة الحجاج، والتبرير، والنقاش بالقياسات المنطقية- بخلاف القياسات المُغالطية، أوالبراهين، والاستدلالات المُضَلِّلَة- هادفًا إلى تشكيك الآخر فى مكونات افتراضه المسبق، ومن ثمَّ استمالته، ودفْعه إلى الاعتقاد بشىء ما أوتركه، من خلال عرض القصد فى هيئة مناسبة من الوضوح، وبالاعتماد على الحقائق، وطرائق المؤلف فى تأكيد قصده، وليس على الأقيسة المُغَالَطِيَّة، التى تقصد قسْر ذهنية المتلقى على الاقتناع([٢٠]) مع التأكيد أن عملية التواصل الناجحة تتوقف على مدى تقبُّل الجماعات اللغوية لمعانى هذه القوالب والتراكيب، بعيدًا عن عناصر اللغات المتخصصة، ذات الدلالات والمصطلحات النوعية، التى تَرُوجُ فى قطاعٍ مختصٍ، من دون قطاع.

ومن الجدير ذكره أن المرتكزات التداولية السالفة الذكر تُلزم- فى مجموعها- المؤلف بأن يُبين عن قصده إلى متلقيه، الذى يتوجه بحديثه إليه، وألَّا يميل إلى الغموض السلبى والمغايرة الدلالية أو التعمية والإرباك، الذى يسببه تكثيف الدلالات النوعية فى السياق التداولى الواحد، وإن جاءت القوالب الصرفية والتراكيب النحوية على وجه عميق من أوجه الإعراب المعيارية، والتى تَقَبَّلها النظام اللغوى للجماعة اللغوية، مع مراعاة ضوابط المواضعة والدلالات العرفية، حتى لا يُمَلَّ قصده؛ هيئته ودلالته، يقول السيوطى(ت ٩١١هـ) فى هذا المعنى:" فإن كان الشاعر مخاطِبًا بما لا يُفهم،

([٢٠]) وكأن قوة الكلمات أضحت بديلًا لقوة اللكمات. انظر: بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، الحسين بوهاشم، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، مارس٢٠١٤م: ٣٨

وكان راغبًا فى دِرْهَم؛ كان ذلك سببًا لبطلان حاجته، وغيض مُجَاجَته([٢١]) واستهجان شعره، وتحقير أمره".([٢٢])

وتغدو اللغة– وقتئذٍ–"وسيلة لأداء المعانى، والأفكار، والحقائق، والأخبار، لا تتجاوز مفرداتها الدلالة على المعانى التى وُضعت لها فى الأصل، ولا تتعدى تراكيبها الوقوع على المعانى، التى قُدِّرت لها فى النحو، ولا تعنى صورها وأساليبها التفنن فيها؛ غير ما عنته قوالبها الجاهزة، وأشكالها البارزة".([٢٣]) ويظل هذا الأمر ثابتًا فى عرف الدلالات الاجتماعية، حتى يروغ المؤلف– من منظور التداولية الاجتماعية– بتلك العناصر اللغوية والتركيبية إلى نكتة لغوية أو بلاغية، أو يحمِّل السياق معنى مغايرًا لتلك المعانى القارَّة فى الأعراف الاجتماعية بين المؤلف والمتلقى، أو يروغ إلى الطاقات الدلالية للمجاز والإيحاء؛ فى هذا السياق تمنحه هذه النكتة قدرة على قلْب الكلام بتحريك عناصره أو تبديلها، فى ضوء الانتقاء والعدول، وتمام القصدية.

([٢١]) والمُجَاجَة: اللعاب، يقول ابن منظور: " مجَّ الشراب: رماه، ومجَّ بريقه، يمجُّه: إذا لفظه، ويمجُّ ريقه: لا يستطيع حبسه من كثرته؛ والمُجاج، بضم الميم: ما مجَّه من فيه، والمُجاجة: الريق الذى تمجه من فيك، ومُجاجة الشىء: عصارته، ومُجاج الجراد: لُعابُه". انظر : لسان العرب/ لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، (د.ط) دار المعارف، القاهرة، (د.ت)،ج٥: ٤١٣٧، مادة: مجج، (م، ج، ج)

([٢٢]) المزهر فى علوم العربية، للسيوطى، شرحه، وضبطه، صححه، وعنون موضوعاته، وعلَّق حواشيه: محمد جاد المولى بك، وعلى محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الحرم للتراث، القاهرة، (د.ت)، ج٢: ٤٩٤

([٢٣]) انظر: من مظاهر الحداثة فى الأدب(الغموض فى الشعر)، محمد الهادى الطرابلسى، مجلة فصول، (الحداثة فى اللغة والأدب) الجزء الثانى، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو/أغسطس/سبتمبر، ١٩٨٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة:٣٠

حيث تقوم عمليات التواصل–الإفهام أوالفهم– فى الطرح التداولى على تداول عناصر الموقف التحاورى للقصد، بين المؤلف والمتلقى؛ ويتقدم هذه العناصر عنصرا القوالب اللفظية والتراكيب اللغوية، بوصفهما أوضح الآليات فى التعبير عن القصد؛ وأخر ما لدى المؤلف من صنوف الأفعال الكلامية؛ بوصف الفعل الكلامى فعلًا ناتجًا عن فعل تأثيرى؛ من جانب محدد من المحددات الأخرى؛ مع الإقرار بخصوصية الدِّلالة فى هذا الموضع أو بجواز تأثر مؤلف الكلام اللغوى بسياق سابق؛ مما يُعين المتلقى على فهم المعنى فى سياق معين.

ومن ثم يتفاعل الطرفان أثناء ممارسة فعل التواصل، بمعناه المتَّسع، ليشمل الأبعاد الدلالية للتعبيرات الإفصاحية، والتى تمثلها– فى أبسط صورها– القوالب اللغوية من جنس الأصوات المبهمة الدالة–عرفيًّا– على انفعال النفس بشعور نوعى، أوأسماء الأفعال، بوصفها أفعالًا كلامية منجزة، التى تعبر عن الحالة الانفعالية لأطراف الاستلزام الحوارى Conversational implicaure؛ الذى يشمل عرض الدلالات التى تتصل بالمعانى الأصلية للعناصر اللغوية، وما وراء القوالب الكلامية من المعانى التابعة؛ مثل دلالات: السكون، والسكوت، وحديث الاعتبار، حتى أنهما لا يمكن أن يستبعدا حديث العاطفة الصامت، أو الموازى؛ الذى يجسِّده السكون أو الإيحاء والرمزية أحيانًا؛ على سبيل الاتِّساع؛ مع حرصهما على حلِّ مشكلات إدراك المعانى من خلال انتهاج طرح تداولى ناجح.

فيكون الدالُّ المتلفَّظ به–فى سياقه داخلَ التركيب– نسقًا بنيويًّا، يضبط الصياغة، والاستعمال، والتحليل والتفسير، بين المؤلف والمتلقى؛ ويضم أبعادًا ثلاثة، أولها: البعد المعجمى الدال على المعنى الحرفى(المعنىالأصلى) فى ذاته، مجردًا من

التركيب، بالإضافة إلى البعد التركيبى([٢٤])، الذى يُعين فى تقريب دلالات القوالب والتراكيب، بحسب سياقات التكوين، والموقع، والإسناد، وثانيها: البعد الدلالى المجتمعى، الذى يحصرعمليات التفسيرات فى الدلالات القارة فى ذهن الجماعة اللغوية والثقافية، وثالثها: البعد التداولى، الذى يتحكم فيه سياق الإلقاء والاستعمال والتلقى والتفسير والتأويل المقبول؛ وغير ذلك مما يضبط الفعل الكلامى بين الفعلين المضمَّن والسلوكى، أو الفعل الكلامى قبل إنشائه، والفعل التأثيرى، ومن ثمَّ الفعل السلوكى؛ حيث إن الفعل الكلامى يهدف إلى إقناع المخاطب والتأثير فيه؛ لتعديل فعله وسلوكه؛ وهذا ما جعل أرسطو– كما يقول الدكتور عبد العالى قادا– ينظر إلى انفعالات المتلقى بوصفها مقدماتٍ استدلاليةً، وسبيلًا من سُبُل الإقناع والتأثير، أوالإقناع بالتأثير([٢٥]) إذ لا يقتصر الخطاب " فى كثير من الأحيان على إقناع المخاطب المقصود، بل يتجاوزه إلى إقناع كافة المتلقين للخطاب، وبكافة الوسائل".([٢٦])

يتحقق ذلك؛ حين يقصد مؤلف الكلام إفادة المتلقى بمعرفة ما، أوفكرة، أو خبرة، أو تجربة، أو مهارة؛ فيصبح من واجباته انتقاء([٢٧]) صيغة صرفية من دون أخرى(من باب الإتاحة الصرفية والتبادل الدلالى بين الصيغ، والذى يتحقق حين ينتقى المؤلف صيغة صرفية محل أخرى، تلك الصيغة المنتقاة تصلح لحمل القصد، بوصف

---

(٢٤) الذى تتحكم فيه عوامل الفئة، والنحو، والموقعية، والتضام، والسياق المحيط.

(٢٥) انظر : بلاغة الإقناع(دراسة نظرية وتطبيقية)،د: عبد العالى قادا، ط١، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، عمان: ٨٦

(٢٦) بلاغة الحجاج فى ثأر الله لعبد الرحمن الشرقاوى(قراءة فى الأبعاد والقيم الحجاجية)، د: سعيد فرغلى حامد، ضمن بحوث كتاب المؤتمر الدولى الثالث لكلية الآداب، جامعة أسيوط، الاتجاهات التراثية والمعاصرة فى العلوم الإنسانية، فى الفترة من:٥– ٧ أبريل ٢٠١٦م، م١: ٤٤٤

(٢٧) خمسة مداخل إلى النقد الأدبى، ويلبرس سكوت، ترجمة وتقديم وتعليق د: عناد عزوان إسماعيل، وجعفر صادق الخليلى، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م: ٣٤٦

ذلك صورةً من صور قلب الكلام؛ بإحلال بعضه محل بعض، ولعلمه بأن كل اختلاف فى المبنى، يتبعه–لاشك– اختلاف فى المعنى، وهذا معناه أن لكل صيغة صرفية معنى نوعى ما" وذلك المعنى هو ما يُفهم من مادة تركيبه، أومعنى صِيَغِته؛ أوهو: ما يُفهم من هيئته، أى: حركاته وسكناته، وترتيب أحرفه؛ لأن الصيغة اسم من الصَّوْغ، الذى يدل على التصرف فى الهيئة، لا فى المادة، وتكون الصيغ الصرفية أداة من أدوات التحديد الدلالى للمعنى العام فى إطار السياقات المحيطة ".(٢٨) ويُصبح لزامًا على ذهن المتلقى تقدير انتقاء المؤلف لقالب صرفى من دون غيره، ومحاوله إدراك القصد فى ضوء أبعاد خاصية الانتقاء، التى راغ إليها المؤلف.

ويتَّصل بواجبات المؤلف–فى الطرح التداولى–ضرورة أن يقوم المؤلف بإضاءة قصده لمتلقيه؛ ليساعده فى الكشف عن مضمونه وتذوقه؛ ويكتمل هذا الأمر بمراعاة المؤلف للمعايير النحوية، وتفسيرات المواضعة، والدلالات العرفية السائدة، فيعينه فى فعل القراءة، والتفاعل، والتفسير؛ ويمدُّه بإيضاحات حول كيف تركَّب هذا البناء اللغوى الفنى، حتى استوى عملًا ذا دلالة خاصة، ويبصِّره بمواطن الجمال فيه؛ وقد فرض هذا الأمرعلى المشتغلين بالنحو أن يقدِّموا ما يُعين النقاد على كشف النصوص وتحليلها؛ متخذين من المعانى– ولو بوجه من الأوجه النحوية– مُدْخلا لتناول النص الأدبى ودرسه.(٢٩) وقد يتفق للقارئ أن تلتقى رؤيته–مع المؤلف– حول فهم معنى ما بصورة فردية؛ أوما يُمكن أن نسميه: الفهم الفردى؛ تناسبًا مع إقرار اللسانيين بوجود اللغة

(٢٨) الصيغ الصرفية فى سورة نوح (دراسة دلالية)، د: سلوان على حسين الحديثى، قسم اللغة العربية، كلية الإمام الأعظم الجامعة(نسخةpdf): ٣٣٧

(٢٩) انظر حديث السكاكى عن دور العوامل النحوية، اللفظية والمعنوية فى ضبط مواضع الوصل والفصل، ولاسيما مواضع العطف. انظر: مفتاح العلوم، للسكاكى، (ت٦٢٦هـ)، ضبطه، وكتب هوامشه، وعلّق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ١٠٨

الفردية، بيد أنه يقرأ النص بما لديه من مَلَكَات، ومهارات، ومخزون ثقافى، تحصله من الفكر الجمعى لجماعته اللغوية والثقافية، وينقُده بما يمتلك من معايير، تراعى سياق القراءة، وتتعايش معه، وتشرع فى فعل التفسير والتقبُّل؛ من مراعاة معيار الذوق الخاص لدى القارئ.

وتُشير خاصية الانتقاء-التى تجعلها التداولية الأسلوبية حقًّا مشتركًا بين المؤلف والمتلقى- إلى تصرُّف الاستبدال المقصود الذى يُمارسه المؤلف؛ الذى يقوم فيها بعملية موازنة وإحلال، أو تعويض عنصر لغوى بعنصر لغوى آخر، يُحاول تحرى المطابقة الدلالية بينهما قدر الجهد وفى ضوء المواضعة، ومن ثم يروغ إلى أقدرهما على حمل القصد، والتعبير عنه بصورة شاملة؛ وهذه العملية تتم- فى هذا الموضع- على المستوى الدلالى، وليس على المستوى النحوى.([٣٠]) ويكون سبب ذلك رغبة المؤلف فى تكثيف دلالة القصد المُراد حول هذا القالب المنتخب، وكأنه قد أجْمَلَ المعنى الكلى فى هذا القالب الصرفى المُنتقى.

ويكون هذا الانتقاء لنكتة لغوية أو بلاغية؛ أو لغرض لفظى أو معنوى أونفسى، أوتداولى، بوصف التداولية- فى أصل وضعها- عملية تواصلية اجتماعية، يمارسها أشخاص يعيشون فى مجتمع واحد، أوعلى الأقل موصوف بالمتجانس، من حيث الثقافة والفكر الجمعى، على مستوى اللغة التواصلية وضوابط التفسير لمفرداتها والقواعد التداولية التى تواضع عليها أبناؤه، فى ربْطِهم- فى موقف التواصل- بين الدوال وما تُشير إليه من معانٍ، من وجهات نظر متعددة ومختلفة.([٣١]) ويصحُّ- تبعًا

([٣٠]) انظر: الأحاديث القدسية، دراسة لغوية نصية، فى ضوء نحو النص، د: بخيت فوزى جاب الله، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ١٥٩

([٣١]) انظر طواهر نحوية برؤية تداولية : ١٧٣

لذلك– القول بأن المنهج التداولى يستهدف تفسير المواقف الكلامية، من مستوى التلفظ، أوالتضمين، أو الفعل السلوكى، أوتداولية العناصر الإشارية المركزية العاملة أو الهامشية غير العاملة، أو تداولية تفسيرات لغة الرمز والإيحاء.

وتُعد عملية التخاطب سلوكًا تطبيقيًّا وتواصليًّا، يروم المؤلف– من خلاله– تحقيق الإفادة للمتلقى بصفة خاصة، وهو سياق يجمع فيه المؤلف بين الدلالات الضمنية(المضمرة) والدلالات الصريحة(فعل التلفظ)، ويُركز علي الدلالات الضمنية التى يقتضيها سياق التلفظ، والسياقات المحيطة، التى تنقل الكلام من حيّزه الحرفي المتلفَّظ به بصورة مباشرة إلي المعني القضوي، الذى كثيرًا ما يكون غير مباشر، ويتحكم فيه السياق التداولي. ويبدو أن الطرح التداولى يُعنى بما يلى:

- الفعل الكلامى المتضمَّن فى فعل التلفظ.
- استعمال عناصر الفعل الكلامى وفق دلالاته المختلفة وتحليل هذه الدلالات.
- الآليات التى سلكها المؤلف فى إيصال بلاغه إلى متلقيه.
- المحددات التى أحاطت باستعمال الفعل الكلامى، وتفسيره من لدن المتلقى؛ فى ضوء سياق التلفظ، وما يتصل به من سياقات سابقة أو موازية أو محيطة.
- تحويل الفعل الكلامى المنجز إلى فعل كلامى تأثيرى، ومن ثم تجسيد النشاط السلوكى المعبِّر عن الدلالات الموضوعة فى هذا الفعل الكلامى.(٣٢)

وحين نُمعن النظر فى محددات الطرح التداولى وأبعاده؛ نجده وثيق الصلة بأبعاد علم النفس العميق(علم اللغة الأعلى)، وعلم اللغة الاجتماعى، إذ تتوقف عمليات الفعل الكلامى– فى مختلف مراحله– على التداول العرفى والدلالات الاجتماعية

(٣٢) انظر : ظواهر نحوية برؤية تداولية : ١٧٥

لعناصر الموقف التحاورى فى الاستعمال المباشر(مسرح الفعل الكلامى)، وهنا نجد تداخلًا بين الحجاج وكثير من الجوانب التداولية، مثل الجوانب الاجتماعية والنفسية؛ وصولًا إلى صور التحايل والمراوغة، والاشتراك الدلالى، الذى هو ضد البيان والالتفات الدلالى، والمقارعات الدلالية، والمخادعات التواصلية؛التى تصبُّ–جميعها– فى قصدية مؤلف الكلام إقناعَ المتلقى بالقصد المركزى من القوالب والتراكيب.(٣٣)

فيقتضى حُسْنُ العرض لهيئة القصد أن ينتقى المؤلف من بين القوالب الصرفية المستعملة– من بين أقسام الكلام المختلفة– واضعًا لانتقاءاته ضابطًا، يتمثل فى تفاوتها قوة أو ضعفًا؛ حيث إنه من المعلوم أن المصادر لها قوة لفظية، تنعكس على قوة دلالتها، والأسماء أكثر اتساعًا من حيث الدلالة، فى عدم تقيُّدها بمحدد الزمان، فى الموازنة بينها وبين الأفعال، والأفعال تُحيط بالحدث والزمن؛ أما الحروف فدلالاتها–فى الغالب– مهملة إلَّا بالانضمام إلى غيرها، داخل العبارات والتراكيب، أووجودها ضمن المخصصات، أو المكملات الكلامية. وفى هذا البحث سيقف الباحث(٣٤) على بعض النماذج المختارة من قالب اسم الفاعل، بهدف تحليها من منظور التداولية؛ مرتكزًا على

---

(٣٣) انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر، ج١: ٣٨

(٣٤) يروم الباحث عقد موازنة تحليلية بين بعض الأنماط التصريفية فى شعر المتنبى وبين قواعد التداولية؛ انطلاقًا من وصف نص المتنبى بالنص المبدع، وبين قواعد التداولية التى تُلزم المؤلف بأن يُراعى نمط المتلقى على اختلافه وتباين أفق انتظاره، من خلو الذهن إلى الإنكار والجحود، إلى وقوفه بين نمطى الصحة والجمال، ويُشير الباحث إلى أن أبا الطَّيِّب المتنبى قد فاتته أمور فى صياغاته الشعرية والدلالية، سيتعرض الباحث للمثيل لها فى ثنايا مفردات البحث وعناصره؛ ويُدلل الباحث على قراءته هذه بقول الصاحب بن عبَّاد عن المتنبى: " إنه ربما يأتى بالفقرة الغرَّاء مشفوعة بالكلمة العوراء". وقد رصد الباحث صورًا لانتهاكات المتنبى، تمثل بعضها فى قالب اسم الفاعل . انظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنى، للصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عبَّاد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، مكتبة النهضة، ومطبعة المعارف، بغداد١٣٨٥هـ/١٩٦٥م: ٣٠

أن لقالب اسم الفاعل بُعدًا تداوليًّا، حدَّت القواعد التداولية من اتساع(انفتاح) دلالته الكلية.

ثانيًا: المباحث: وهى كما يلى:

المبحث الأول: الدلالة المعجمية والاصطلاحية للمشتقات:

ينظر علم التصريف إلى المشتقات، بوصفها صيغًا صرفية مشتقة من مادة معجمية أصلية، يجوز أن نُطلق عليها: الصيغة الأولى، أو الجذر المعجمى؛ لتكوِن وصفًا ذا علاقة بحدث وذات، وهى مأخوذة من جذر معجمى من الشقِّ، وهو:(ش، ق، ق)، بمعني: فرَّق أصلًا، وشكَّل منه قوالب لغويَّة جديدة. تدور مادتها حول معني الأخذ من جذر لغوى معجمى؛ وإنشاء صيغ صرفية عديدة؛ مع تناسبٍ بين جميعها في اللفظ، وتقارب من حيث المعني.(٣٥)

ونخصُّ– بالإشارة– أكثرها استعمالًا فى التداولية الاجتماعية، وهو قالب اسم الفاعل، وأمثلة المبالغة، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغة أفعل، التى للتفضيل.(٣٦) حتى أن قوة اللغة العربية مردُّها إلى طاقاتها الاشتقاقية، فالاشتقاق والتوليد يمنحها تجدُّدًا وحيوية، وفى هذا المعنى، يقول ابن منظور(ت٧١١هـ):" والشقُّ: الصدع البائن، أو الموضع المشقوق، وشقَّ النبتُ: وذلك فى أول ما تنفطر عنه الأرض، والشقُّ: الطلع، وشقَّ البصر: شخص ونظر؛ لا يرتد إليه طرفُه، ويُقال:

---

(٣٥) انظر : الخصائص : ج ٢ : ١٣٥

(٣٦) انظر: الإجراء والتركيب في النحو العربي (كتاب سيبويه أنموذجًا)، د: يوسف أحمد جاد الرب محمد، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٨م:٢٧

واشتقاق الكلام: الأخذ به يمينًا وشمالًا؛ واشتقاق الحرف من الحرف، أخذه منه، ويُقال: شقَّق الكلام؛ إذا أخرجه أحسن مُخرجٍ".(٣٧)

وحين يتحدث الباحث عن المشتقات، فإنه ينبغى له أن يُشير إلي حدوث الاختلاف والتَّغايُر، بين الأصل والفرع؛ من مثل القلب، والنبر، والتنغيم، والإبدال، والإعلال، والحذف، وغير ذلك من التغيرات التى تعترى بنية الكلمات، فتحولها من صورة صرفية إلي أخري، تشترك معها فى الشكل، وتقترب منها من حيث الدلالة، وقد ارتبط بكل منها بعدٌ دلاليٌّ خاصٌّ، لذا يُشار بمصطلح المشتق، إلى ما أُخذ من غيره، ودلَّ على شىءٍ موصوف بصفة، مع وجود تناسب بينهما فى المعنى، والتغيير فى اللفظ.(٣٨)

يقول الرضى(ت٦٨٦هـ):"ونعني بالاشتقاق: كونَ إحدى الكلمتين مأخوذةً من الأخرى، أو كونَهما مأخوذتين من أصل واحد".(٣٩) وهذا معناه أن بين المشتقات علاقةٌ في الأصول الثلاثة؛ الفاء، والعين، واللام؛ مما يجعلها تشترك في المعني الوظيفي، مع اختلاف في الفواصل الدلالية الدقيقة، ومحل الاشتراك بينها أنها تتصل بالحدث، وتعبِّر عنه، ويتجلي هذا المعنى- فى أدق صوره- في المصدر، وكل مشتق

---

(٣٧) لسان العرب، لابن منظور: ج٤: ٢٣٠٠- ٢٣٠٢، مادة: (ش، ق، ق)

(٣٨) انظر: ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمة، ط٢٤، المكتب العلمى للتأليف والترجمة، الجزء الثانى، قواعد الصرف،(د.ت): ٤٠

(٣٩) شرح شافية ابن الحاجب الشيخ: رضى الدين محمد بن الحسن الإستراباذى، مع شرح شواهده، للعالم عبد القادر البغدادى، المتوفى عام ١٠٩٣هـ، حققها، وضبط غريبها، وشرح مبهمها، الأستاذ: محمد نور الحسن، وآخرين، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ق١،ج ٢: ٣٣٤

من المشتقات يضم- إلي دلالته عن الحدث- معني مضمّنًا آخر يختص به، من باب طردية العلاقة بين الدوال ومدلولاتها.

وهذا التغير يشمل جميع عناصر البنية الصرفية، فيتغير المعني تبعًا لهذا التغير فى المبنى، فتُغايِر هذه الدلالة المركزية للصيغة الاشتقاقية الدلالةَ الصرفية المستعملة؛ لأن كل تغير في البنية الصرفية(٤٠) يتبعه-لاشك- تغيُّر في القيمة الدلالية، والتداولية، والتواصلية للقوالب اللغوية، وفي هذا المعني يقول أستاذنا الدكتور تمام حسان- رحمه الله:" قد تقوم بين الكلمات- التي جاءت على صيغ مختلفة- صلةُ رَحِمٍ معينةٌ، قِوامُها اشتراكُ هذه الكلمات المختلفةِ الصيغةِ في أصولٍ ثلاثة معينةٍ؛ فتكون فاءُ الكلمة وعينُها ولامُها فيهن واحدةً، وهذه الصلة تُدرَس في الصرف تحت اسم: الاشتقاق، وفي المعجم تحت اسم: الاشتراك في المادة".(٤١) لذا قد يكون شيوع المشتقات في شعر شاعر دليلًا علي أصالته وشاعريته، إذ إن أصالة المشتقات الصرفية سبيل إلى معرفة الأصيل من الدخيل، والغريب، والمعرَّب، والمنحوت، فالكلمة الدخيلة تبقي بعيدةً منعزلةً، حين يجافيها الاشتقاق، فتكون قالبًا جامدًا، ودلالة منغلقة محبوسة وذات دلالة منتهية.

المبحث الثانى: الدلالة الصرفية للمشتقات:

نظرًا لكثرة دوران المشتقات الصرفية فى الاستعمالات التواصلية؛ فإنه ينبغى الإقرار بقوة الدلالة الصرفية فى جميعها، وتكمن بواعث هذه القوة فى تتعدد دلالاتها،

---

(٤٠) ويُقصد بالبنية الصرفية: بناء الكلمة، ووزنها، وصيغتها، وهيئتها؛ التى يُمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهى: عدد أحرفها المرتبة،وحركاتها المعينة، وسكونها، مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية، كلٌّ فى موضعه.انظر: شرح شافية ابن الحاجب،ق١،ج١: ٢ بعد المقدمة.

(٤١) اللغة العربية معناها ومبناها، حسان، تمام، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م : ١٦٦

باعتبارات الصياغة، وما تدلُّ عليه من إحاطة زمانية، وما يُحيط إنتاجها من سياق، ودلالات معجمية وعرفية؛ فيجري على اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، مجري الفعل، فى إيقاع الحدث، ومن وقع عليه القيام به، يقول سيبويه(ت١٨٠هـ):" هذا باب ما جري في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجري الفعل كما يجري في غيره مجري الفعل، وذلك كقولك: أزيدًا أنت ضاربه؟، أعمرًا أنت مكرمٌ أخاه؛ كأنك قلت: أنت ضاربٌ، وأنت مُكرمٌ، وكذلك جميع هذا؛ فمفعول مثل يفعل، وفاعل مثل يفعل".(٤٢) وكذلك المصدر، يقول: هذا باب من المصادر جري مجري الفعل المضارع".(٤٣)

وليس أدل على قوة الدلالة الصرفية للمشتقات من أن الله– تعالى– قد خصَّ بعضها بالقسم فى فواتح سور كتابه العزيز، وجعلها ممهدًا لبلاغه– سبحانه– وقد تحقق هذا الأمر فى كثير من السور القرآنية، على نحو ما نرى فى افتتاحه– تعالى– كثيرًا منها بقالب اسم الفاعل من الثلاثى–من باب التمثيل– نحو: سورة الذاريات(٤٤)، وسورة النازعات، وسورة الواقعة، وسورة الحاقة، وبغير الثلاثى، نحو: سورة المزمِّل، وسورة المُدَّثِّر(٤٥) بما يؤكِّد قوة الدلالة الذاتية لهذه القوالب الصرفية؛ فى صورتها المفردة، حين تكون خارج التركيب؛ فإذا ما ارتبطت بغيرها فى علاقة تركيبية صارت أقوى فى الدلالة على المعنى الجوهرى من الكلام، ويصير لها داخل التركيب دلالتان، إحداهما: دلالة معجمية، والأخرى: دلالة سياقية، تجعل للقالب الصرفى المشتق سطوة على المعنى

---

(٤٢) الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجى، القاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١: ١٠٨ – ١٠٩

(٤٣) الكتاب، ج١ : ١٨٩

(٤٤) إشارة إلى قوله– تعالى:" والذاريات ذروًا. فالحاملات وقرًا. فالجاريات يُسرًا. فالمُقسِّمات أمرًا". سورة الذاريات:٥١/١–٤

(٤٥) نحو قوله – تعالى: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ".١/٧٤

الكلى، يحمله السياق دلالية نوعية، تقترب أوتبتعد عن المعنى المعجمى. ويترتب على ذلك أن تصبح لها دلتلة تركيبية، باعتبار موقعها النحوى وأثره الدلالى، والغرض من هذا الأمر يتمثَّل فى الإشارة إلي قدرة هذه المشتقات علي الفعل، وتحمُّلها للدلالة المركزية لمؤلف النص، وأن مؤلف النص قد يستعملها في إنفاذ الفعل الكلامى، أوقد يجعلها معينًا لمتلقيه علي إدراك قصده، حيث يجعل منها رافدًا من روافد توضيح مقصد المؤلف للمتلقى، وسببًا من أسباب كشف المعانى المضمَّنة والمُراد إيصالُها إليه.(٤٦) ودليل قوة هذا الصنف من المشتقات أن أعملها ابن جنى عمل فعْلها، وهى خارج التركيب، وقدر المفعول المحذوف، يقول:" هذا على حذف المفعول، يُريد: يأيّها المزمِّل نفسَه، والمدثِّر نفسَه، فحذفه فيهما جميعًا؛ وحذف المفعول كثير، وفصيحٌ وعذبٌ، ولا يركبه إلَّا من قوى طبعُه، وغذُب وضعُه".(٤٧)

وقد يُحمِّلها المؤلف بُعدًا نفسيًّا خاصًّا، فيُحمِّلها طاقةَ المراوغة الفنية، ليصرف ذهنية المتلقي إلي معني من دون آخر، أو قد تكون سببًا في إحداث خداع دلاليٍّ علي مستوي التسطيح البنيوي؛ بيد أنها- بالتعمق فى توظيف دلالتها- تغدو رِهانًا علي المعني المُراد، وقد احتاط بها مؤلف النص من ذيوع القصد وافتضاحه، أو تعدد الاحتمالات الدلالية(٤٨)، أو سوء التأويل، إذ فى التأويل افتقار إلى الدليل.(٤٩) فبها قد

---

(٤٦) انظر: الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك محمد بن ستيا، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، جاكرتا، ٢٠٢١م/١٤٤٢هـ، نسخة : pdf:٢

(٤٧) المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق، على النجدى ناصف، والدكتور: عبد الفتاح إسماعيل شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٢: ٣٣٥

(٤٨) حيث يقوم السياق التداولى على الترجيح لاحتمال من بين احتمالات متعددة، ويظل القصد المركزى بين التوهم والترجيح. انظر: بلاغة الإقناع(دراسة نظرية و تطبيقية): ٣٠

(٤٩) انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر،ج١ : ٤٩

حوَّط مؤلف النص علي معناه، ليُعين متلقيًّا خاصًّا علي إدراكه، ومن ثَمَّ تحقق تلك المشتقات مسافةً دلالية، وأخرى جمالية، ترتكز علي مراعاة أفق انتظار المتلقي وطاقته من ناحية، وصدمته–لاستمالته– من ناحية أخري.(٥٠) ويلزم المؤلف– حين يعمد إلى تقديم مُعيناتٍ متعددة و متباينة للكشف عن قصده، وتسهم فى تبيينه للمتلقى– أن يعقد علاقة وثيقة وتصاعدية الدلالة –أو انخفاض درجتها– بين الدوال ومدلولاتها؛ على مستوى الشكل والمضمون، مما لا يُؤَدِّى إلى التباس الدلالة على المتلقى، وفي هذا السياق يقول ابن جنى(ت٣٩٢هـ):" وكان حكم الأفعال كلِّها بلفظ واحد؛ لأنها لمعنى واحد، غير أنه لما كان الغرض من صناعتها أن تفيد أزمنتها، خُولف بين مُثُلها؛ ليكون ذلك دليلًا على المراد فيها، فإن أُمن اللبس فيها، جاز أن يقع بعضُها موقع البعض، تحقيقًا للأمر، وتثبيتًا له".(٥١) ويرتبط بحسن الهيئة أن يُحسن المؤلف عرض قصده؛ فى ضوء القول المشهور: إن زيادةً تلحق المعانى، تبعًا لزيادة المبانى، غالبًا. وقد أدرك ابن جنى أن اختلاف الصيغ الصرفية – فى بعضها أو جميع عناصرها – مما يؤثِّر فى النفس؛ إذ إن اختلاف البناء يدلُّ على اختلاف المعنى، زيادةً أو نقصًا؛ قال ابن جنى– فى :(باب فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى):"والعَسْف، والأَسَف، والعين أختُ الهمزة؛ كما أن الأسف يعسف النفس، وينال منها؛ والهمزة أقوى من العين، كما أن أسف النفس أغلظ من التردُّد بالعَسْف؛ فقد ترى تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين".(٥٢)

---

(٥٠) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره فى البلاغة المعاصرة : ٦٨

(٥١) الخصائص، لابن جنى، تحقيق عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية، (د.ت) ،ج ٣: ٣٣١، وانظر: مسألة اللفظ والمعني عند الزمخشري، د: حمدي علي بدوي، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، ع٤٤، ٢٠١٧م: ٧١

(٥٢) الخصائص، ج٢: ٩٦

وحين ندرس الدور الحاسم للمشتقات في شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى نجده قد استثمر الطاقات الصوتية، والصرفية، والصور الذهنية في الاحتياط لمعانيه الموصوفة بالذاتية، فى ضوء الاستعمال، وليس فى التقيد بالضوابط المعيارية، وتكون المشتقات فى شعره قد جسدت القصد المركزي لمؤلف النص؛ وعبرت هذه القوالب الصرفية عنده عن قصديته لمعني ما، سواءً لقى قبولًا لدى المتلقى أم لا؛ وقد شكَّل انتخابها(٥٣) وصياغتها– فى هيئة مخصوصة– انعكاسًا لترتُّبها في نفسه، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى قد نرصد بعض الانتهاكات الاستعمالية فى قالب اسم الفاعل فى شعر المتنبى، أخصُّها أنه كثيرًا ما أهمل معيار العلاقة بينه وبين متلقيه، فأورد له الغريب والحوشى وغير المستعمل، والمُجافى لموقعه وبيئته ونمط المتلقى، ومقام التلقى، والمُخالف لمعايير النحو، وأقيسة الصرف، من القوالب الصرفية والتراكيب اللغوية، فأصاب ذهن المتلقى بالحيرة من الاختلاط الدلالى، وكد ذهنه فى البحث عن الأصول المعجمية للمتقعر من الالفاظ و التراكيب المستعملة، فشاب استعمالاته الكثير من العيب، فى ضوء الضوابط التداولية.

المبحث الثالث: الانفتاح الدلالى Semantics Openness وقيود التداولية :Pragmtis Limitation

أولًا: انفتاح الدلالة:

يدور (مصطلح انفتاح الدلالة)–فى هذا البحث– حول المستنبط من الدَّمج بين المعنيين السطحى المتوقع، و المضمَّن، البعيد عن توقع كل نمط من أنماط القرَّاء والقراءة؛ بأن يحمل القالب الصرفى معنى طبيعيًّا لمتلقٍ ما، فى حين يحمل معنى آخر،

---

(٥٣) الخصائص، ج١ : ٣٥

لمتلق آخر، يستدل كلا النمطين على المعنى القصدى، يتتبع الاستدلالات السياقية؛ بوصف السياق ممثِّلًا للعوامل التثبيتية، التى تحدد الدلالة،بمعرفة العلاقة بين الوضع والدليل على المعنى([٥٤])، أو ما أشار إليه الدكتور طه عبد الرحمن؛ بقوله: اثبت دعواك، وتمسك بها، دافع عنها بكل ما أوتيت من وسائل الإقناع؛ بمعنى: أنا المتلقى أطلبُ منك أن تُثبت دعواك([٥٥])، ويتصل بهذا الانفتاح ذاتية التأويل، سواء بتقبل الحقيقة، أو قراءة الإشارات المجازية، أو بعدم قصر الدلالة المحتملة على السلوك اللغوى المتلفظ به، مما يصح أن نُطلق عليه: الكلام المضمَّن، أو الاحتمالات الدلالية غير المباشرة.([٥٦])

وينطلق هذا المصطلح- ذو الاحتمالات الدلالية غير المنتهية- من تركيز المتلقى- فى عملية التفسير للخطاب المُلقى إليه- على سياق الاستعمال، وليس الأصول المعيارية فحسب، مدركًا أن لكل قالب صرفى دلالة نوعية خاصة(تضيق أوتتسع، تُخَصَّص، أوتُعَمَّم، تقيَّد، أو تُطور هذه الدلالة) فى ضوء سياقات عديدة، يستطيع المتلقى- من خلال هذه السياقات-الانطلاق من المعنى النوعى للقالب اللغوى المستقل(وهو القالب الذى يمثل معنى لذاته؛ لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره)([٥٧])،

([٥٤]) انظر: القاعدة الأولى، قاعدة: فى تحقيق مفهوم أصول الفقه، القسم الأول، فى المبادئ الكلامية، فيما يخص وصف الدليل بـ: الدال، من كتاب: الإحكام فى أصول الأحكام، للعلامة: على بن محمد الآمدى، تحقيق: الشيخ عبد الرازق عفيفى، ط١، دار الصميعى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج١ :٢٣

([٥٥]) انظر: فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د: طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافى العربى،٢٠٠٠م، الدار البيضاء، المغرب: ٤٤

([٥٦]) انظر: مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس على، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، مكتبة نرجس، نسخة PDF، ليبيا، ٢٠٠٤م:١٢

([٥٧]) انظر: الأحاديث القدسية ، دراسة لغوية نصية، فى ضوء نحو النص: ١١١

إلى استدعاء دلالات أوسع؛ حال كوْن هذا القالب جزءًا فى تركيب، أو نص؛ ليشمل الأمرُ الحديثَ عن العناصر الإشارية، وما وراء القوالب اللغوية من دلالات مضمنة للسلوك اللغوى الناطق من لدن المؤلف، بوصف تلك الآليات الدلالية طرائق تواصل؛ تفتح نوافذ دلالية أخرى، بالإضافة إلى نافذتىْ التلفظ والسياق. ويُمكن للباحث أن يستدل على معنى هذا الانفتاح الدلالى بما ساقه: هشام لعبيد الله الخليفة، حيث ذكر مثالين، تختلف رؤيتهما وفق أفق انتظار كل متلق، وهما:

إِطْلَاقُ صَافِرَةِ الْإِنْذَارِ، يعنى:إن هناك غارة جوية، أو تحذيرًا من حيوان مفترس، أو من وجود مد للأمواج، أو غير ذلك؛ مما يستوجب التنبيه بالصافرة.

(لَا غِنًى لِفُلَانٍ عَنْ مَشَاكِلِهِ وَنَزَاعَاتِهِ)، فى إشارة إلى احتمال دلالى بعدم رغبة هذا الشخص فى الاستغناء عن زوجته، أو عصبية هذا الرجل، أو وجوده فى سياق مشحون بالانفعالات الحادة، أو غير ذلك.(٥٨) ويبرز- هنا- القول بأن القوالب الكلامية مَظْهَرٌ من مظاهر الانفعالات النفسية المتباينة، هذا الانفعال هو السبب المباشر فى عمليات الصياغة والانتقاء للفئة الصرفية، وهيئتها، وترتيبها فى السياق الكلامى، بحسب ترتبها فى نفس المؤلف، وتحديد موقعيتها النحوية، وسائر الظواهر الصوتية، والصرفية المختلفة.(٥٩)

و(يُقصد بمصطلح الانفتاح الدلالى): دلالة القوالب والتراكيب والجمل- فى بعض السياقات التخاطبية-على معنى-بل معانٍ- غير الذى يوحى به معناها

---

(٥٨) انظر: نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث ، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى): ١٨

(٥٩) انظر: فاعلية الصوت فى إنتاج الدلالة، د: عمران رشيد، كلية الآداب واللغات، جامعة تبسة، نسخة pdf:٥

الحرفى(المعنى المعجمى الأصلى)، من باب انحصار الدلالة فى الصيغة الصورية ([٦٠]) وهنا تنقسم الحمولة الدلالية للقوالب اللغوية والجمل إلى صنفين، أحدهما: يتمثل فى المعانى الصريحة، وهى التى تدل عليها صورة القالب الصرفى، أو صيغة الجملة اللغوية، فى حد ذاتها، بصورة مباشرة، والآخر: يضم المعانى الضمنية؛ وهى تلك التى لا تدل عليها صيغة القالب الصرفية أو الجملة بالصورة السطحية المتداولة، بل يتطلب الأمر مزيدًا من التأمل، والبحث، والموازنة، والقياس، والتحليل، وفى هذا الموضع، يُمكن لذهن المتلقى أن ينتقل من معنى صريح، إلى معنى آخر ضمنيّ، أو معانٍ ضمنية أخرى، تقع قريبًا أو بعيدًا من مسافةالدلالة العرفية، أو الاحتمال أو التقبل.([٦١])

ذلك معناه أن يتجنَّب المؤلف الغموض السلبى، وهو ما يُسمى:غموض الهدم، الذى يكون سببًا فى سلْب اللذة، والإدهاش، والجمال من القول الشعرى، فيصير عاملَ هدمٍ للكيان الشعرى، بصورة خاصة، ولسائر أقسام الكلام بصورة عامة؛ وكذلك يتسبَّب فى تحقُّق الإلباس والتوهُّم، والإخفاء، والغرابة- فى الاستعمال- من دون اهتمام بوضوح الألفاظ والمعانى، حيث إن الغموض السلبى سمة للضعيف من التأليف، كما أن دلالة الكلام غير المعروفة؛ تُؤَدِّى إلى الإلباس؛ إلَّا مع وجود قرينة؛ مقيِّدة لمعنى، وصارفة لغيره.([٦٢])

فى هذه الحال- ومع غياب القرائن المصاحبة- يتحقق الإعسار على المتلقى؛

([٦٠]) انظر: الاستلزام الحوارى فى رائية عمر بن أبى ربيعة (دراسة تداولية): ٢٩٢١

([٦١]) انظر : الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، (من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة، إلى وضع القوانين الضابطة لها)، العياشى أدراوى، ط١، دار الأمان، من منشورات الاختلاف، الرباط، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م: ١٥

([٦٢]) انظر : الطراز ، ج١ : ٨٥

ويأتى على رأس أسبابه: مبالغة المؤلف فى التمحُّل والإيغال([٦٣]) فى تعمية القصد، حيث إن الغرابة والإيغال فى الغموض يُفسدان مبدأ الكفاءة وحُسن الأداء فى عرض القصد، فهما سبب مباشر لعدم اقتناع المتلقى بقصد المؤلف؛ حينها يكون الأخير قد أخفق فى عقد صلة بين ما يُريده من قوالبه وتراكيبه الشعرية، وما تقتضيه سمة الشاعرية؛ حيث يجعل القوالب غير كاشفة عن المعانى الخفية المضمَّنة، أو أن يجعل معانيه قصرًا، لا يعرفها إلَّا الخواص من الناس؛ أو أن يعرض قصده فى صورة معانى دقيقة لا يفهمها إلَّا الأذكياء والحُذَّاق من أرباب الفهم و الذوق، فيلزم المتلقى استدعاء المعانى المعجمية، التى قد تتباين فيما بينها، وهذا– لاشك– فيه من التعسير ما يكفى لعزوف المتلقى عن متابعة القصد، فى هذا الموضع يُنتهك مبدأ العلاقة بين المؤلف والمتلقى، مثلما يضيع مبدأ التناسب بين القوالب اللفظية ومعانيها.([٦٤]) فيفقد المتلقى القدرةَ على إصدار حكم على قصد مجهول؛ " إذ المجهول لا يُمكن الحكم عليه".([٦٥]) وهذا معناه أن الدلالة الصرفية للقوالب تكون موصوفة بالصحة والاستقامة حين يروغ مؤلفها إلى عناصر قصده، ويجمعها إليه، ويعرضها على محددات الحقيقة والمجاز الإيجابى([٦٦])، وينتقى – لقصده– قوالب صرفية، يستطيع المتلقى– من خلال تفسيرها–

([٦٣])وهو ما كان ممتنعًا وقوعه، وهو الغلو، والإيغال: مستعمل فى المبالغة فى الشىء؛ وهو فى مصطلح علماء البيان: عبارة عن الإتيان– فى مقطع البيت وعجزه أو فى الفقرة الواحدة – بنعت لما قبله مفيد للتأكيد والزيادة فيه، انظر: الطراز،ج٣: ١٣١

([٦٤]) انظر: الطراز ، ج١ : ٣٧

([٦٥]) انظر : المسألة رقم : ١٩، من كتاب : تهافت الفلاسفة، للإمام أبى حامد الغزالى، (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق وتقديم، د: سليمان دُنيا، ط٩، دار المعارف المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م: ٢٧٩

([٦٦]) ويُشير ابن الأثير إلى أن للمجاز قوة انفعالية، قد تتحكم فى الفعلين الكلامى والسلوكى، والانعكاسى؛ حتى أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعى فى بعض الأحوال؛ حتى أنها ليَسْمَح بها البخيل، ويَشْجُع بها الجبان، ويحكم بها الطائش المتسرع، ويجد المخاطب بها – عند سماعها– نشوة كنشوة

الوصول إلى المعنى الكامل، عن طريق الاستدلالات المنطقية؛ بعيدًا عن التوهم والخلط.(٦٧)

ويرتبط الانفتاح الدلالى بحسن الهيئة، إذ يجب أن يقدم المؤلف قصده فى هيئة تتمحور حول ما يُريد، فى هيئة تأثر العقول والقلوب، وأن يوفر لمتلقيه أفضل نموذج للبلاغ، مبنى على صدق القصد، لا على معطيات الخبر فحسب؛ مع إمداد المتلقى برافد دلالى آخر للمعنى، يقوم على التصوير المحازى للقوالب اللغوية، مع خلال الأبنية والصور التخييلية(٦٨) وأن يجعل من حدوث زيادة فى المعانى تبعًا لزيادة المبانى، على الأغلب، وليس على التعميم والإطلاق، فإذا كانت الألفاظ– كما يقول ابن جنى– أدلة المعانى، ثم زِيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة فى المعنى به، وكذلك إن انحرف به عن سمته وهيئته؛ كان ذلك دليلًا على حادث متجدد له، وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائدًا فيه، لا منتقصًا منه.(٦٩) ويلزم المؤلف أن يُحْسن افتتاح نصه، بما يسمى عند الجاحظ: حُسن الاستهلال، بأن يمتلك المؤلف زمام اللغة؛ ويكون أحسن الكلام هو: ما كان قليله يُغنيك عن كثيره؛ ومعناه فى ظاهر لفظه، غير مستكره، ولا فيه اختلال، فى هذه الحال يتحقق تواضع المؤلف والمتلقى على إنجاح عملية التواصل، من خلال استعمال آليات الحجاج الإقناعى.(٧٠)وفى هذا المعنى يقول ابن رشيق(ت٤٥٦هـ)، فى: (باب المبدأ والخروج والنهاية): فى بيان منزلة هذه الأمور

الخمر، حتى إذا قُطع عنه ذلك الكلام أفاق، ، وندم على ما كان منه. انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ج١: ٧٩

(٦٧) انظر: دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجانى، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى، ومطبعة المدنى، القاهرة،(د.ت): ١٩٦-١٩٧

(٦٨) انظر: فى أصول الحوار و تجديد علم الكلام: ٤٤

(٦٩) الخصائص (مقدمة التحقيق)، ج ٣: ٩

(٧٠) البيان و التبيين: ٧٣

الثلاثة: " قِيل لبعض الحذَّاق بصناعة الشعر: لقد طار اسمك واشتهر، فقال: لأنى أقللت الحز، وطبَّقت المَفْصِلَ، وأصبت مقاتل الكلام، وقرطست نُكَتَ الأغراض؛ بحسن الفواتح والخواتم، ولُطْف الخروجِ إلى المدح والهجاء، وقد صدق؛ لأن حُسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح، سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام أبقى فى السمع، وألصق بالنفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسُنت حسُن، وإن قبُحت قبُح، والأعمال بخواتيمها.(٧١)

ثم يُشير ابن رشيق إلى دور السياق التداولى فى التحديد الدلالى, وأن القصد كيان لفظى مُغْلَق، يلزم المؤلف عرض بعض مفاتحه على متلقيه؛" بأن يجوِّد ابتداءَ الكلام، فإن هذا الابتداء هو أولُ ما يَقْرَعُ سَمْعَ الْمُتَلَقِّى؛ وبه يُستدل على ما عنده من أول وهلة، وليتجنب (أَلَا) و(خَلِيَلىَّ)، و(قَدْ)؛ فلا يستكثر منها فى ابتدائه، فإنها من علامات الضعف والتكلان... وليجعله حُلْوًا سَهْلًا، وفَخْمًا جَزْلًا".(٧٢) جدير بالذكر الإشارة إلى أن أبا البقاء العكبرى قد أشار- فى بعض شرحه لأبيات المُتَنَبِّى- إلى أن اللفظ أو القالب الصرفى، قد يصلُح للتعبير عن معنى أو أكثر، لذا فكثيرًا ما نراه يورد قولَ الواحدى، أو قولَ أبى الفتح، بالإضافة إلى ما نراه من تعليقه على قولهما، بقوله: وهذا معنى جيد، أو مقبول، فإن كلامه- هذا- يُشير إلى إدراك أبى البقاء لانفتاح دلالة القوالب الصرفية المستعملة فى شعر أبى الطِّيِّب المُتَنَبِّى.(٧٣)

---

(٧١) من سوء الافتتاح ما قاله أحد الشعراء فى يوم نيروز، فى قصيدة أولها: أَقَبِرٌ وماطلَّت ثراك يدُ الطَّلِّ. انظر: العمدة، فى محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى، حققه، وفصَّله، وعلَّق حواشيه: محمد محى الدين عبد الحميد، ط١، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج١: ١٨١

(٧٢) العمدة ، ج١ : ١٨١

(٧٣) انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، ج١: ٢٧٣-٢٧٤

ثانيًا : قيودُ التداولية :

يُشير مصطلح **(قيود التداولية)** إلى تلك الفجوات والفراغات التنظيرية، التى تركها بول برايس، من دون معالجة فى نظريته حول التداولية، لا سيما فى معالجته للعلاقة بين المعنى والتواصل، تلك الفجوات صارت قيودًا فى سبيل إنفاذ التواصل بصورة ناجحة، بل قد تسدُّ طريقه بصوره تامة؛ ومن هذه القيود، ما يتمثل فى ضرورة إمداد المتلقى بجميع الاستدلالات التى يتمكن– من خلال تتبعها– من استيعاب المقاصد الكلامية؛ متجاوزًا– فى ذلك– المعانى السطحية، وصولًا إلى سَبْرِ أغوارالقوالب الصرفية، دون حجب لفيوض الانفتاح الدلالى، الذى تُشكِّله هيئة الخطاب اللغوى، ونمطُ القراءة والقارئ، والمحددات السياقية، ومن أهمها: سياق التلقى.(٧٤) وهوسياق متقلب متغاير، تتوقف قراءة البلاغ عليه، وفى هذا المعنى يقول الصاحب بن عبَّاد(ت ٣٨٥هـ):" فالناس متفقون على أن تقلُّب الأهواء يطمس أعين الآراء؛ وأن الميل يُبهم سبيل الصدق".(٧٥)

وتروم النظرية التداولية– بوصفها منهجًا تحليليًّا لضوابط الخطاب، وما يجب أن يُتكلم به، ومن الذى نتكلم له، وضوابط الاستعمال والسياق والتقبُّل من لدن المتلقى، والتفسير(٧٦) للفعل الكلامى أونواتجه(٧٧)، فى دراستها لعناصر اللغة وأطراف العملية التواصلية (٧٨)، وفى أثناء عملية التحاور المنجز– تقديم إجابات للتساؤلات التالية:

---

(٧٤) انظر : نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث ، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى): ١٥ – ١٦

(٧٥) الكشف عن مساوئ شعر المتنبى: ٢٩

(٧٦) انظر : التداولية، مقاصد وآداب، د : صبرى إبراهيم السيد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م: ٢٩

- من المتكلم؟ / وكيف يتكلم؟ /ولمن يتكلم؟
- ما الأدوات التى نتكلم بها؟
- ماذا نصنع حين نتكلم ؟
- ما المضمون القضوي، الذي يحاول المؤلف إيصاله إلي المتلقي، وكيفيه إيصاله؟
- ماذا ينبغي للمؤلف أن يصنع؛ ليُزيل الإبهام عن قوالبه وقصده إلّا بقرينة؟
- كيف يتقبَّل المتلقى نصَّ المؤلف؟
- أى نمط من المتلقين هو؟
- ما الأدوات التى يستخدمها فى فعل القراءة؟
- ما أدوات المتلقى المستخدمة فى عمليات تفسير القصد؟
- ما العلاقة بين المؤلف والمتلقى، التى تضبط عمليات التفسير والتقبل؟
- ما شعور المتلقي حين يُنْجِزُ المؤلفُ فِعْلًا لُغَوِيًّا واضحًا، بعيدًا عن اللبس، أو الغموض المجرد؟.(٧٩)

وحتى يُجيب المتلقى عن التساؤلات التداولية السالفة الذكر، ينبغى له– وهو يفسِّر العنصر اللغوى أو العنصر غير اللغوى– أن يراعى أن للتداولية أركانًا، قد تشكِّل قيودًا وأعباء على منتج النص الإبداعى أو على مفسره، أو على كليهما؛ بل قد تتسبب

(٧٧) انظر : تساؤلات التداولية، وتحليل الخطاب، بحوث مختارة، ترجمة: د : حافظ إسماعيلى علوى، وآخرين، ط١، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، عمان : ٩

(٧٨) الإشارايات التداولية والعناصر المسرحية فى مسرحية شمس النهار لتوفيق الحكيم، مصطفى طايع سيد طايع، مجلة علوم العربية ، م٢، ع٤، يونيه/ديسمير، جامعة بمى سويف، ٢٠٢٢م : ٦٦

(٧٩) انظر : حديث الدكتور : طه عبد الرحمن، حول قواعد التداولية، فى كتابه: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلى، د: طه عبد الرحمن، ط١، ١٩٩٨م، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان : ٢٥٠ وما بعدها

فى إفشال عملية التواصل بينهما، من خلال تضييع القصد، أو تعميته، أو الإيغال فى إغماضه، ومن مثل هذه القيود والأعباء ما يلى:

- الهيئة الكلامية، وترتيب عناصرها، فى ضوء القصد.
- قيود الدلالات الاجتماعية للقوالب والتراكيب المستعملة.
- البيئة المحيطة بالعناصر اللغوية، بالمعنى المتَّسع لكلمة البيئة المحيطة.
- القيود المعجمية، التى تضبط الاستعمال بين المؤلف والمتلقى.
- مضمون الفعل الكلامى الانعاكسى من جانب المؤلف، وأثره فى توجيه الدلالة، وتحديد القصد.
- سياق التداول المحيط بعملية التواصل.
- طبيعة الافتراض المسبق بين المؤلف والمتلقى.(٨٠)

ويكون من المفيد الإشارة إلى أن (نظرية التداولية تتكئ–عند برايس–على عدة قواعد(مرتكزات)، لعل أهمها: قاعدة المناسبة(٨١)/ الملاءَمة، التى تُلزم مؤلف الكلام بأن يكون كلامه مناسبًا للموضوع، الذى يتداوله مع المتلقى، إقرارًا بأنه ينبغى للخطاب الإقناعى أن يَتَلَاءَمَ مع المستمع الذى يُقصَد إلى إقناعه(٨٢) ثم تأتى قاعدة النوعية/الكيف Maxim Of quality، التى تقضى بألَّا يتلفظ المؤلف إلَّا بما يعتقد أنه صادق، ويمتلك دليلًا على صدقه وتحققه، بالإضافة إلى قاعدة الكمية/القدر Maxim Of quantity؛ التى توصى المؤلف بأن يَمُدَّ متلقيه بالقدر الكافى والمفيد

(٨٠) انظر : الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك :١٦

(٨١) لم يتعرض الباحث لهذه القواعد بالشرح أو التعريف، احترازًا من الحشو والإطالة، واستئناسًا بذيوعها وشهرتها، بين أوساط المختصين.

(٨٢) انظر : بلاغة الإقناع(دراسة نظرية و تطبيقية) : ٨٦

من المعرفة، وفقًا لمحددات القصد، والسياق التداولى؛ على قدر حاجة المتلقى، وطاقة تلقيه؛ من دون زيادة أو نقصان، والحيلولة دون حدوث ذلك.([٨٣])

ومن ثَمَّ تأتى قاعدة الأسلوب Maxim Of manner، التى تُجَنِّبُ المتلقى الغموضَ السلبى واللبس، وتُلْزِمُ المؤلفَ بأن يكون مرتبطًا بعلاقة مع متلقيه، تدفعه هذه العلاقة إلى الحرص على قصدية الإخبار، والوضوح فى عرض مفردات القصد.([٨٤]) ومُفاد هذا أن برايس رام– بوضع مثل هذه القواعد– ضبط العملية التواصلية؛ مضمِّنًا إيَّاها التأكيدَ أن كل خروج أو انتهاك لإحدى هذه القواعد، يُخرجُ التَّحَاوُرَ عن مساره المُخطط له.

المبحث الرابع: أبعاد النظرية التداولية فى التراث اللغوى العربى (محاولة للتأصيل)([٨٥]):

بادئ الأمر يجب أن نُشير إلى أن أبعاد الطرح التداولى ليست بالمشروع الوافد؛ فيما يخصُّ المفاهيم، أو تدقيق المصطلح أو تحريره، أو فيما يرتبط بالأبعاد النوعية والمرتكزات؛ إنما نجد ما يؤيد حضورها– بقوة وبمنهجية– فى مؤلفات علماء اللغة، والنحاة، والمفسرين، وغيرهم من أرباب الدرس اللغوى القديم والحديث، ويؤمن

---

(٨٣) يحدد العلوى مفهومًا للسياق التداولى بأنه: ما يُقال من عناصر لغوية، مما يُفيد معنى مصطلحًا عليه، فى الوضع الذى وقع فيه التخاطب وأشار بكلمة الوضع إلى السياقات اللغوية، و العرفية، والشرعية، والاصطلاحية. انظر : الطراز ، ج١ : ٤٧

(٨٤) نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث ، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى)، د: هشام لعبد الله الخليفة، ط١، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة، مصر، ٢٠١٣م :٣٠

(٨٥) لذا يكون من الجيد التنويه إلى أن الباحث سيركز حديثه على وجود المبادئ التداولية فى التراث اللغوى العربى.

الباحث بأن تراثنا العربى قد أحاط بأبعاد هذا الطرح بصورة منهجية منضبطة، وليس الأمر على سبيل الإشارات المجملة، ولا المبثوثة فى ثنايا مدوناتهم البحثية؛ ولا الإضاءات المتناثرة، كما يدَّعى بعض المتعصبين للفكر الحداثى الغربى، وإن اختلفت المصلحات، وتباينت المفاهيم.

وعلى الرغم من ذلك؛ فيشيع– فى التفكير اللسانى الحديث–أن التداولية منهج تحليلى وافد، له عناصره، ومحدداته، وأركانه، يعود السبق فى ابتكاره إلى المدرسة اللغوية الغربية، وأنه يُعنى بدراسة كيف يُلقى المؤلف بلاغه، وكيف يَفْهم المتلقى الحدثَ الكلامى أوالإشارى التواصلى، فى ضوء الاستعمال، وكيف يفسِّره فى ضوء السياق، أو بعبارةٍ موجزة: دراسة اللغة فى الاستعمال والتواصل.(٨٦)

ويُردُّ على الادِّعاء السالف الذكر بأن مفردات الدرس اللغوى العربى القديم والحديث تثبت– من غير شكٍّ– أنه قد وعى القدماء من العلماء العرب والمسلمين أبعاد النظرية التداولية، وناقشوا كثيرًا من مقوماتها وقواعدها فى بحثهم اللغوى، والدلالى، والتداولى(٨٧) ويستأنس الباحث– فى ادِّعائه– بأسبقية المنجز البحثى اللغوى فى التراث العربى القديم فى إدراكه لأبعاد التداولية؛ بما أشار إليه سيبويه (ت١٨٠هـ)، حين أقام تقسيمه للكلام على أُسسٍ من انضباط المعانى وسلامتها، واستقامة الدلالات، وخصوصية الدلالة، فيما يتَّصل بالفعل الكلامى، وآلية استقبال مضمونه من لدن المتلقى، ففرَّق–بناء على ذلك– بين أنماط متباينة من ضروب الكلام، فجعل منه

---

(٨٦) انظر: الاستلزام الحوارى فى رائية عمر بن أبى ربيعة (دراسة تداولية)، د : عبد الباقى على محمد يوسف، حولية كلية اللغة العربية، بإيتاى البارود، العدد الثانى والثلاثون، المجلد الثالث: ٢٨٩٥– ٢٨٩٧

(٨٧) الاستلزام الحوارى فى رائية عمر بن أبى ربيعة (دراسة تداولية) : ٢٩٠٩

مستقيمًا حسنًا، ومحالًا، ومستقيمًا كذبًا، ومستقيمًا قبيحًا، وما هو محال كذبًا، على نحو ما نرى فى بابه الذى وسمه: باب الاستقامة من الكلام والإحالة.(٨٨) وهذا الأمر لا يبعد كثيرًا عن مرتكز الحجاج، بوصفه من مرتكزات التداولية.

ليس هذا فحسب؛ إنما يُشير كلام سيبويه السالف الذكر إلى ضرورة تحقق الاستقامة، والصدق، والتوافق، والقبول، والكفاءة، وذيوع الاستعمال فى الفعل الكلامى، وضرورة وجود ما يؤيد مضمونه فى الواقع، أوما يُمكن أن نسميه: بيئة الفعل الكلامى، كما أكَّد الجاحظ(ت٢٥٥هـ) أن الوضوح الساذج فى الفعل الطلامى يُؤَدِّى إلى الاستثقال، وإصابة ذهن المتلقى بالملل والانصراف عن متابعة الفعل الكلامى(٨٩) وأشار ابن هشام الأنصارى(ت٧٦١هـ) إلى أن فى غياب المتعة، والدهشة، والإحساس بتقدير الذاتية من جهة المتلقى إغفالًا للدلالة التخييلية للقوالب والتراكيب، التى تجعل المَعنى قارًّا أمام المتلقى، وتوفر صورة موازية للمعنى، إذ إن غياب هذه الصورة هو ممَّا يقلل من الإقناع المتعقل، القائم على الاقتناع البصرى؛ مما يسهم فى انعدام اللذة، التى تكون نتيجة النشاط والتفاعل مع النصوص، مما يقوِّى من ضرورة إبقائه شريكًا حاضرًا وفاعلًا فى عمليات الإنتاج والفهم والتأويل، فى إشارة منه إلى أن المُفْهِمَ والمتفهم شريكان فى الفضل.(٩٠) فإذا ما أُنتهكت قواعد التداولية غابت لذة التلقى، وفتُر

---

(٨٨) انظر : الكتاب ، ج١ : ٢٥

(٨٩) انظر: البيان و التبيين : ٣٢٢

(٩٠) انظر إلى افتتاح ابن هشام الأنصارى كتابيه: مغنى اللبيب وشذور الذهب، فنراه يقول: قصدت فيه إلى إيضاح العبارة، لا إلى إخفاء الإشارة, عمدت فيه إلى لفِّ المبانى والأقسام، لا إلى نشر القواعد والأحكام، والتزمت فيه أننى كلما مررت ببيت من الشواهد؛ ذكرت إعرابه، وكلما أتيت على لفظ مستغرب أردفته بما يزيل استغرابه، وكلما أنهيت مسألة ختمتها بآية تتعلق بها من آى التنزيل، وأتبعتها بما تحتاج إليه من إعراب وتفسير وتأويل، وقصدت ذلك تدريب الطالب، وتعريف السلوك إلى أمثال هذه المطالب. انظر فى هذا الشأن: شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب: ٣١

نشاط المتلقى عن المتابعة؛ لذا لم يُجز القُرَّاءُ الوقفَ القبيحَ، الذى يُخلُّ بتمام المعنى، ويُؤَدّى إلى اختلاط الدلالات؛ بسبب المغايرة الدلالية أوالغموض السلبى، الذى يُؤَدِّى إلى التباس المعنى فى ذهن المتلقى، فيتسبب فى خلخلة أو(حلحلة) الدلالة واختلاطها، أو ازدواجيتها، أو مغايرتها، فلا يقبله ذهن المتلقى ولا نفسه.

ويصير من واجبات المؤلف–فى الطرح التداولى–أن يوفِّر بيئة خطابية وسياقية مقنعة للمتلقى حسب نمطه، يكون فيها المعنى مُجسِّدًا الصورة الذهنية القارة فى ذهن المتلقى، وفى جماعته اللغوية، ويكون المتلقى مُدركًا–فى ضوء العلاقة بينه وبين المؤلف– أن هذا اللفظ– لفظًا كان أم إشارة، أم سياقًا اعتباريًّا متكلِّمًا، أو سكوتًا، أو صورة متخيَّلة– إن هو إلَّا صورةٌ لفظية لمعنى أراداه المؤلف وقصد دلالته، بعيدًا عن تقييد المعنى الأصلى بالأشياء الموجودة خارج الصورة الذهنية إلَّا بصورة نسبية؛ على مستوى الصعود والهبوط، فيما يخصُّ أفق انتظار المتلقى، تدرجًّا معه من خلو الذهن إلى إنكاره وجحوده؛ وهنا يبرز دور السياق، وأثره فى توجيه الدلالة، وتحديدها؛ حيث إن الدلالة تتحدد–بشكل كبير–بالسياق العَفْوى، غير الموصوف بالثبات ولا الجمود، وكأن السياق يُضفى إلى الدلالة المعجمية ودلالة الاستعمال دلالة إضافية جديدة، قد تقترب أو تبتعد أو تنفصل عن الدلالتين السابقتين، أوقد تجمع بينهما، أو تلغى إحدى الدلالتين أو كلتيهما؛ بل قد يكون لدلالة السياق الدور الحاسم فى تحديد الدلالة المُرادة، وكأن السياق معيار ضابط، يتحكم فى النحو، والصيغة، والاستعمال، والدلالة المُستنبَطة، والتفسير.(٩١)

---

(٩١) التغيير الدلالى لزمن الفعل فى الصيغ الخبرية البسيطة، دراسة تطبيقية فى النصوص السردية الحديثة، د: حمدى على عبد اللطيف، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد:٤٦، يناير: (٢٠١٨م) الجزء الأول:١٦١

وحين يغيب هذا الواجب يكون المؤلف قد انتهك مبادئ التداولية، خاصة مبدأ التعاون Cooperative Principle والتنظيم، والكمية، ومراعاة طاقة التلقى ونمطه، ومبدأ المناسبة، والطريقة أو الهيئة التى ينبغى أن يكون عليها عرض المؤلف لقصده، وأنه قد مارس ضغطًا فكريًّا ونفسيًّا على متلقيه، وأحيانًا يروغ إلى تعتيم المعنى، والإيغال فى ذلك، حين يُصدر قصائده بألفاظ وتراكيب غير مستعملة، أو حين يتعمد السخرية من أفق انتظاره، أو يتحداه ويمتحنه، من أجل ذلك شكَّلت أبعاد التداولية قيودًا، تحدُّ–قليلًا– من الانبهار من عناصر منجزه الشعرى؛ فترصد عين اللغوى المتأمل للوظيفة الدلالية للقوالب الصرفية عددًا من القوالب والتراكيب اللغوية التى انتهك فيها المُتَنَبِّى بعض قواعد التداولية، وقالب اسم الفاعل بصورة أخص، من حيث الفئة، والهيئة، والموقعية Pradigm، والاستعمال.

وقد أشار بيرلمان Perlman إلى هذا الأمر، حيث جعل واجب المؤلف مرتكزًا على قدرته على استيعاب أهم الأمور التى يتطلبها نفاذ الخطاب التبليغى Gumentative أو الحجاجى؛ فى عملية استلزام حوارى ناجح، محدد المقام، والمخاطب، والإطار القولبى، فجعل من واجبات المؤلف أن يكون على وعىَ محكم بالوسائل والآليات التى من شأنها أن تُحرك المتلقى صوب الفعل الكلامى، والتفاعل معه بما ينسجم مع المقام؛ وتتطلبه مقاصد النص وطموحات الكاتب، وكذلك أن يقدِّم قصده فى هيئة واضحة الأسلوب وضوحًا غير مُسفٍّ، بعيدًا عن الغموض والإكراه، اللذين من شأنهما تنفير المتلقى من متابعة القصد، وأن يوفر لقوالبه وتراكيبه معيارىْ الصحة والتمكن من اللغة، وأن يُحيط بثقافة المخاطبين، ويقدِّر أخلاقهم، وثقافتهم النوعية، وأن يعى سياق الخطاب بين مستخدميه، مراعيًا فى ذلك البعد الاستعمالى، فيما يخصُّ الذيوع اللهجىوالأساليب المستعملة، والدلالات الاجتماعية؛(اللسانيات

الجغرافية).[٩٢]

وإذا كانت محددات الفعل الكلامى من مرتكزات التداولية، فقد درس ابن جنى(ت٣٩٢هـ) ما يتَّصل بمعيار الهيئة، والكمية؛ حيث يُلزم مؤلف الكلام أن يقدِّم قصده فى هيئة تكون فيها الألفاظ علي قدر معانيها؛ وأن تتوالي الألفاظ تبعًا لتوالي المعاني، مما تسمِّيه اللسانيات الحديثة: العتبات النصية، والتي تقضي بأن من مهارة المؤلف أن ينتخب[٩٣] لمعانيها ما يليق لها من ألفاظ، فقال: باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وقد تلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته".[٩٤] وقد أنشأ ابن جني بابًا في إصلاح اللفظ، جاء فيه:" اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمَّة، وعليها أدلة، وإليها موصلة، وعلي المراد منها محصِّلة؛ عُنيت العرب بها[٩٥]، فأولتها صدرًا صالحًا من تثقيفها وإصلاحها؛ فمن ذلك قولهم: أما زيدٌ فمنطلقٌ. ألا تري أن تحرير هذا القول: إذا صرَّحت بلفظ الشرط فيه، صرت إلي أنك كأنك قلت: مهما يكن من شيء فزيد منطلق، فنجد الفاء في جواب الشرط في صدر الجزئين، مقدمة عليهما؛ وأنت في قولك: أما زيدٌ فمنطلقٌ. إنما تجد الفاء

---

(٩٢) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره فى البلاغة المعاصرة،د: محمد سالم ولد محمد الأمين، م عالم الفكر، م ٢٨، ع ٣ يناير/مارس،٢٠٠٠م، المجلس الوطنى للثقافة والفنون و الآداب، الكويت : ٦٧-٦٨

(٩٣) مقدمة ابن خلدون، تحقيق، د: على عبد الواحد وافى، ط بولاق، ١٢٨٤هـ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ، ج٣ : ١٢٦٤

(٩٤) انظر : الخصائص، ج ٢ : ١٥٢- ١٦٨

(٩٥) يُشير ابن الأثير إلى أن ما نقلد فيه العرب فى الاستعمال ، من الاأفاظ و التراكيب أمران، أحدهما: الاستشهاد بأشعارها على ما يُنقل من لغتها. والآخر: الأخذ بأقوالها فى الأوضاع النحوية؛ فى رفع الفاعل، و نصب المفعول، و جر المضاف إليه، وجزم الشرط ، وأشباه ذلك ، وما عداه فلا؛ فإن الاستعمال لا يُخرج اللفظة عن الحسن أو القبح، ومثَّل لذلك بلفظتى: المزنة، أى : السحابة المحملة بالماء، و البُعاق، وهو: السيل الدفَّاع. انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر، ج١: ١٥٧

واسطة بين الجزأين، ولا تقول: أمَّا فزيد منطلق، كما تقول– فيما معناه: مهما يكن من شيء فزيد منطلق، وانما فعل ذلك لإصلاح اللفظ ".(٩٦)

ولم يجعل ابن جني الدلالة المركزية قاصرةً فى القوالب اللغوية؛ فقد جعلها فى الحروف المجتزأة من الكلمة المفردة، والمعبِّرة عن معنى دلالى نوعى، مُشيرًا إلى امتلاك هذه القوالب للقيمة الدلالية التى تستطيع أداء الوظيفة التعبيرية للقوالب الكلامية الكبرى، وذكر أن الكلمة الواحدة لا تشجو، ولا تحزُن، ولا تتملك قلب السامع، إنما ذلك فيما طال من الكلام، وأمته سامعيه، وأن لذة الكلام– وتمامه– تكون في الإطالة تارة، وفي الإيجاز تارة أخري، أو فى الإطالة والإيجاز جميعًا؛ إنما هما فى كل كلام مفيسد مستقل بنفسه، ولو بلغ بها الإيجاز غايته؛ لم يكن له بُدٌّ من أن يُعطيك تمامه و فائدته، مع أنه لابد فيه من تركيب الجملة، فإن نقصت عن ذلك؛ لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب، ألا تري إلي قوله (من مشطور الرجز): (قُلْنَا لَهَا: قِفِي، فَقَالَتْ : قَافٍ).(٩٧) وأن هذا القدر من النُّطق لا يعذب، ولا يَجْفُو، ولا يَرِقُّ، ولا يَنْبُو، وأنه إنما يكون استحسانُ القول واستقباحُه، فيما يحتمل ذينك، ويؤدّيها إلي السمع، وهو أقل ما يكون جملة مركبة.(٩٨) وهذا ما أشار إليه برنارد شبلنر في تحليله للأسلوب، إذ جعله ثلاثة أجزاء، هي :

---

(٩٦) انظر: الخصائص، ج ١ : ٢٦٧

(٩٧) وهو فى الخصائص بلا نسبة إلى قائل بعينه، ونسبه المحقق إلى الوليد عقبة بن أبى معيط، كان عاملًا لعثمان– رضي الله عنه– علي الكوفة، فاتُّهم يشرب الخمر، فأمر الخليفة بشخوصه إلي المدينة، وخرج في ركب، فنزل الوليد يسوق بهم، فقال:

قُلْتُ لَهَا: قِفِي، فَقَالَتْ: قَافٍ — لَا تَحْسَبِينَا قَدْ نَسِينَا الْإِيجَافْ.

وَالنَّشَوَاتِ فِى مَعْتَقٍ صَافٍ — وَعَزْفِ قِينَاتٍ عَلَيْنَا عزاف.

انظر : الخصائص،ج١: ٣٩ – ٤١

(٩٨) انظر : الخصائص، ج ١ : ٤١

- جزء لغوي: يتعامل مع نصوص، وضعت اللغة شفرتها.
- جزء عملي: يسهل فيه تناول أجناس المؤلف، والقارئ، والسياق التاريخي.
- جزء جمالي: يهتم بالتأثير الجمالي علي القارئ.(٩٩) ويتأتى ذلك من خلال وضع بعض الاستراتيجيات الكلامية، بهدف التأثير على الأفكار والعواطف.

وهذا معناه أنه؛ إذا كان الطرح التداولى يجعل من الفعل الكلامى كيانًا متكاملًا؛ فإن إمكانات النحو تهيِّئ للمؤلف أن يقدِّم قصده، بصورة تجتمع فيها مبادئ تداولية متعددة، كالوضوح والخفاء، والزيادة والنقصان، لذا كانت الإمكانات النحوية مُهيِّئة لكثير من الدلالات المحتملة، وغير المتناهية، أو المغلقة؛ وإن رجعت فى الأصل إلى الكلام النفسى.

وإذا كانت الأبعاد التداولية تدرُس اللغة فى موقف الاستعمال؛ من مستوى القالب المفرد إلى النصِّ، ومن درس البنية السطحية(١٠٠)إلى استنباط المعنى المضمن، الذى تركز عليه التداولية أكثر من المعنى السحطى؛ إذ غالبًا ما يمثل المعنى المضمن القصد الحقيقى للمؤلف.(١٠١) فقد ربط عبد القاهر الجرجانى بين المتلقى وإدراكه للقصد، بعمليات الاستدلال والمنطق، ومراعاة المعانى النحوية، وإمكانية التعدد الدلالى للفظ الواحد، أوالتركيب فى إطار الحقيقة والمجاز؛ مع انتقال الدلالات من حد البساطة

---

(٩٩) انظر: علم اللغة والدراسات الأدبية، (دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصى) براند شبلنر، ترجمة: د، محمود جاد الرب، ط١، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م: ١٠٧

(١٠٠) وتشمل: الأصوات المنطوق بها، أو الرسم، حسب محددات اللغة والاستعمال والتفسير، بعبارة مختصرة: بنية الشكل، فى حين تُشير البنية العميقة إلى لغة الانفعال الداخلى، وتشمل: الأفكار، و الشعور.

(١٠١) انظر: نحو اللغة العربية الوظيفى فى مقاربة أحمد المتوكل(الاستلزام التخاطبى أنموذجًا)، محمد يزيد سالم، مجلة حوليات جامعة بشار فى الآداب واللغات، العدد(٢٠) جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٧م : ١٢٤

والسطحية إلى حد التركيب والتعمق، وتعدُّد الاحتمالات الدلالية المتواردة والمحتملة القبول، كما أبرز ذلك الاختلاف الدلالى فى التفسير والتقبُّل، تبعًا لاختلاف أنماط المتلقين، وهو ما تقوم على أساسه فكرة هذا البحث؛ فقد احتفى بأفق انتظار المتلقى، وقدَّم نظريته فى النظم، التى أقامها على أساس تداولى؛ باستحضار المتلقى فى تحديد القيمة البلاغية للنظم، كما أبرز الوظيفة التداولية للاستعارة، بمفهوم الادِّعاء.(١٠٢)

وعقد فصلًا:(فى اللفظ يُطلق والمراد غير ظاهره)، جمع–فى فصله هذا– بين درس القالب اللغوى وحمْله على الظاهر، وإمكانيه حمل الأمرعلى المجاز؛ مشيرًا إلى إمكانية دلالة القالب الصرفى على غير معناه الموضوع له فى الأصل، وحينئذٍ يُدرك هذا المعنى بالتأويل، وفى ضوء الاستعمال والسياق التداولى، وشمل بحديثه: الكناية، والاستعارة، والمجاز، وأشار إلى مجاوزة المؤلف المعنى الحرفى، المتأتِّى من ظاهر اللفظ، إلى المعنى المضمَّن، الذى يحتاج إلى دليل، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ(١٠٣)، بقوله:" أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعانى؛ فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة، ولكن يجىء إلى معنى هو تاليه و ردفه فى الوجود؛ فيومئ به إليه، و يجعله دليلًا عليه".(١٠٤)

ما سبق يجعل الباحث مطمئنًا؛ حين يدِّعى بتجذُّرِ أبعاد النظرية التداولية فى تراث الأسلاف، القدماءوالمحدثين، (ولعل أفضل مَنْ يُمثِّل هذا الأمر من القدماء): الزمخشرى(ت٥٣٨هـ)، والسكاكى(ت ٦٢٦هـ)؛ فيعد الأخير من أهم النماذج التى استجابت منجزات درسهم للطرح التداولى، من وجهة نظر الباحث، إذ إن السكاكى قد

---

(١٠٢) بلاغة الإقناع (دراسة نظرية و تطبيقية) : ٤٠

(١٠٣) انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ج١: ٤٩

(١٠٤) انظر : دلائل الإعجاز: ٦٦

ألزم المؤلف بأن يكون ذا مقومات إبلاغية وملكات تواصلية وإدراكية، وجعل ذلك شرط فصاحة، وسببًا فى بلوغ المتكلم مراده، بعيدًا عن التعقيد والتنافر، وأن يجعل الطريق إلى المعنى ممهدًا، غير معقد، بأن يفتح صاحبه لفكرته الطريق، ويمهده.(١٠٥)

ويغيب التعقيد؛ حين تعرض القوالب والتراكيب قصدًا غير مشوب بالتناقض الدلالى، الذى يقع فى الشيوع والمشاكلة، بين الصواب والخطأ؛ إلَّا ما يقوم به مؤلف الكلام من تقرير الصواب، أو نفى الخطأ، ويضع لكل موضع دلالى قالبه، حسب مقتضى القصد، فلا يضع اسم الإشارة موضع الضمير إلَّا لقرينة؛ وكذلك حين يغلب على بلاغ المؤلف سمة الجدية، بعيدًا عن التهكم والسخرية إلَّا لعلة، أو لسياق، وعند رغبته فى أن يهيى ذهن المتلقى لتمكن القصد، وأن يستدعيه ما يعقبه من معانٍ لازمة؛ وذلك أن المتلقى متى لم يفهم معنى ما، بقى منتظرًا العقبى، ومحاولًا البحث عن تمام الكلام كيف تكون.(١٠٦) فى إشارة منه لمجاوزة المؤلف للتركيب السطحى للعناصر الكلامية؛ ولوجًا إلى عناصره الحاملة على تحقق الدلالات التركيبية؛ التى تضبطها مبادئ الكمية والهيئة والعلاقة بين المؤلف والمتلقى، مع اعتبار قوة السياقات التداولية، تلك العلاقة التى يضبطها الافتراض المسبق Presupposition بينهما، والذى يحدد ضوابط العملية التواصلية(١٠٧) فإذا شملت هيئة القصد تلك السمات؛ توفرت شروط الإقناع، بما يُفضى إلى اقتناع المتلقى بالقصد وقبوله؛ بل يتخذ مواقف سلوكيَّة واضحة، تدل على ذلك، أو تبدو عليه أمارات القبول الضمنيّ.

<u>(ولعل خير من يمثِّل اللغويين العرب المحدثين)</u>، فيما يخص الطرح التداولى

---

(١٠٥) انظر: مفتاح العلوم ، للإمام السكاكى، المتوفى عام ٦٢٦هـ، ضبطه وكتب هوامشه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ١٩٦

(١٠٦) انظر: مفتاح العلوم : ١٩٧ – ١٩٨

(١٠٧) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى:١٣٥

الدكتور طه عبد الرحمن، حين استعاض عن مصطلح التداولية، بمصطلح التفاعل، أو التفاعلية، أو المفاعلة، ولعل هذا أنسب ما يعبر به عن إدراكه للمعنى الوظيفى لهذا المصطلح، وعبَّر به عن تبادل العلاقات والأدوار والوظائف بين طرفى عملية التواصل فى ضوء الدلالات الاجتماعية.(١٠٨)

المبحث الخامس : بين علمىْ الدلالة والتداولية :

يستشعر المتعرضُ لدرس الخطاب اللغوى أن العلاقة بين علمىْ الدلالة والتداولية–بوصفهما منهجًا من أهم المناهج اللسانية الحديثة– علاقة متشابكة متداخلة؛ حيث يُعنى علم الدلالة بالشروط الواجب توافرُها فى الرموز ؛المكتوبة والمنطوقة، حتى تكون قادرة على حمل المعنى؛ وقد تكون هذه الرموزُ علاماتٍ على الطريق، أو إشارة باليد؛ أو قد تكون إيماءة بالرأس؛ أو قد تكون عناصر إشارية غير متلفظ بها، على نحو من نرى فى الدلالة الوظيفية لحركة العين أو الجسد، أو لون الوجه، أو حركته، سواء تخضع هذه الرموز لمعايير النظام العام للغة ومحدداته أم لا تخضع، وارتباط ذلك بضوابط عملية التلقى والتفسير، بوصف التواصل اللغوى، نمطًا دلاليًّا ذا محددات تداولية.(١٠٩)

كما ينطلق علم الدلالة–فى درسه للبنية اللغوية– من دلالتها المعجمية Lexical meaning، بوصفها الوحدة اللغوية الأساسية المشكِّلة للمعنى الحرفى(المعنى المعجمى)؛ ويعبَّر عن ذلك بإشارة البنية إلى معنى ما فى نفسها؛ بعيدًا

---

(١٠٨) اللسان والميزان، أو التكوثر العقلى : ٣٩٧

(١٠٩) انظر : الإشاريات التداولية فى مقالات عبد العزيز البشرى، دراسة تحليلية فى كتاب المُختار، د : صلاح محمد أبو الحسن مكى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بورسعيد ، العدد الخامس والعشرون ، يوليو، ٢٠٢٣م ،ج١: ٣٦٠

عن تباين السياقات، والمعانى الجديدة التى قد يُشكلها السياق، إذ له الدور الحاسم فى تحديد الدلالة، فينحصر معنى ما فى بنية لغوية ما.(١١٠) وبالرغم من اتِّكاء علم الدلالة على المعانى المعجمية للبنى اللغوية، فإنه لا تقتصر عنايته عند حدِّ الجوانب المعجمية من المعنى، بل يُجاوز ذلك إلى الجوانب القاعدية والدلالية، فيدرس البنى المفردة، والجمل التركيبية؛ كما يشمل دراسة العلاقات الدلالية، من مثل الترادف، والاشتراك اللفظى بين البنى الصرفية، والتضاد، والأضداد؛ والمعانى الكلية للتراكيب والجمل، وعلاقة الألفاظ بسياق الدلالة التاريخى، وتطور المعانى، حسب عصورها التاريخية.(١١١)

لكننا نجد أن التداولية تتجاوز البنية الخطابية السطحية إلى دراسة ما ينجح به المؤلف فى إنفاذ عملية الإبلاغ، وما ينجح به المتلقى فى عمليات التقبل والتفسير؛ فى ضوء تقنية التواصل، ومحددات السياق، ومفردات القصد؛ وهى تتجاوز حدود الوضع والدلالات المعجمية، أو المباشرة؛ إلى المعنى السياقى غير المباشر.(١١٢) كما أن التداولية تُعنى بدراسة القوالب اللفظية والتراكيب اللغوية فى الاستعمال أو التواصل، بمعنى أنها منهج لدراسة اللغة فى واقع التحدُّث به، مع مراعاة الأبعاد البيئية، والزمانية، والمكانية؛ إيمانًا منها بأن القصد ليس شيئًا ماديًا، تستطيع القوالب اللفظية والتراكيب اللغوية أن تنفرد بالتعبير عنه، ولا أن تضمن– وحدها– تفسيره على نحو ما أراد له مؤلفه، بل قد يكون إطارًا معنويًّا، يقع على الأمور الحسية، و الأحوال المشاهدة عبْ

---

(١١٠) انظر : دلالة الكلمة العربية بين الاستاتيكية والديناميكية ، د : وفاء حسن على زيادة ، نسخة pdf : ٩١٧

(١١١) انظر : مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب : ١٠ – ١٣

(١١٢) انظر : النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د: محمود عكاشة، ط١، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠١٣م : ٢١

التعبير عنه؛ وهذا معناه أن عبء المعنى لا يختص به المؤلف وحده ولا المتلقى وحده؛ إنما هو كائن حى، يتشارك فى صناعته وإنتاجه، كيانات متداخلة من أمثلة؛ القوالب والتراكيب، وسياق الزمان والمكان، وطبيعة التفاعل بين مستخدمىْ القصد، والسياقات التاريخية والبيئة.(١١٣) ففى ضوء العلاقة التخاطبية التبادلية بين المؤلف والمتلقى لا يتَأَتَّى لمؤلف البلاغ أو الخبر أن ينشئ بلاغًا أو خبرًا، من دون أن يُشرك معه أحدًا غيره، فيقع على المؤلف عبء إنشائه، وتحويله إلى فعل كلامى منجز؛ ويقع على المتلقى عبء تقبله، وفهمه، وتفسيره، والتأثير به، والقيام بفعل سلوكى، يُمكن –من خلاله– أن يُستدَل على تأثر المتلقى به.

وهذا معناه أن التداولية تعنى–فى أخص أمورها– بالاستعمال(١١٤) اللغوى للقوالب اللغوية والتراكيب، تلفظًا، واستعمالًا، وتفسيرًا، وحياة لهذه القوالب والتراكيب فى الاستعمالات التواصلية(١١٥) والتفاعل بين المؤلف والمتلقى فى موقف الاستلزام التحاورى؛ انطلاقًا من عناية التداولية بدراسة اللغة، من حيث وظيفتها، ومن حيث تواصُلُ المتكلمين بها، من خلال عناصرها وفق سياقات نوعية؛ وبصورة موجزة: تُعْنَى التداوليةُ بدراسة اللغة أوالمعنى، كما يُوصِلُه المؤلفُ، وكما يفسره المتلقى وفقًا لمحددات سياقية خاصة بعملية التواصل(١١٦) أى: تحليل ما يعنيه القالب أو التركيب(س)، وماذا

---

(١١٣) انظر : انظر : الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك :٢

(١١٤) يعظم العلوى قوة الاستعمال فى التحديد الدلالى؛ حتى أنه يعتمد التحليل القائم على اللغة العرفية، وإن نُقلت من معناها إلى معنى آخر، بعُرف الاستعمال، سواء كان عرفًا عامًا أم خاصًا. انظر : الطراز ، ج١ : ٥١

(١١٥) انظر: ظواهر نحوية برؤية تداولية: ١٧٢

(١١٦) انظر : الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك :٨

كان يقصد بهذا القالب أو التركيب (س)؟، وكيف استطاع المتلقى أن يفسر هذا القالب أو التركيب تفسير(ص)، وما مدى مصداقيته واحتماليته؟.

وكأنّ التداولية تقتضى مختلف المحددات الدلالية، من: القالب اللفظى والتركيب([١١٧])، والاحتمال الدلالى، ومبررات التقبُّل. وسياقات العرض والتفسير، حيث إنه لا يُمكن–بحال–إنكار أن العملية التواصلية–فى ضوء النظرية التداولية– تجعل من واجبات مؤلف الكلام أن يسوق–إلى متلقيه– الصور المنطقية، وتوضيح الغموض السلبى، الذى يُحطِّم المنطق، وينتهك القواعد اللغوية([١١٨]) وتقديم توضيحات للاستدلال؛ تقدِّمُ روافدَ قويةً للقصد المركزى، وتَعْقِدُ ضفيرةً متكاملةً بين النفس، والمنطق، واللغة، وسياق الاستعمال، والجمال، مُرْتَكِزَةً على ادِّعاءٍ بأن المنطقية الدلالية هى سبيل المتلقى للفهم، وتقبُّل القصد، وكأن هذه المنطقية الدلالية حُجَّة عليه من روافد الثقافة والاستعمال".([١١٩]) لذا فإن التداولية تختص بدراسة المعنى كما يُريده المؤلف، أو الحالة أو التجربة أو المهارة التى يُريد المؤلف إبلاغها للمتلقى، كما تدرُس آليةَ المتلقى فى تفسير ما تحمله القوالب والتراكيب الكلامية المستعملة من معانٍ، وترتبط بتحليل ما يعنيه المؤلفون من كلامهم الملفوظ، والإشارى، والسياقى؛ المتلفظ به والمضمَّن فى فعل القول؛ بأقصى الطاقات الدلالية التى تحملها تلك القوالب الكلامية، فى محاولة لفهم قصد المؤلفين وراء خطابهم.([١٢٠])

([١١٧]) انظر : الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك :٩

([١١٨]) انظر: من مظاهر الحداثة فى الأدب(الغموض فى الشعر): ٣٤

([١١٩]) انظر: آليات الحجاج فى مقدمة ابن خلدون، دراسة تداولية، شيماء عبد السلام أحمد محمود، مجلة علوم العربية، المجلد الثانى، يونيه /ديسمبر، جامعة بنى سويف، ٢٠٠٢م: ٩٣

([١٢٠]) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى: ١٥

ما يعنينا –فى هذا الموضع– هو تأكيد التداخل القوى بين النظرية التداولية وعلم الدلالة فى دراسة المعنى([١٢١]) فإذا كان الثانى يدرس المعنى، حال كونه هاجسًا فى النفس، ومن ثم قوالب منتخبة، ثم عناصر صرفية متلفظ بها، تخرج حاملة لمعنى نوعى؛ فإن الأولى تُعنى بدراسة سياق التلفظ والتأويل، ومحددات تفسير المتلقى للرموز اللغوية، المنطوقة، أو المكتوبة، وفقًا لمحددات معينة، قد تكون من تلقاء ذاته، أو تكون من محددات الدلالات الاجتماعية للقوالب الصرفية والتركيبية، التى قرَّت فى ذهن العامة؛ أو قد تكون خارج الفكر الجمعى للدلالات الثقافية للقوالب الصرفية، أو قد تتداخل– فى تفسيرها– مع سياقات متعددة، يشمها ما يُسمى: السياق التداولى.([١٢٢]) وهنا يصبح قالب اسم الفاعل ذا صلة وثيقة بعلميْ الدلالة والتداولية؛ ويشغل منطقة وسطى بينهما، ويقع عبء الإدراك الحقيقى لدلالته على سياق الاستعمال التداولى.([١٢٣])

ويَحْسُن التأكيدُ أن القوالب اللغوية تشترك فى توظيفها بين العِلمين، فهى من حيث الصياغة، والبنية، والتشكيل، تندرج تحت لواء علم الدلالة، ومن حيث الإلقاء، والاستعمال، والتفسير وفقًا لسياقها، تندرج ضمن أبعاد الدرس التداولى، ولا يزعم

([١٢١]) انظر : التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى : ١٥

([١٢٢]) انظر: تحليل الخطاب، مبادؤه، تطبيقاته، نقده، د : صبرى إبراهيم السيد، ط١، مكتبة الآداب، ٢٠٢٠م، القاهرة:٥١

([١٢٣]) حرى بالباحث أن يُشير– فى هذا الموضع– إلى دقيقة ذكرها ضياء الدين بن الأثير، حيث يقرر أن الاستعمال ليس بدليل على الحسن، فإذا نحن نستعمل الآن ما ليس بحسن، وإنما نستعمله لضرورة، فليس استعمال الحسن بممكن فى كل الأحوال؛ وهذا طريق يضل فيه غير العارف بمسالكه، وهو باب لا يؤخذ بالتقليد عن العرب، وإنما هو سياق خاص، له سمات و هيآت، يُعرف بها حسنُه وقبحه ، انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ج١: ١٥٦ – ١٥٧

الباحث حين يُقرر أن الدلالات الصرفية للقوالب، والمعايير النحوية عناصر مهمة فى إنجاح عملية التواصل التداولية، مع التأكيد أنه لا قيمة للمفردات، أو القوالب، أو العبارات؛ بعيدًا عن سياقها.([١٢٤])

ومهما يكن من أمر؛ فإن العلاقة بين العلمين متشابكة([١٢٥])، من باب التكامل، حيث إن كليهما يدرُس الدلالات التى تجسدها العناصر اللغوية؛ بيد أن علم الدلالة يختص بدراسة المعنى، أو مدى توافر الشروط فى القوالب اللغوية للتعبير عن معنى ما؛ أما التداولية فتدرس استعمال العناصر اللغوية، ومدى اتصالها بالقواعد والأصول، والدلالات الاجتماعية، بالإضافة إلى حديث السياق، والانعكاسات الدلالية لفعل المجاز والإيحاء، بوصفهما ضمن الأفعال الكلامية ذات الدلالات المضمنة؛ وتشمل التداولية– فى درسها– تكوين القوالب، وتشكيل التراكيب، وتفسير المقاصد.([١٢٦]) وكأن التداولية تدرس كل جوانب المعنى التى تهملها النظريات الدلالية.([١٢٧]) فيما يتصل بالمعانى المباشرة، وغير المباشرة، بالإضافة إلى أن التداولية تعد حقلًا خصبًا، يجد فيه كل لفظ مستعمل التفسير الذى فات علم الدلالة الإحاطة به؛ حيث إن التداولية تعتمد– فى تعرضها للقوالب والتراكيب–على منهج الاستدلال والبراهين الكلِّيَّة، التى تجعل التأويل أقرب إلى الصواب، أو التأويل المحمود، ومن ثَمَّ يستطيع المتلقى الاستدلال عن

([١٢٤]) انظر : الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك: ١، بعد المقدمة.

([١٢٥]) وهذا ما أكده الإستراباذى فى جعله علم الصرف جزءًا من أجزاء علم النحو. انظر: شرح شافية ابن الحاجب، ق١،ج١: ٧

([١٢٦]) انظر : الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك :١١

([١٢٧]) انظر : دلالات العدول الصرفى فى القرآن الكريم، عبد الناصر مشرى، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب واللغات، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية: ٢٠١٣م/٢٠١٤م ، نسخة pdf : ٣١٨

المعنى الذى قصده المؤلف، من خلال الاعتماد على أبعاد الطرح التداولى، والتى من أهمها:

- معنى ما قاله المؤلف.
- الافتراضات المسبقة، والسياقية، والمبادئ التواصلية العامة التى يحرص المؤلف عادة على اتباعها أثناء عملية التواصل، والتى يُمكن من خلالها وصول المتلقى إلى المحتوى الضمنى أو القصد المركزى المضمَّن، الذى أراده المؤلف.(١٢٨)

فى هذه الحال قد لا تبالى الدلالة الصرفية "بما تمليه القواعد بصورة مطلقة، ولا بمقتضيات العُرف التفسيرى، حين يتعلق الأمر بالتجليات الإبداعية، ولا بتقاليد الكتابة، خاصة فيما يتصل بالمُعَرَّب، والدَّخيل، والمصنوع، والمنحوت، وخصوصية بيئة الرسم الكتابى، الأشكال اللَّهَجيَّة، وهنا يوصف المؤلفُ بأنه راغبٌ فى تحدى القارئ فى ثقافته، وقدرته على تقبل التلقى وإنفاذه، والتفاعل معه، والوصول إلى التفسير المنطقى المحتمل، بل قد ينتهج المؤلف نهج التحدى للمتلقى فى معتقده، تارة بتسطيح المعنى، وإبرازه من خلال المعنى الحرفى للقوالب والتراكيب، وأخرى بالصدمة أوالمباغتة الدلالية، وإلقاء دلالات إلى ذهن المتلقى- من باب التقييد و التخصيص- مما لم يكن فى ثقافته، ولا حسبانه، ولم يتصل بالدلالات المتوقعة لديه".(١٢٩)

وإذا كانت مهام علم الدلالة تكاد تنحصر فى دراسة البنية اللغوية فى حد ذاتها، من حيث الصياغة، والفئة والموقعية، وكل ما يقوم بدور فى إبراز المعنى اللغوى

---

(١٢٨) انظر:التداولية، جورج يول، ترجمة:د: قُصى العتَّابى،ط١،الدار العربية للعلوم،ناشرون،دار الأمان،١٤٣١هـ/٢٠١٠م:١٣

(١٢٩) انظر: من مظاهر الحداثة فى الأدب(الغموض فى الشعر): ٣٠

للقوالب الصرفية والتراكيب، فى ضوء محددات علم النحو، أو النظام اللغوى المعيارى، فتختص مهام التداولية فى دراسة الاستعمال اللغوى، ودراسة البنية اللغوية عند استعمالها فى السياقات المقامية المختلفة والمتعددة؛ أى بوصف البنية اللغوية كلامًا محددًا، صادرًا من متكلم محدد، وموجهًا إلى مخاطب محدد، بلفظ محدد، فى مقام تواصلى محدد؛ لتحقيق غرض تواصلى محدد.(١٣٠) وبذلك تبدو التداولية أعمَّ فى دراسة المعنى من علم الدلالة؛ إذ إنها تعنى بكل ما يتصل بالقصد، صياغة، وانتخابًا، وإلقاءً، وتقبُّلًا، وتفسيرًا؛ وفى تجاوزها العلامات الدالة؛ لغوية كانت أم غير لغوية إلى سياقات التلقى، والتفاعل، والسلوك بإيقاع فعل ما. لذا يُنظر –عند كثير من اللسانيين– إلى التداولية بوصفها علمًا، يختص بتقصى كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق؛ لغرض تفسير اللفظ، ومساعدة السامع على ملء الفراغ، الذى يحصل بين المعنى الحرفى، والمعنى الذى يقصده المتكلم.(١٣١)

<u>المبحث السادس : القيمة التداولية لاسم الفاعل:</u>

تكتسب المشتقات الصرفية قوتها من كونها تجمع–فى الغالب– بين خصائص الأسماء والأفعال، وأحيانًا المصادر، فنجدها كثيرًا ما تدلُّ على الحدث المُنْجَز، والذات الفاعلة، مع التحرُّر –أحيانًا– من قيود الحدث والزمن، أو الدلالة على الأغراض البلاغية، يتمثل أخصُّ هذه الأغراض فى دلالتها على التكثير فى إيقاع الحدث والمبالغة فيه. ولا أدلُّ على ذلك من وجود التركيب الإضافى: اسم الفاعل، الذى يُشارك الفعل فى الدلالة والعمل؛ فقد أشار هذا المركب الإضافى إلى ما يذهب إليه الباحث،

---

(١٣٠) انظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، د : مسعود صحراوى، ط١، دار الطليعة، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٥م : ٢٦

(١٣١) انظر: التداولية: ١٣

من امتلاك هذا القالب الصرفى لخصائص الأسماء، ودلالات الأفعال وعملها، فهو يدل على الحدث؛ بالإضافة إلى إطلاق هذه الدلالة من دون توقف، فى إشارة إلى استمرار حدوثه، وتجدد دلالته، ويُشارك الفعل فى عمله، من حيث التأثير فى معموله أو معموليْه، أو معمولاته، فيما يتصل بالتعدى واللزوم، والرفع أو النصب؛ فصار لبنة جوهرية من لبنات الدلالة الكلية للتراكيب، بل النص بتمامه؛ إذ تتمركز حولها قصدية المؤلف، فيحملها قدرة على العدول بالمعنى نحو تفسير معين، أو توليد معانٍ، ودلالات، يصحُّ أن نصفها برافد الفيوض أو الاحتمالات الدلالية الممتدة، التى قد تخرج عن المعانى التى وُضعت للقوالب والتراكيب فى أصل الوضع، وهذا ما أكسب اسم الفاعل تفاوتًا فى القوة الدلالية من بين سائر المشتقات.

وتجدر الإشارة إلى أن المقصود بتداولية اسم الفاعل هو إمكانية انتقال دلالته وتغيُّرها– حسْب سياق الاستعمال– من المعنى الأصلى إلى دلالات أخرى، على سبيل التوسُّع، أو التخصيص، أو التقييد، أوالتطور الدلالى؛ ولعل أول ما نجده فى هذا الشأن، هو ما تناوله سيبويه(ت١٨٠هـ) من الإقرار باختلاف القوالب فى الدلالة الصرفية؛ فقد جعل الأساس فى عملية الانتقاء للقوالب والتراكيب هو خضوع اللغة لحديث النفس لدى المؤلف ولقصده وإرادته؛ فالمعنى يتغيَّر بالقوالب الصرفية؛ مثلما يتغير بالحركات، ويكون اختلاف الدلالة تبعًا لاختلاف القالب المنتقَى صيغة، واستعمالًا؛ فالدلالة الصرفية للصيغة الفعلية: ذَهَبَ؛ بفتح الذال، والهاء، والباء، تُغايرُ الدلالةَ الصرفيةَ للصيغة الاسمية: ذَهَبٌ، بفتح الذال، والهاء، مع خضوع مورفيم الإعراب للموقعية النحوية للقالب الصرفى فى التركيب، وللعوامل النحوية اللفظية والمعنوية الداخلة عليه، فقد أدى اختلاف البناء الصوتى واختلاف البنية المقطعية إلى

اختلاف الدلالة.(١٣٢) كما أن التنوع الدلالى فى الاستعمال اللغوى مرهونٌ بتنوع الصيغ الصرفية، وهذا ما يدفع مؤلف الكلام إلى إجراء انتقاء من بينها ما يعبر عن معناه الذى يُريده، من دون غيره.(١٣٣) لذا ينتقى المؤلف من القوالب الصرفية قوالبه الصرفية فى ضوءِ قدرتها على التعبير عن القصد المركزى، وتحقيق الاختصار فى الأداء، وتوفير البيئة الإقناعية للمتلقى.(١٣٤)

فى هذا السياق يُعد اسم الفاعل أكثر هذه المشتقات أهمية فى الدرسين التصريفى والنحوى، على حدٍّ سواء، وترجع أهميته إلى كثرة استخدام صِيَغِهِ فى الكلام، ويرجع ذلك إلى صلاحيته فى الدلالة على الحال فى وضعه الحقيقى، هذا من جهة، ولشبهه بالفعل المضارع، من حيث الصيغةُ والدلالةُ، من جهة أخرى؛ تلك المشابهة التى تأتى من كوْن اسم الفاعل قالبًا صرفيًّا يدل على حدث، وعلى فاعل قام به، أو قام الحدث فيه، بالإضافة إلى الميزات الدلالية لهذا القالب ؛حين يُحمل على المجاز، فيحمل الزمنين، الماضى والمستقبل.(١٣٥)

---

(١٣٢) انظر: حديث سيبويه عن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين فى: (هذا باب اللفظ للمعانى)، وجعل منه: اتفاق اللغظين والمعنى مختلف، نحو: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت : إذا أردت وجدان الضالة. ومثل ذلك حديث عن الدلالات المختلفة للقوالب والتراكيب فى: (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة). انظر: الكتاب، ج١: ٢٤-٢٥

(١٣٣) انظر: الصيغ الصرفية فى سورة نوح ، دراسة دلالية : ٣٣٣

(١٣٤) انظر: الصيغ الصرفية فى سورة نوح ، دراسة دلالية : ٣٣٧

(١٣٥) بيد أنه توجد فوارق دقيقة بين اسم الفاعل والفعل المضارع، فالفعل- بصيغته- يدل على تجدد الحدث ووقوعه على سبيل التدرج؛ أما اسم الفاعل فإنه- بصيغته- يدل على صفة حلَّت بصاحبها. انظر: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، د: صالح سليم الفاخرى، (د.ط) مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٦م: ١٩٤- ١٩٦

ذلك القالب الصرفى الذى يمتاز –من بين سائر المشتقات– بكونه واصفًا للذات الفاعلةِ للحدث، انطلاقًا من دلالته على معنى الحدوث، فهو يشمل الفاعل مع حدثه؛ كـ: ضارب، ومُكرِم([١٣٦]) مع تأكيد حيوية الحدث والحدوث([١٣٧]) ويقصد بالدلالة على الحدث، تحققه، نحو قولنا: إن الصيغة الصرفية(ضَارِبٌ) دالة على الحدث، وهو الضرب، بالإضافة إلى دلالتها على الحدوث، وهو الانتقال والتغيُّر، فى الدلالة والزمن، كما يدلُّ– أيضًا– على الذات الفاعلة، وهو صاحب الضرب، الذى قام به، أو اتُّصِف به، حال القول بفاعلية المعنويات، والجمادات؛ وقد تحقق ذلك فى قالب اسم الفاعل كونه مشتقًّا([١٣٨])، فالقصد حاضر فى ذهن المتلقى مدة التكلم، يطرأ، فيزول، فيُكسب التراكيب تجددًا وحيوية، لاسيما حين يدلُّ اسم الفاعل على الحال أو الاستقبال؛ مما يرفع الكفاءة الإعلامية للقوالب والتراكيب؛ بل الخطاب التبليغى كله، فتتصاعد درجة التداولية بين المؤلف والمتلقى.

وقد فطن الشيخ الحملاوى إلى القوة التداولية لاسم الفاعل، حين أشار إلى أن اسم الفاعل أصل المشتقات، وأن مصدر قوته فى اشتقاقه من المصدر المبنى للفاعل، الذى تصدُر عنه كل المشتقات وكل الدلالات، إذن فلا عجب أن تصدر كل المشتقات

---

(١٣٦) انظر: شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصارى، وبهامشه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، محمد محى الدين عبد الحميد، (د .ط)، دار الطلائع، ومكتبة الساعى، القاهرة، ٢٠٠٤م : ٣٩٦

(١٣٧) انظر : الدلالة الصرفية لاسم الفاعل واسم المفعول، د : حسام عبد على الجمل، جامعة بابل، كلية التربية الأساسية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد: الثالث والخمسون، ٢٠٠٨م: ٨٧

(١٣٨) انظر : شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، ابن مالك،(ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحى السيد، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٢: ٣٩٨

من اسم الفاعل، وتكتسب قيمتها الدلالية والتداولية من صيغته، أو دلالته، أو كلتيهما معًا.(١٣٩)

فإذا كانت التداولية تُقيم أبعادها على أن من واجبات المؤلف أن يضمن لمتلقيه تحقق مبدأىْ الصدق والصحة فى مضمون خطابه اللغوى، فقد يستأنس المتلقى بهذا الصدق فى إقناع نفسه؛ بوصف التصرفات اللغوية أفعالًا كلامية تكون السبب فى قبول القصد أو رفضه؛ فإذا ضاعت علاقة الصدق بين المؤلف والمتلقى، انصرف المتلقى عن متابعة حديث المؤلف، وملَّ التفاعل معه، وهنا تنخفض درجة التداولية فى الاستعمال اللغوى، وقد جعل سيبويه يقينَ المتكلم من وجوب استقرار الحدث والدلالة هو السببَ فى كل تصرُّف لغوى أو تركيبى.(١٤٠) وفى هذا المعنى يقول العلوى:" خيرُ الكلام ما خرج مُخرَجَ الحقِ، وجاء على مِنهاج الصدق، من غير إفراط ولا تفريط، بعيدًا عن الإغراق والغلو، جاريًا على استعمال المألوف والأساليب المعهودة".(١٤١)

حيث تُستمد عمليةُ الانتقاءِ بين البدائل الصرفية من مقدارالدلالة الصرفية للقوالب، تلك الدلالة المُسْتَمَدَّةُ من بنية القالب المستعمل، حيث إن هذا البناء الشكلى هو الذى يُحدد الدلالات المحتملة للقالب، على سبيل التضييق الدلالى أو توسعة الدلالة وتعميمها، أو تخصيصها وتقييدها، أو تطويرها؛ وكأن هذا الصوامت والصوائت، وسياق الاستعمال هو ما يشكل الإطار الدلالى للقالب الصرفى، فى ضوء دلالاته

---

(١٣٩) انظر: شذا العَرف فى فن الصرف، الشيخ: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوى،(ت١٣١٥هـ)، قدم له وعلَّق عليه، د:محمد بن عبد المعطى، خرَّج شواهده ووضع فهارسه، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع؛ (د.ط)، (د.ت):١٢١

(١٤٠) انظر: الكتاب، ج٣ : ٤٠– ٤١

(١٤١) انظر : الطراز ، ج ٣: ١١٧ – ١١٨

الاجتماعية فى الاستعمال التداولى.(١٤٢) وفى ضوء مبدأ التعاون بين المؤلف والمتلقى على تحقيق الهدف من عملية التواصل، فتتحد الافتراضات المسبقة، والخلفيات المعرفية، والنفسية، والاعتبارات العقلية والتخطيط المنضبط فى توجيه الاستعمال اللغوىوتحديد الدلالة فى التَّحاوُر الفعَّال.(١٤٣) وحيث تتحقق المشابهة بين اسم الفاعل والفعل؛ فى العمل، والدلالة، وأحيانًا الوزت الصرفى؛ فإن الكوفيين قد أطلقوا على قالب اسم الفعل: الفعل الدائم؛ حيث يقسمون الفعل إلى: ماضٍ، ومضارعٍ، ودائمٍ؛ ولا يقصدون بالفعل الدائم فعل الأمر، ولكنهم يُريدون به اسم الفاعل(١٤٤)

ويجعل سيبويه(ت١٨٠هـ) للمشتقات قوة الأفعال، فيجعلها بمنزلة الفعل المضارع، إذ لاحظ العلاقة القوية، والمشابهة الدلالية بين اسم الفاعل(١٤٥) والفعل المضارع(١٤٦)، ممَّا حدا به أن يُفرد بابًا- في كتابه- عن إجراء اسم الفاعل مجري الفعل، يقول:"هذا باب اسم الفاعل الذي جري مجري الفعل المضارع في المفعول في المعني، فإذا أردت فيه من المعني ما أردت في يفعل كان نكرة منونًا؛ وذلك قولك :

---

(١٤٢) انظر: الدلالة الصرفية لاسم الفاعل واسم المفعول: ٨٨

(١٤٣) انظر: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى: ٩٨

(١٤٤) انظر : العدول الصرفى ودلالته فى باب اسم الفاعل، د: عامر صلاح محمد ، مجلة اللغة العربية والعلوم الإنسانية، العدد(٢)- يوليو ٢٠٢٢م: ٦٢

(١٤٥) تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث لا يتعرض لدراسة أبنية اسم الفاعل، وطرائق صياغته، ولا أحكامه، ولا شروط إعماله أو إهماله، بالإضافة إلى أنه لا يدرس ما يُصيب بنيته من إعلال وإبداع، أو قلب، أو زيادة أو حذف؛ إنما يدرس القيم الدلالية لقالب اسم الفاعل، بوصفة قالبًا صرفيًّا، يُؤَدِّى وظيفة دلالية، وتركيبية، شكلت مبادئ التداولية قيدًا أمام فيوض دلالاتها .

(١٤٦) يقول ابن مالك: فإن اسم الفاعل محمول على الفعل المضارع فى الإعراب، حيث استحق العمل، لأنه وقع موقعًا يجب تأويله فيه بالفعل، فحُمل اسم الفاعل عليه فى العمل. انظر: شرح التسهيل، ج٢: ٤٠٣

هذا ضاربٌ زيدًا غدًا. فمعناه وعمله مثل: هذا يضرب زيدًا غدًا ".(١٤٧) رغم أنه اكتفى بالتمثيل له فى صدر الكتاب، وجعله من الأسماء، قال: " فالاسم: رجلٌ، وفرسٌ، وحائطٌ".([١٤٨]) يُفهم– من كلام سيبويه– أن اسم الفاعل يمسُّ الحدث المجرَّد، ولا يتضمَّن معنى الاسمية المجرَّدة، بل يدل على الحدث دلالة نسبيَّة؛ حين يتشابه مع دلالة الفعل المضارع، فى الإحاطة بالحال والاستقبال، بالإضافة إلى تجدد الحدث على سبيل الحيوية والحركة، وليس الثبوت، حيث إن الثبوت هو الفارق بين دلالة اسم الفاعل([١٤٩]) والصفة المشبهة، فإن الأخيرة موضوعة لتدل على معنى(ثابت).([١٥٠]) وقد تابع الجاحظ ما ذهب إليه سيبويه؛ فجعل عملية الانتقاء حقًّا أصيلًا للمؤلف، حيث تعبر عن قصد، لا يُدرك مفرداته غيره، يقول:" وقد يستخف الناس ألفاظًا، ويستعملونها، وغيرها أحقُّ بذلك منها، فى إلزام المؤلف بأن يُراعى ما عليه العامة، وأن يتفقَّد من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر، وأولى بالاستعمال، ولا يعنى هذا أن يروغ المؤلف إلى اللغة الأقل، أو الأضعف، بل المستعمل الظاهر".([١٥١]) يقصد الجاحظ بهذا الكلام أن يُورد

---

(١٤٧) الكتاب، سيبويه(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ//١٩٨٨م، ج١: ١٦٤

([١٤٨]) الكتاب، ح١: ٣ بعد المقدمة

([١٤٩]) تجدر الإشارة إلى أن اسم الفاعل يُصاغ للدلالة على من وقع منه الحدث صياغة تحتمل القلة والكثرة؛ فإذا قلت: جاهل. احتمل أن يكون الوصف بقلة الجهل أو كثرته؛ فإذا قلت: جهول. فإنه لا يُحتمل إلَّا شىءٌ واحد ، وهو الوصف بكثرة الجهل. انظر: تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات: ٢٠١

([١٥٠]) انظر: البداية فى علم الصرف ، على النمر، دار الفوائد ، دار ابن رجب، القاهرة، (د.ت):٥٩

([١٥١]) انظر: البيان والتبيين، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق: ناصر محمدى محمد جاد، ط١، دار القدس، القاهرة، ٢٠١٣م: ٢٥

المؤلف قصده فى هيئة من القوالب والتراكيب الأكثر شيوعًا وترديدًا بين الجماعة اللغوية؛ وأن ينتقى منها ما حاجة القصد إليه أشد؛ بعيدًا عن الحوشية والارتجال.(١٥٢)

وأحيانًا يدلُّ اسم الفاعل على ثبوت الحدث من دونِ تجدُّدٍ، حيث يُحيطُ بمعنى الحدث، وليس زمنه،" فإذا ما قلنا: زيد منطلق، فقد أثبتنا الانطلاق فعلًا لزيد، من غير أن نجعله يتجدد؛ ويحدث منه شيئًا فشيئًا، بل يكون المعنى فيه، كالمعنى فى قولك: زَيْدٌ طَوِيلٌ . وعمرٌو قصيرٌ؛ فكما لا تقصد–ههنا– إلى أن تجعل الطول أوالقصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتُثبتهما فقط، وتقضى بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض فى قولك: زيدٌ منطلقٌ لأكثر من إثباته لزيد".(١٥٣) ومعنى الثبوت– فى هذا الموضع– عدم القدرة على التخلُّص من الصفة التى يتضمنها مضمون القالب الصرفى، وهذا لا شك متحقق فى الطول والقصر. من أجل ذلك يعد قالب اسم الفاعل أهم القوالب الصرفية استعكالًا فى السياق التواصلى، لكثرة استخداماته الدلالية، فهو يُحيط بالحدث، والذات، والزمن؛ لشبه بينه وبين الفعل المضارع؛ وتتجلى تداولية اسم الفاعل فى كونه معبرًا عن حدث طارئ و ذاتٍ فاعلة بنفسها، وهو مختص–بصفة أصيلة– لتعيين زمن الحدوث؛ لا للدلالة على من قام به(١٥٤)، ويظل مكتسبًا دلائل القوة، حين يُعزل عن التراكيب، ويُجرد منه؛ فهو لا ينفك يعبر عن الحدث والفاعل.(١٥٥) لذا يشعر النمط السطحى بجفوة بينه و بين قوالب اسم الفاعل لدى أبى الطِّيّب المُتَنَبِّى. الأمر الذى

(١٥٢) انظر: البيان و التبيين : ٢٨

(١٥٣) دلائل الإعجاز : ١٧٤

(١٥٤) انظر : شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصارى، وبهامشه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب: ٣٩٦

(١٥٥) انظر: المغنى الجديد فى علم الصرف ، د: محمد خير حلوانى، دار الشرق العربى، بيروت ، لبنان، ٢٠١١م: ٢٤٧

يتوجَّب معه ضرورة التسليم بتفاوت أنماط المتلقين فى فهم بعض القضايا العقلية، أو الحسية، كما أنهم يتفاوتون فى تذوُّقها؛ لذا يؤكِّد الباحث أن نصَّ أبى الطِّيِّب المُتَنَبِّى فى مجمله، وانتقاءاته الصرفية و التركيبية؛ هى مما يستدعى متلقيًا على درجة كبيرة من النضج والإدراك.

ليس من شك فى أننا– حين نعمد إلى فحص بعض مفردات الدرس اللغوى لدى القدماء– نجد أنهم" إذا أرادوا الكثرة والمبالغة على صيغٍ معينة في الكلام لقصد ذلك، فلم يضعوا حدًّا معينًا لصيغ المبالغة في الكلام؛ فإنهم إن أرادوا التكثير للاسم، كان للتكثير".(١٥٦) وتختلف القيمة التداولية لاسم الفاعل تبعًا لاختلاف فعله، ويلحق بعضَ صوره بعضُ التغييرات التى تؤثِّر فى القيمة الدلالية ([١٥٧]) وكأن كل اختلاف فى المبنى يُؤَدِّى– بالضرورة– إلى اختلاف فى المعنى؛ وكأن النظام الصرفى للغة العربية قد راعى – باختلاف القيم الدلالية تبعًا لاختلاف القوالب– أنماط المتلقين؛ وهذا ما تقوم عليه مفردات البحث الحالى، الذى يفترض أن يكون من واجبات المؤلف أن يسوق معناه أو قصده فى هيئة قوالب صرفية أو عناصر تركيبية؛ تتناسب طرديًّا مع نمط المتلقى، وأفق انتظاره، فلا تُسقط عليه ما يُسبب تعسيرًا ذهنيًّا فى فهمه وتفسيره.

ويُفهَم من كلام ابن الأثير أن من واجبات المؤلف التداولية أن يُراعى أفق التلقى كما هو، فيمن يتوجَّه إليه بخطابه، ويستدلُّ –على رأيه هذا– بأن يسوق مثالًا لذلك؛ بأننا إذا رأينا شخصًا يُحبُّ أكل الفحم مثلًا أو أكل الجِصِّ والتراب، ويختار ذلك على ملاذ الأطعمة، فهل نستجيد هذه الشهوة، نحكم عليه بأنه مريض، قد فسدت

---

(١٥٦) انظر: الكتاب، ج١: ١١٠

([١٥٧]) انظر: دراسات فى علم الصرف، د : عبد الله درويش، ط٣ ، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، العزيزية، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م: ٤٩

معدتُه، وهو يختار إلى علاج ومداواة؟[١٥٨] وترفد اسم الفاعل قوة، تتمثل فى أنه لابد أن يشتمل على أمرين معًا، أحدهما: المعنى المجرد الحادث، والآخر: فاعله، على الأغلب، لأنه قد يدل على المعنى الدائم، فهو يجمع فى دلالة على المعنى المجرد بين الإطلاق والتقييد، ويضبط هذا الأمر وجود قرينة، تعين أحدهما دون الآخر، وتزيل اللبس وتقلِّل الاحتمال.[١٥٩]

وتتمثل القيمة التداولية المرتفعة لاسم الفاعل فى تعبيره عن الحدث والذات الفاعلة، من دون التقيد بقيد الزمن، إذ يحيط اسم الفاعل الحال والاستقبال، مع إشارته إلى معنى زمن الماضى أحيانًا، فيُجهل الزمن، ويُبهم فى دلالة الاسم، لذا فإن دلالة الاسم فى إيقاع الحدث، والإحاطة به أثبت من دلالة الفعل عليه، وإحاطته به، وقد أفرد ابن مالك(ت ٦٧٢هـ) بابًا لاسم الفاعل، أشار فيه إلى أن اسم الفاعل هو: الصفة الدالة على فاعل، ليشمل الذات، مذكرًا كان أم مؤنثًا، كما يشمل الحدث، بمعنى الماضى- أحيانًا- لاسيما عند الإضافة المحْضة، والحال، والاستقبال؛ خاصة عند تنوينه، ووجوب إعماله، باعتماده على مواقع نحوية محددة، كالمبتدأ، أو الخبر، أو النعت، أو الحال، مع التنوين، المسبوق بالنفى أو الاستفهام، وعدم التقييد بالدلالة على زمن الماضى.[١٦٠] حيث إن التنوين فى اسم الفاعل، ظاهرة شكلية، ترشح اسم الفاعل للدلالة على زمن المستقبل- لا محالة- وكأن بنيته الشكلية تُسهم فى تعيين زمن الحدوث.[١٦١] ويرى ابن هشام الأنصارى(ت٧٦١هـ) أن اسم الفاعل: مشتق من فعلٍ،

---

(١٥٨) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ج١: ١٥٦

(١٥٩) انظر: النحو الوافى، ج٣: ٢٤٠ - ٢٤٤

(١٦٠) انظر : شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، ج٢: ٣٩٨

(١٦١) انظر: التحليل الفونولوجى والمورفولوجى لاسم الفاعل المشتق من الثلاثى فى القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجًا)، د : فرحة عبد الله بشر الشريدى، ضمن أبحاث المؤتمر الدولى الثانى، لكلية

دالٍ على مَنْ قام به، على معنى الحدوث، نحو: ضَارِبٌ ، ومُكْرِمٌ".([١٦٢]) أما القول باسميته؛ فإن مردَّه إلى الشكل، الذى يتمثل فى تنوينه حال تنكيره، وتجرُّدِه من الإضافة، وفى دخول (ال) عليه، التى تكون بمعنى (ما) الموصولة، كما نرى فى قولهم: الضارب، أى: الذى ضَرَبَ، وكذلك فى عدم قبوله لعلامات الفعل؛ من مثل تاء التأنيث المفتوحة، وياء المخاطبة المؤنثة.([١٦٣])

ومن اللافت للنظر أن القوالب اللغوية لاسم الفاعل عند المتنبي قد جاءت مُعبِّرة عن حالته النفسية، وقد احتاط بها من سوء الفهم، أوالتقليل من شأنه، أو تحقير ذاته، أوغير ذلك من أحكام المتلقي، الذى يتوقع المؤلف أن يُصدرها، فيما يخص ذات المتنبي، وربما كانت مواهبُ الشاعر وإمكاناتُه؛ من إحساس بجودة شعره وقيمته، وتفرُّد أخلاقه في علوِّها ونبلها؛ وأنه صاحب همَّة عالية، لا ترضي إلَّا بالمجد، ولا تنحطُّ إلي صغائر الأمور، بالإضافة إلى تَكَسُّبِهِ بشعره، كل هذه الأمور المعنوية والمادية من شأنها أن تدعم إحساسه بالاعتداد بكل ما يُنتِجُ، فيما تسميه الأدبيات الحديثة: تلميع صورة المؤلف؛ لذا جاءت قوالب المبالغة لديه؛ احتياطًا من التقليل من شأنه، وإضفاءً

الآداب، جامعة أسيوط، (حرية الفكر والإبداع، الأصول والضوابط) فى الفترة من ١٦ – ١٨ مارس، ٢٠١٤م ، جامعة أسيوط:٤٩٤

([١٦٢]) انظر : شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصارى، وبهامشه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب : ٣٩٦ وانظر: الكُنَّا ش فى النحو والصرف، للملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل بن على(ت ٧٣٢هـ)، تحقيق: د/ على الكبيسى، ود: صبى إبراهيم، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر، الدوحة، قطر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م: ١٩١

([١٦٣]) انظر : التحليل الفونولوجى والمورفولوجى لاسم الفاعل المشتق من الثلاثى فى القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجًا): ٤٩٠ – ٤٩١

لروح التعظيم والتكثير علي كل أفعاله.(١٦٤) وهذا معناه أن اسم الفاعل يدل–أحيانًا– على ثبات الصفة فى الذات الفاعلة، فى تقييده بالدلالة على الماضى؛ بالإضافة إلى دلالته على المبالغة فى الوصف.

وذكر النحاة في تعريف اسم الفاعل، أنه كلمة تدل علي معني في نفسها غير مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة، أو ما دلَّ علي معني، وعجز عن الإحاطة بالزمن، فليس الزمن جزءًا منه، وهو ليس اسمًا محضًا، حيث دلَّ علي الحدث، مع قدرته علي التشبُّه بالفعل، وهو: اسم مشتق يدل على مَنْ وقع منه الفعل أو فاعل الحدث؛ أو أُتُّصف به، فيما يتصل بالجمادات، وأسماء المعانى؛ فهو بناءٌ يدل على الفاعلية، وقد جري مجري الفعل في إفادة الحدوث؛ فإن قلت: قارئ. فتلك الصيغة دلَّت علي أمرين، أحدهما: الحدث، وهو القراءة، والآخر: الفاعل، الذي يقوم بعملية القراءة. (١٦٥) من دون إشارة إلى المحدد الزمنى، لذا تتميز هذه الصيغةُ بأنها تجمع بين سماتِ الاسمية والفعلية، وقد سمَّاها الفراء بالفعل الدائم، بيد أنه ليس من صنف الأفعال المتطاولة، كالترداد.(١٦٦) وتؤدي الصورة الفنولوجية لاسم الفاعل معاني متباينة، فقد تُشير كل صورة إلي معني ما، وإلي زمن ما، وإلي نسبة ما، بمحدد سابق أو لاحق، فى غالب الأمر، والمقصود بذلك مورفيم سابقة التعريف، ومورفيم لاحقة التنوين.

---

(١٦٤) انظر: مفهوم الأنا عند المتنبي، د : محمود إبراهيم أحمد بدري، من أبحاث المؤتمر الدولي الرابع للسرديات (السرد والشعر)، مايو: ٢٠١١م، السويس، نشر ٢٠١٢م : ٧٣٥

(١٦٥) الصرف التعليمي، د: محمود ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٢م: ١٠٤، وانظر: علم الصرف بين النظرية و التطبيق، د: مجدى إبراهيم محمد، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١١م: ٣١٩

(١٦٦) انظر: معاني القرآن، للفراء، (ت ٢٠٧هـ)، ط ٣، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ//١٩٨٣م ،ج ١: ١٣٤

ويُشتق اسم الفاعل من الفعل المبني للمعلوم، سواء كان ثلاثيًّا أم غير ثلاثى، ماضيًا كان أم مضارعًا؛ شريطة أن يكون الفعل متصرفًا، ويكون بناؤه من الفعل الثلاثي، علي زنة: فاعل، نحو: شكر، (شَاكِرٌ/الشَّاكِرُ)، ولكل صورة منه ضوابطُ في الصياغة، مع ثبات الأصل في الوزن الصرفي، ويُصاغ من غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة، وكسر ما قبل الآخِر، إلَّا فى بعض الصيغ الصرفية المحفوظة، التى جاءت على خلاف القياس الصرفى".(١٦٧) وقد أشار النحاة إلي أن صيغة اسم الفاعل، من الثلاثي، ومن غيره، قد تدل علي التكثير، والمبالغة في الحدث، لذا فإن العرب قد أجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يُبالغوا في الأمر مجراه؛ إذا كان علي بناء فاعل، يُريد نحو: شرَّاب، ومُنحار.(١٦٨) وقد استثمر المتنبي اسم الفاعل، سواء كان ثلاثيًّا أم غير ثلاثيٍّ، معرفًا بـ(ال)، أو مجردًا منها؛ ليحتاط به لمعناه، ولقصده المركزي؛ بيد أنه لم ينتهج- فى استثماره لقالب اسم الفاعل- نهجًا تداوليًّا، فى كثير من المواضع.

وبعـدُ، فقد نحا هذا البحث- بمنهج وصفى- نحو الربط بين القواعد التداولية Pragmatics Rules وبعض الشواهد الإبداعية فى شعر المُتَنَبِّى؛ مفترضًا أن التداولية- فى بعض ضوابطها ومبادئها- قد تشكل قيْدًا يحدُّ من العلاقة التواصلية بين

---

(١٦٧) ومحل المخالفة، أنه لم يجئ بكسر ما قبل الآخر، نحو: مما صيغ منه اسم الفاعل، وكان الحرف الذى قبل الآخر فى الفعل ألفًا، نحو: مُخْتَار، ومُقَاد، وغيرهما، مع الالتزام بمطابقة الوزن الصرفى فى هذه الصيغ لأصل القياس، والأمر فى ذلك على جواز تقدير كسر ما قبل الآخر، بيد أن الفتحة غالبة، ومثل ذلك: مُحْصَنٌ، والأصل فيه: مُحْصِنٌ، ومُنْبَتٌّ، والأصل فيهما الكسر؛ لما قبل الآخر، ومثل ذلك ما جاء على فاعل، والأصل فيه أنه غير ثلاثى، نحو : أصدر، صادر، و أينع، يانع، وقد جعل الاستعمال المسموع أخف من المقيس. انظر: الصرف العربي، أحكام ومعان، د: محمد فاضل السامرائي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠١٣م:٩١-٩٨

(١٦٨) النحو الوافي، الأستاذ: عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٣م ،ج ٣ : ٢٤١

المؤلف والمتلقى من جهة، وبين المؤلف ونصِّه، ولذة المراوغة، التى تتفاعل مع فيوض الدلالات للألفاظ، من جهة أخرى، وبين ما وضعت له الألفاظ من المعانى، وما أُريد لها– فى ضوء سياقات المجاز ومنهجية الانتقاء والوضع– من غير هذه المعانى، من جهة ثالثة.

وما يهم– بعد هذا الإطار النظرى– هو محاولة سبر أغوار القالب الصرفى لاسم الفاعل، ومن ثمَّ التعرُّض لانفتاح دلالته، من خلال تغيُّرها، حسبما تتغير هيئته، وموقعيته، وسياقه، وتغدو لها وظيفة دلالية، تخضع لأفق انتظار التلقى، حسب رؤيته لها. واللافت للنظر –من خلال تحليل آراء النقاد حول شعر المُتَنَبِّى– أنه قد وظَّف قالب اسم الفاعل– فى منجزه الشعرى–بصورة تداخلت فيها الوظيفة التعبيرية لهذا القالب بين علمىْ الدلالة والتداولية، وغلب علي كثير منها الخروج على مقتضيات الطرح التداولى، حتى أنه كان يضع كثيرًا من القوالب اللغوية– خاصة قوالب اسم الفاعل– فى غير موضعها، وهذا ما دفع إلى إجراء هذا البحث التطبيقى، والذى يُمكن تناوله بشىء من التفصيل، على النحو الآتى:

ثالثًا: الفصل الثانى: ويمثل الجانب التطبيقى، ويضم مبحثين، يُمكن تناولهما بشىء من التفصيل، وذلك على النحو الآتى:

المبحث الأول : ما يختص بأنماط اسم الفاعل من الفعل المجرد الثلاثى:

من الأصول الصرفية أنه: يُصاغ اسم الفاعل(١٦٩) من الفعل المجرد الثلاثى– الصحيح أو المعتل– المفتوح العين؛ أو المَكْسُورها، على زنة (فاعل) بزيادة ألف، بعد

(١٦٩) اشترط النحاة لصياغة اسم الفاعل شرطين؛ أحدهما خاص بالقعل؛ وهو أن يكون متصرفًا، والآخر: خاص بالمصدر، وهو أن يدل على التجدد، وأن يكون حدوثه غير مقيَّد يزمن، وأن يكون

الفاء، وكسر العين الأصلية، نحو: سَمِعَ، سَامِعٌ، وقَالَ، قَائِلٌ، وعَوِرَ، عَاوِرٌ، ودَعَا، دَاعٍ.(١٧٠) ورجا، راجٍ، سما، سامٍ، خشى، خاشٍ-بحذف اللام من البنية الصرفية والميزان، والتعويض عنها بتنوين الكسر، الدال على حذفها حال التنكير مع الرفع أو الجر، فى كل ما يصاغ على فاعل من المنقوص أو المقصور- وهذا معناه أن الفعل الثلاثى المجرد، إذا كان على وزن فَعَلَ، بفتح العين، أو فَعِلَ، بكسرها؛ سواء كان صحيحًا أم معتلًّا؛، فيطَّرد مجيء اسم الفاعل منه على(فَاعِل)، نحو: ضَرَبَ، ضَارِبٌ، وقَعَدَ، قَاعِدٌ؛ ونحو: صَامَ، صَائِمٌ؛ وما جاء على خلاف ذلك، فمسموع، ولا يُقاس عليه(١٧١) قال به ابن مالك(ت ٦٧٢هـ).(١٧٢) أما إذا كان مضموم العين؛ فلا يأتى منه اسم الفاعل على وزن(فاعل، إنما يأتى على أوزان متعددة، منها: فَعُل، فهو: فَعِيل، نحو: ضعُف، فهو ضَعِيفٌ، أى: فَعِيلٌ.(١٧٣) وتنحصر نمطية وروده على الصيغة المعيارية - من الفعل الثلاثى المجرد-على زنة: (فاعل)، بفتح الفاء، وكسر العين، ويتضمن ثلاثة مطالب، هى:

مضمون المعنى غير دائم. انظر: اسم الفاعل فى الربع الثالث من القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية، خويلدى عائشة، وبوغفالة الزهرة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الأدب واللغات، جامعة قاصدى مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٩م/٢٠٢٠م: ٩بعد المقدمة

(١٧٠) انظر: الوافى فى قواعد الصرف العربى، يوسف عطا الطريفى، الطبعة العربية الأولى، دار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ٢٠١٠م: ٩٠ - ٩٢

(١٧١) انظر: الكناش فى النحو و الصرف: ١٩١

(١٧٢) على نحو ما ذكره ابن مالك فى بعض الصيغ المحولة ، نحو: حبَّ، فهو: مُحبُّ، وليس: حابب، وهذا المراد بقول ابن مالك: وربما استغنى عن فاعل بمفعل أو مفعول أو فعيل، فيما له فعل ثلاثى، حيث يُصاغ من فعُل، بضم العين؛ على فَعِيل، نحو: قبُح : قبيح، وجمُل: جميل. ونحو ذلك قولهم فى : حزن، فهو: حزين، ومثل ذلك: بَخِل، فهو بَخِيلٌ؛ ونحو: عَتَقَ العبد فهو عَتِيقٌ. انظر: شرح التسهيل، ج٢: ٣٩٩- ٤٠٠، وانظر: الكناش فى النحو والصرف: ١٩١

(١٧٣) انظر: ملخص قواعد اللغة العربية، ج٢: ٤١

المطلب الأول(١٧٤): اسم الفاعل المقترن بـــ(ال):ومن أمثلة ذلك، قول المُتَنَبِّى:

اللَّاتِى(١٧٥) أَفْتَكُهَا(١٧٦) الْجَبَانُ بِمُهْجَتِى وَأَحَبُّها قُرْبًا إلىَّ الباخِلُ.(١٧٧)

يقول أبو البقاء العكبرى(ت ٦١٦هـ):" اللاء: قال أبو الفتح: يجوز أن تكون نعتًا للظباء، ولا يُمتنع أن تكون محمولًا على قوله: من كل تابعة(١٧٨) لأن (كل) قد دلَّت على معنى الجمع، والمعنى، يقول: أفتك هؤلاء الظباء بمهجتى هى النافرة، التى أنا مغرم بها؛ والبخيلة منهن بالوصل، أحبهن قربًا إلىَّ".(١٧٩) إن المؤلف– حين يرغب فى إبلاغ المتلقى حالة ما– يتوجَّه إليه بغية إبلاغه، حسب محددات عديدة، أخصها،

---

(١٧٤) تجدر الإشارة إلى أن النسخة المستخدمة، هى : ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، احتفالًا بالعيد الألفى للشاعر، صحَّحها وقارن نسخها، د: عبد الوهاب عزام، (د. ط)، (د.ت)، نسخةpdf، وهى تبدأ بمقدمة رموزها متعددة، تبدأ برقم(١)، تنتهى بحرف (م)، وعددها على نسخة pdf أربعون صفحة.

(١٧٥) وفى رواية العكبرى: اللَّاء، بإسقاط الياء. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ : ٢٥١

(١٧٦) وكان سياق الانفتاح الدلالى يقتضى أنه يجوز أن تكون كلمة اللائى، محمولًا على قوله: من كلِّ تابعة. واتصال الباء بقوله: أفتكها، إلَّا أنه لا يُمكن تعلقها به. لأنه قد أخبر عنها بقوله: الجبان. ومحال أن يُخبر عن الاسم، وقد بقيت منه بقية. فلما امتنع ذلك علَّق الباء بمحذوف، دلَّ عليه أفتكها؛ فكأنه أضمر بعد ذكر الجبان، فتكت بمهجتى.

(١٧٧) قالها: يمدح القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى، من بحر الكامل، والقافية من المتدارك، ومن أمثلة ذلك:

- لبيْك غيظ الحاسدين الراتبا إنَّا لنُخبَر من يديك عجائبًا .
- وبَسَمن عن بُرد خشيتُ أُذيبُه من حرِّ أنفاسي فكنتُ الذائبا .
- قصدتك والراجون قصدي إليهمُ كثيرٌ ولكن ليس كالذَّنب الأنف. انظر: الديوان:٩٩،١٠٢

(١٧٨) إشارة إلى قوله: تخلو الديار من الظباء وعنده ... من كل تابعة خيالٌ خاذلُ. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ : ٢٥٠

(١٧٩) شرح ديوان أبى الطَّيِّب ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج٣ : ٢٥٠

عناصر التشكيل وضوابط التفسير، وهذا الفعل تصرف مقصود، ورهين تحقق معيار الصدق، وجمالية التلقى، وإيمان السامع بمضمون الخبر، حيث إن توافر الصدِّق والإيمان بمضمون الخبر؛ هما الأساس فى اقتناع المتلقى بالقصد ويصاحبه؛ ومن ثم إمكانية التفسير الصحيح له.

من الجدير ذكره أن ملامح التداولية تتَّضح، فيما قرره برايس من أن العناصر اللغوية تتضمن دلالات نوعية فى سطحيتها وفى مراوغتها، قد تتباين مع دلالاتها السطحية والمباشرة، أو المضمَّنة؛ وأن مستخدمى الكلام قد يقصدون ما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، أو أكثر من ذلك؛ فقد تتداخل المقاصد، وتبتعد عن القصد الجوهرى لصاحبه، لاسيما حين يتكون القصد الجوهرى من مقاصد فرعية عديدة ومتداخلة، وقد انصبت دراسة برايس علي تحليل ما يُقال، وما يُقصد، فما يُقال هو المعني الظاهر، أما ما يُقصد، فهو المعني الباطن الخفي المستفاد من المعني الأول.(١٨٠)

ومن المعلوم أن لكل قالب صرفى دلالة نوعية، تختلف من قالب إلى آخر، وهذا من نلحظه من دلالة قالب اسم الفاعل فى الشاهد السابق؛ فكلمة (الباخل) تعنى أنه ذو بُخْل، وجمعها: بُخَّال؛ بخلاف بخيل، فجمعها: بُخلاء، والبَخْلَة: بُخل مرة واحدة.(١٨١) ومعلوم- أيضًا- أن قالب اسم الفاعل يدل على حدوث الوصف(الحدث) للذات المرتبطة به، ويدل على تحقق الحدث، مع تكرير صورته، واستمرار دلالته، وقد يدل على الثبوت حين يتناول سمة جسمية؛ كأن نقول: فلان واسع العينين.(١٨٢)

(١٨٠) انظر : التداولية (النشأة و التطور): ١١

(١٨١) انظر : لسان العرب ، ج١: ٢٢٢، مادة : (بخص/ بخن/بخل).

(١٨٢) انظر : الدلالة الصرفية لاسم الفاعل واسم المفعول : ٨٩

وانطلاقًا من المعنى المعجمى لقالب اسم الفاعل(الباخل)-وهو: أنه ذو بُخل- لا يُمكن الإقرار بكونه أمرًا عارضًا، فالبخل صفة التصقت بمن يُحب لمدة معينة؛ وهى سمة يرجو أن تكون غير مستمرة، يُتصف بها، ثم تزول عنه، لأنه لو اتصف بها على سبيل الدوام؛ خرج عن وظيفته إلى وظيفة الصفة المشبهة، التى تدل على الثبوت؛ حيث إن اسم الفاعل موضوع للدلالة على تحقُّق الحدث لا ثبوته.(١٨٣) ويبدو أن فى استخدام أبى الطَّيِّب لقالب اسم الفاعل (الباخل) معرفًا بـ(ال) دليلًا على قدم الصفة فيه، وملازمتها له، وهذا ما عبَّرت عنه أداة التعريف، فقد أشارت إلى دول عهد الصفة بصاحبها، وقد انتهك أبو الطَّيِّب قواعد التمام(تمام الدلالة والإفادة) والمناسبة؛ بإيراده صيغة (الباخل)اسم معرفة بـ(ال)، إذ لا يتوقع أفق انتظار المتلقى أن ينال الحب من بخل به، وصار البخل فى كل شيء سمة له، وبدا انتهاك مبدأ المناسبة فى استعمال أبى الطَّيِّب لكلمات حوشية أو غريبة أو مشتركة الدلالة يتعارض مع وضوح الأسلوب الخطابى.(١٨٤) فكلمة (الباخل) غير مستعملة، وغلَّب صيغة صرفية معيارية مهجورة(وهى كلمة الباخل) على أخرى مشهورة مستعملة(وهى كلمة: بخيل)؛ فغلَّب المعيار على الاستعمال، ومعلوم أن التداولية تُعنى بدراسة الاستعمال فى موقف التحاور المنجز.

ومعلوم أن الطرح التداولى لا يركز على ما يقوله أصحاب اللغة فى تخاطبهم- فى موقف التواصل فحسب-إنما يُركز على أبعاد الاستعمال اللغوى فى الحياة الاجتماعية، ومحددات التأويل، والدلالات العرفية؛ بين الاحتمال والرد؛ بالمعنى المتَّسع لهذا المصطلح، تلفظًا، وتضمينًا، وتفسيرًا للهيئة اللغوية، كما هى عند أربابها، وأن

(١٨٣) انظر: الصيغ الصرفية فى سورة نوح ، دراسة دلالية : ٣٥٧

(١٨٤) انظر : بلاغة الإقناع (دراسة نظرية و تطبيقية) : ١١٠

يكون المعوِّل فى التواصل هو ما يُقصَد، ليس ما يُقال، كما يركز على قدرة المتلقى على إدراك المعنى كما يوصله المتكلم، ويفسره السامع(١٨٥)فى ضوء المواضعة الثقافية (Convetion)، والاجتماعية السائدة، وغير الاعتباطية.(١٨٦) ويجعل مراعاة العلاقة بين اللازم اللغوى والملزوم الدلالى والتداولى، من أدقِّ الضوابط التداولية فى عملية التواصل، وصناعة القصد، وتقريب التفسير المحتمل والمقبول.

كما انتهك أبو الطيب المتنبى– بإيراده قالب اسم الفاعل الباخل– مبدأ الهيئة و الأسلوب، الذى يُلزم المؤلف بأن يحقق لمتلقيه تسلسلًا دلاليًّا موصوفًا بالاستقامة والمنطقية، محققًا لما بين المؤلف والمتلقى من افتراض مسبق، ومن علاقة بين طرفى التواصل؛ بيد أننا نلحظ– فى بيت المُتَنَبِّى– قالبًا صرفيًّا غريبًا، تسبب فى إحداث المُشكل الدلالى، وفى تحقق التعقيد الدلالى، أو افتراق اللفظين فى الدلالة؛ أو كسر العلاقة الطردية بين الدال والمدلول(١٨٧) فلا ينوب معنى مناب الآخر.(١٨٨) فأورد قالبًا صرفيًّا، حمل بعض المعانى التى تكون سببًا فى كثرة الجدل حولها، وهذا معناه أن كثيرًا من المدارس اللسانية الحديثة تلزم المؤلف أن يحرص على انتقاء القوالب المعبِّرة عن قصده، بصورة أتم وأشمل، فكيف يتوقع المتلقى تحقق الحب لما داوم على البخل.

---

(١٨٥) انظر : الاستلزام الحوارى فى مسرحيات أحمد شوقى الشعرية ، دراسة تداولية ، ياسر فتحى محمد حمدى، رسالة ماجستير ، جامعة كاستمونو ، كلية الإلهيات، تركيا ، ٢٠١٩م: ١٢

(١٨٦) مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دبوجراند، وولفجانج دريسلر، ترجمة: د، إلهام أبو غزالة، وعلى خليل حمد،ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م: ١٦٦– ١٦٧

(١٨٧) انظر : هذا العدد، كلمة هيئة التحرير، مجلة فصول، الحداثة فى اللغة و الأدب، الجزء الثانى، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو/أغسطس/سبتمبر، ١٩٨٤م: ٧

(١٨٨) انظر: تهافت الفلاسفة : ١١١

ومن ناحية أخرى فإن المتلقى–حين يروم تفسير قصد المؤلف– يروغ إلى مخزونه الذاتى والعرفى(الافتراض المسبق) من المعارف، والمهارات، والخبرات المتواضع عليها؛ فى الثقافة الاجتماعية السائدة، محاولًا استحضارها، حيث يتوجه إلى المؤلف بخبر ما، أو بقصد ما؛ ولولا هذا المخزون من الافتراض المسبق؛ لانقطع التواصل والتفاهم بينهما.(١٨٩) ومثله : قوله :

الْعَارِضُ(١٩٠) الْهَتِنُ ابْنُ الْعَارِضِ بــْ(م) نِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ بْنِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ.(١٩١)

يُشير العلوى إلى أن هناك مَنْ أنكر هذا التكرير المقصود لقالب اسم الفاعل من لدن المُتَنَبِّى فى هذا البيت، وقالوا بأنه تكرير غير محمود، فيما جاء به من جهة أن لفظة العارض، ولفظة الهتن؛ ليستا واردتين على جهة البلاغة فيهما؛ لقلة الاستعمال لهما.(١٩٢) يقول أبو البقاء:" وقد غلِط المُتَنَبِّى فى هذا البيت، و كرَّر غلطه أربع مرات، وقد أجمع العلماء على أن اسم الفاعل من: هَتِنَ، هَاتِنٌ؛ وذكر أنه لم يأتِ عن أحد من العلماء أن أجاز لفظة: الهتن، ولم يذكره أحد من الرواة؛ حتى نبَّهتُ عليه، وذكر أنهم قالوا: من العيِّ تكرير اللفظ، من دون سياق يدعو إلى ذلك".(١٩٣)

---

(١٨٩) انظر : فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٥٣

(١٩٠) والعارض: ما عَرَضَ من الأعطية، و العارض، أى: المُعْطى، والمقصود: وصف ممدوحه بكثرة العطاء. انظر: لسان العرب، ج٤ :٢٨٨٥–٢٨٨٦، مادة: عرض.

(١٩١) البيت من البسيط، والقافية من المتدارك، وهو من قصيدة له، يمدح بها أبا عبيد الله محمد بن عبد الله القاضى الأنطاكى. انظر: الديوان: ١٥٨، وانظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤ :٢٠٩

(١٩٢) انظر: الطراز، ج٢: ١٨٢

(١٩٣) انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤ :٢١٧

قال ابن القطاع:" هذا البيت الذى أفسد فيه المُتَنَبِّى اللغة، وغلط فيه، وكرر غلطته أربع مرات؛ وذلك أن العلماء مجمعون على أن يُقال: هتن المطر، والدمع يهتن هتنًا، وهُتُونًا؛ واسم الفاعل منه: هاتِن".([١٩٤]) وقد خرَّج الكلام السابق استعمال لفظة: الهتِن، من دائرة القياس أو الاستعمال، لذا يُعاب على أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى إيرادُه المستكرهَ من الألفاظ، الذى يتسبب فى تعقيد المعنى، وانخفاض درجة التداولية بين المؤلف والمتلقى؛ وقد جاء اسم الفاعل (الهتن)–فى هيئته هذه– على غير ما حكت العرب، فكان سببًا فى تعقيد المعنى؛ حيث سلك به أبو المُتَنَبِّى مسلك من يروغ إلى المراكب الخشنة، والطرق الوعرة فى إيراد المعنى؛ فيَضل، ويُضل، ويَتعب، ويُتعب، ولا ينجح.([١٩٥]) وتبدو رغبة أبى الطَّيِّب باستعمال لفظة(الهتن) فى أن يُحقق انفتاحًا دلاليًّا؛ فيصف ممدوحه بالكريم، الذى يصب العطاء صبًّا، من دون انقطاع؛ وقد تغافل عن أن كلمة الهتن تحمل المعنى وضده، فقد تدل على المطر فوق الهطل، وهذا فيه ما يدل على غزارة العطاء والمطر، أو تدل على المطر الضعيف الدائم، الذى هو مطر ساعة، ثم يفتر، ثم يعود؛ كما يُشير إلى قطرات المطر أو الدمع([١٩٦]) ولعل إيراد أبى الطَّيِّب للفظة (الهتِن) التى تحمل المعنى وضده، يكون سببًا فى عدم إدراك المتلقى للمعنى المُلقى إليه، وفى هذه انتهاك صارخ لمعيارىْ التعاون، ومراعاة الافتراض المسبق.

يفرض مرتكزا الفعل الكلامى والحجاج على أطراف عملية التواصل أن يتعاونوا، فيما بينهم لتحصيل المطلوب، وإنجاح عملية الفهم والإفهام–بحسب سياق

([١٩٤]) ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى: ١٥٨

([١٩٥]) انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٤٠

([١٩٦]) انظر: لسان العرب، مادة : هتن ، (هـ، ت ، ن)،ج٦: ٤٦١٣

التواصل التداولى-([١٩٧]) فيتعاون كلٌّ من المؤلف والمتلقى فى تحقيق الغرض من التحاور، اللَّذيْن دخلا فيه، والتزما بالشروط اللازمة لإنجاح التواصل، حتى تكون الأفعال الكلامية مقبولة ومؤثرة، ومن ثم منجزة؛ كما يُلزم مرتكز الحجاج المؤلف بأن ينتقى قوالبه وتراكيبه التعبيرية؛ فى ضوء مبدأىْ الكمية والكيف اللذين تفرضهما محددات التحاور.([١٩٨])

وقد انتهك أبو الطيب المتنبى مبدأ التنظيم والكفاءة فيه، إذ تحققت مشكلة دلالية، ومجافاة الموقع؛ فقد وجدنا أن كلمة العارض تشير إلى كثرة الأعطية، وسخاء الممدوح، فى حين جاورت كلمة لا تحمل معنى المبالغة، بل تتسبب فى حيرة الذهن، إذ تعبر عن المعنى وضده، مما لا يناسب مبدأ الدقة الدلالية، التى يرومها المتلقى.

وليس من شك فى أن مراعاة ضابط سياق المواضعة والدلالات الاجتماعية التى تضبط الاستعمال و التفسير يُعدُّ شرطًا أساسيًّا فى إنجاح عملية التواصل، وإتمامها؛ حيث إن ما يُقال فى الاستعمال هو ما تعنيه الكلمات، أو ما تُفيده أو تتضمنه العبارات والتراكيب؛ فى علاقة تعادلية وتبادلية بين الدوال ومدلولاتها، من خلال القيم اللفظية الدلالية؛ فى ضوء افتراضها المسبق؛ بوصفه جزءًا مهمًّا من أجزاء السياق، الذى يُسهم-بشكل كبير- فى تحديد الدلالة؛ أما ما يُقصَد فهو ما يُريد المتكلم أن يُبلغه إلى السامع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ اعتمادًا على أن السامع قادرٌ على أن يصل إلى مُراد المتكلم؛ من خلال ما يتوفر لديه من ملكاتٍ، وأعراف ووسائل

([١٩٧]) انظر : الاستلزام الحوارى فى مسرحيات أحمد شوقى الشعرية ، دراسة تداولية : ١٦

([١٩٨]) انظر : الاستلزام الحوارى فى رائية عمر بن أبى ربيعة (دراسة تداولية) : ٢٩٠٣

استدلالية.([199]) يوفرها له طريقة إنجاز الفعل الكلامى، وما يجمع بين الطرفين من افتراض مسبق.

واستنادًا إلى ما سبق؛ فإنه يُمكن القول: إن المُتَنَبِّى قد انتهك ضوابط المواضعة العروضية([200])، التى تُعد عنصرًا من عناصر الافتراض المسبق بين المؤلف والمتلقى، الذى جعل أفق انتظار الطرفين، فى دائرة عروضية مصطلح عليها؛ وهو مجىء عروض الطويل غير مقبوضة، والمتحقق بحذف الخامس الساكن، فتصير(//*/*/* مفاعيلن، إلى //*//* مفاعلن) كما لم يُراع مبدأ الذوق الذاتى،ذلك الضابط الوثيق الصلَّة بمرتكز الحجاج، وإن كان قد قصد من تكثيف قوالب اسم الفاعل– فى آليته الحجاجية– إلى تأكيد مضمون فعله الكلامى، والبرهنة على صدقه، فانتهك ما تواضعت عليه العرب فى الوزن العروضى لبحر الطويل، بتفعيلات الأربع فى كل شطر، وهى:

فعولن/ مفاعيلن/فعولن/ مفاعلين	فعولن/ مفاعيلن/فعولن/ مفاعلين
//*/*- //*/*/* - //*/* - //*/*/*	//*/*-//*/*/*//- //*/* - //*/*/*

فالعرب لم تستعمل عروض الطويل إلَّا مقبوضة(على صورة التفعيلة العروضية: مفاعلن)، ومصرَّعة، بأنى تتصدر القصيدة الشعرية فى الغالب، ويكون القبض بحذف الخامس الساكن، فتتحول التفعيلة مفاعيلن(//*/*/*)، إلى مفاعلن(//*//*)، إلَّا فى شواهد نادرة، لا يُمكن ضمها إلى ظواهر الاستعمال المطَّرد، فتأتى العروض متطابقة مع الضرب، على تمامها(مفاعيلن)، والمقصود بالتصريع–

([199]) انظر : فى مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبى : ١٠٦

([200]) انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٦٦

هنا– هو التصريع المكرر؛ ويُراد به: أن تكون هناك لفظة واحدة تتشابه فى صدر البيت وعجزه.(٢٠١)

ويقرر ضياء الدين ابن الأثير(٦٣٧هـ) أن من واجبات المؤلف أن يراعى ضوابط العروض، فهو محتاج إليها، وهى مبنية على الذوق، ويكون معيار الجمال فيها موقوفًا على تجنُّب التكلُّف؛ فإن خالف هذا الذوق، كان أمرًا غير مُرْضٍ؛ لأن الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات، والأعاريض والأضرب.(٢٠٢) وقد خرج المُتَنَبِّى عن هذا الوزن العروضى، فقال:

تَفَكُّرُهُ عِلْمٌ، وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظُرْفُ.(٢٠٣)

فقد خرج عن المألوف من الوزن العروضى لعروض بحر الطويل، فالأقيس أن تأتى عروض الطويل مقبوضة، بأن تأتى على صورة (مفاعلن//*//*)، إلَّا حين يُصرع البيت، فيكون ضربه على مفاعيلن (//*/*/*)، أو فعولن(//*/*)؛ فيتبع العروضُ الضربَ، وهذا البيت غير مصرع؛ وقد جاء بعروضه على

(٢٠١) وهناك أنواع عديدة للتصريع، من مثل: التصريع الاستهلالى، ومن أنواعه: التصريح بالكامل، والتصريع الناقص، والتصريع بالنقص، وكذلك التصريع الداخلى، ومن أمثلته: التصريع المكرر، والتصريع الموجه، التصريع الناقص. انظر: جماليات التصريع فى القصائد الأندلسية، لأحمد شوقى، دراسة أسلوبية، على نكاع، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد٥، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٧م ، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، ج٢: ٢٣٧ – ٢٤٣

(٢٠٢) انظر: المثل السائر فى أدب الكاتب و الشاعر، ج١: ٤٨

(٢٠٣) البيت من الطويل، وهو من قصيدة، يمدح بها أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضى المالكى، والقافية من المتواتر. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤: ٢٨٢

مفاعيلن(//*/*/*)، وهو تخليطٌ منه.(٢٠٤)، ويُمكن توضيح ذلك من خلال الكتابة العروضية الآتية:

تَفَكْكُ// رُهعلمن// وَمنط/ قـهحُكمن	وباط// نهدينن// وظاه// رهظرفن
//*/-- ///*/*--//*/--///*/*	//*/--///*/*----//*/--- ///*/*
فعول// مُتَفَعْلُنْ//فعول// مُتَفَعْلُنْ	فعول// مُتَفَعْلُنْ//فعول// مُتَفَعْلُنْ

ويعد مبدأ التعاون Co-OperativePrinciple المبدأ التداولى الأول، ومفاده أنه يجب على أطراف التحاور أن يتعاونوا فيما بينهم فى تحقيق الهدف من التحاور، لتحصيل المعرفة، والخبر، والإفادة، وإنجاز عملية تواصلية ناجحة.(٢٠٥) ويُقيِّد هذا المبدأ مؤلف الكلام- بوصف عملية التحاور من خلال الوحدات الكلامية إطارًا تفاعليًا، يدور بين المؤلف والمتلقى، على مستوى الدلالات السطحية أو المضمَّنة- بأن يجعل هيئة قوالبه اللغوية، وفئتها، وموقعيتها، وانتخابها من بين مراوغات قالبية كثيرة؛ وفقًا لسياق الوقائع والبقاع، وتبعًا لأفق الانتظار، ونمط التلقى، والسياق التداولى(٢٠٦) إذ إنه من السنن التواصلية المعلومة أن القوالب على قدْر البِقَاع، إذ يقوم مبدأ التعاون علي

(٢٠٤) انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤: ٢٨٧

(٢٠٥) انظر: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى: ٩٧

(٢٠٦) انظر: ما استشهد به عبد القاهر الجرجانى على تذوُّق الرسول- صلى الله عليه وسلم- للشعر، واستشهاده به فى الوقائع وكذلك إنكاره- صلى الله عليه وسلم- لبعض الألفاظ والمعانى فى القول الشعرى، مما يُستدل به على أن القول – أوالقصد- إنما يكون على قدر البقاع والوقائع. انظر: دلائل الإعجاز:١٧- ٢٣

المقولة التى يتشارك فيها المؤلف والمتلقي، بهدف فهم الخطاب؛ وهي: ليكن انتهاضُك للتخاطُب علي الوجه الذي يقتضيه الغرض منه.(٢٠٧)

كما يقود هذا التعاونُ المشترك إلى تحقُّق التوافق بين المؤلف والمتلقى، وإلى تفعيل الافتراض المسبق بينهما؛ حول تفسيرات محددة وتقريبية لأبعاد تصرُّف المؤلف بالدلالة الحقيقية، أوبالمجاز اللغوى أو الإشارى، أو السياقى؛ رغبة منه فى استثمار طاقاته الجمالية، والتضمينية، وفى جعل عملية التداول الكلامى، تَحْصُر المتلقى بين أمرين، أحدهما: أن يُعلَمَ بأن ما توصَّل إليه ذهنُه هو الشيءُ الذى يعنيه المتكلم، أو يُوحي به، أويقترحه، ولا يشترط أن يكون جزءًا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية.(٢٠٨) والآخر: أن ينطلق من دلالة الشكل إلى رحاب الانفتاح الدلالى، والتبادل التعاوني حول القصد من الخطاب، مجاوزًا القوالب اللغوية إلى افتراض احتمالات دلالية غير منتهية؛ كثيرًا ما تخرج إلى دائرة اللامتوقع(٢٠٩) وهذه الدلالات- فى الحال ذاتها- موصوفة بالمراوغة، والجمال، والاحتمالية؛ انطلاقًا من القول بنسبية الدلالة فى القالب اللغوى، بحسب أنماط المتلقين، حيث إن هذا المعنى يتَّسع دلاليًّا، أو يضيق؛ وفق نمط المتلقى وسياقات التلقى والقراءة؛ مع التأكيد أنه لا يندرج تحت هذه النسبية الدلالية الثوابت المعرفية أو العقدية.(٢١٠) ونحوًا من ذلك قول أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى (٢١١):

---

(٢٠٧) انظر: محاضرات في مقياس التداولية، الأستاذ: بومنقاش الرحماني ، الموسم الجامعي ٢٠١٦م / ٢٠١٧م ، جامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢، كلية الآداب، الجزائر: نسخة pdf: ٤٨

(٢٠٨) انظر: التداولية (النشأة والتطور)، د: هديل حسن عباس حسن ، جامعة بغداد ، كلية ابن رشد للعلوم الإنسانية، العراق ، ٢٠١٨م: ١٢

(٢٠٩) انظر: مدخل إلى علم لغة النص: ١٦٠

(٢١٠) انظر: الدلالة اللغوية، عمر شاع الدين، مجلة الدراسات اللغوية،م(٢) العدد(٣)، رجب/رمضان ١٤٣١هـ/أكتوبر/ديسمبر، ٢٠٠٠م: ١٠٥

الرَّامِيَاتُ لَنَا، وَهُنَّ نَوَافِرُ (٢١٢) وَالْخَاتِلَاتُ(٢١٣) لَنَا وَهُنَّ (٢١٤)غَوَافِلُ.(٢١٥)

يقول أبو البقاء:" نوافر، جمع: نافرة، وأراد بها البعيدة، وأصل النفور: الخروج إلى طلب الشيء؛ والختل: الخدع، وختله وخاتله: أى:خدعه، والتخاتل: التخادُع، والمعنى: ترميننا بلحاظهن، وهنَّ بعيدات عنا لا يقصدننا، وتخدعننا بحسنهن، وهنَّ غافلاتُ، لا يعلمن ذلك".(٢١٦) حيث يحمل الجذر المعجمى(المعنى الأصلى) لاسم الفاعل(الخاتلات) دلالة على المخادعة مع الغفلة، وهو المعنى ذاته الذى حملته الجملة الاسمية، وهن غوافل، وهذا تكرير للمعنى المُراد، ممَّا ينتهك مبدأ العرض(الطريقة)، فتملُّه نفس المتلقى. وقد يُحمَل قالبُ اسم الفاعل (الخاتلات) على الاتساع الدلالى؛ بأنه يُقدِّم فيوضًا دلالية متعددة، وجميعها محتمل التحقق، إذ إن دلالة الختل، فيها اشتراك لفظى، فقد تعنى: القتل، أو الترك، والمخادعة، حين نسلم أن قصدية المؤلف، موصوفة بالتغير، والتباين وفقًا لنمط المتلقى، وسياقات التلقى، لاسيما أن الجملة قد يكون لها أكثر من معنى،(فتشترك الدلالات) مع جواز الربط بين جميع المعانى المحتملة، ويكون

(٢١١) من قصيدة، قالها أبو الطَّيِّب المتنبى، يمدح بها القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى، من الكامل، والقافية من المتدارك. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣: ٢٥١

(٢١٢) يُشير مصطلح النفْر، بسكون الفاء، إلى معنى التفرق، والجزع من الشىء، والذعر منه، وصيغة الإفراد من : نوافر، نافر، ولا يُقال: نافرة، انظر: لسان العرب، ج٦ : ٤٤٩٧ – ٤٤٩٩، مادة : نفر.

(٢١٣) والختَل: المخادعة عن غفلة، ثم جُعل مثلًا لكل شىء وُرِى بغيره، وسُتر على صاحبه. لسان العرب،ج٢: ١١٠٠، مادة : ختل.

(٢١٤) تدور مادة (غفل) حول معنى السهو عن الشىء و الترك، انظر: لسان العرب، ج٥ : ٣٢٧٧-٣٢٧٨، مادة: غفل.

(٢١٥) الديوان :١٦٣

(٢١٦) شرح ديوان أبى الطَّيِّب ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج٣ : ٢٥١

التدفُّق الدلالى مرهونًا بالانعكاسات الدلالية لكل قالب من القوالب المشكِّلة لمكونات القصد، وهو ما تسبَّب فى دلالة الجملة على الكثير من المعانى.(٢١٧)

ومن الجدير ذكرُه- فى هذا الشأن- أن المتلقى يوجُّه رسالة إلى المؤلف، تتمحور حول تعاونهما فى إنجاز القصد:" ليكن إسهامك فى المحادثة رهنًا بما تقتضيه الغاية المقبولة، أو الاتجاهات المقبولة فى تبادُل الحديث، الذى تُشارك فيه؛ من دون زيادة، ويكون التعاون مطلوبًا بوضوح فى المواقف التى يحتاج فيها شخص ما إلى العون أو النصيحة".(٢١٨) أو" ليكن إسهامك فى الحوار بالقدر الذى يتطلبه سياق الحوار؛ وبما يتفق مع الغرض المتعارف عليه، أوالاتجاه الذى يجرى فيه الحوار".(٢١٩) وهذا التعاون يستلزم تفاعلًا يتشارك فيه أطراف عملية التواصل؛ انطلاقًا من أن المقصد التداولى لن يتحقق إلَّا من خلال هذا التفاعل الحوارى، بغية أن يقدم كلا الطرفين ما يكشف عن مقصد كل منهما.

وقد صارت دلالة اسم الفاعل (الخاتلات) أوسع فى باب تعميم الدلالة، أو بالنظر إلى تحقق المشترك اللفظى فى القالب الواحد، أو من باب التطوير الدلالى، فمعناه يُشير إلى الخداع مع الغفلة، وهو تضييق لدلالتها، بيد أن ابن منظور قد أشار إلى تطورها الدلالى، حين صارت تدل على كل شيء وُرِى بغيره، وسُتر عن صاحبه ، ولا يلزم- فى هذا الموضع- حصر دلالة الكلمة أو التركيب، أو المعنى- فى غالبه- بالمعنى الذى استعمله المؤلف، وحملته القوالب اللغوية التى تلفظ بها، أو القصد الذى أراده، ومن ثمَّ يضبط المعنى انفعالُ المتلقى تجاه عناصر الجملة أو التركيب.

---

(٢١٧) نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى):٢٣

(٢١٨) انظر: مدخل إلى علم لغة النص:١٦٠

(٢١٩) انظر: فى مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبى : ١٠٧

وعلى الرغم ممَّا بين قالبىْ اسم الفاعل: (الراميات والخاتلات) من إيقاعٍ موسيقى متوازٍ؛ فقد يوصف هذا التكثيف لقوالب اسم الفاعل بالركاكة، والتباطؤ-أو البطء- الدلالى، فعلى الرغم من تأدية هذه القوالب لوظيفة إيقاعية، تجذب انتباه المتلقى، قد شغلت ذهنه، إذ أحدثت صدمة لأفق انتظاره، وصولًا إلى المغايرة الدلاليّة، ولعل هذا مما لا يُحدث إمتاعًا للمتلقى، بسبب من ذلك التراكم لقالب اسم الفقاعل، فى بيت شعرى موصوف بالوحدة الفنية والوحدة الدلالية على أقل تقدير؛ بالإضافة إلى غلبة العقل والمنطق فى مقابل فُتور العاطفة.([٢٢٠])

يُشير ما سبق إلى أن إدراك هذه الدلالات المضمنة يحتاج إلى نمطٍ خاصٍ من التلقى، يتصاعد إلى نمط القارئ(المتلقى) الضمنى، الذى يوازن بين الدوال ومدلولاتها العميقة، مع إدراكه لما تحمله القوالب الصرفية من دلالات على الترادف، والاشتراك اللفظى، أوالخداع الدلالى، وهذا-لا شكَّ- يكدُّ القارئ السطحى، ويُصيبه بالملل والانصراف، مللًا من خوفه، أو عجزه([٢٢١])، أوعدم قدرته على اقتناص الدلالات المضمرة فى البنية الشكلية؛ كما يتبادر إلى الذهن-فى ضوء ثلاثية التواصل؛ العقل، واللغة، والنفس([٢٢٢])- أن الكلام الذى قاله المؤلف، يُحتمل أن يُشير إلى معنى ما، وهو معنى قابل للتصديق أو التكذيب؛ بيد أننا لا نستطيع أن نتكهَّن بأن هذا المعنى هو ما قصده المؤلف بالفعل، من دون غيره من المعانى المحتملة. ويقول:

([٢٢٠]) انظر: بنية الإيقاع فى منسرحيَّات المتنبى، قراءة تحليلية، د: أيمن عبد الحفيظ محمد عيَّاد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، نسخة pdf : ٩٨٨

([٢٢١]) انظر: مدخل إلى علم لغة النص:١٦٠

([٢٢٢]) انظر: حديث الإمام الغزالى عن ترك التقليد، وضرورة إعمال العقل فى عمليات الاقتناع، وضرورة، ومراعاة صوت النفس، ووضع الآراء المقابلة المتباينة على بساط البحث؛ فإن هذا ما يثبت به الجودة والصلاحية. انظر: تهافت الفلاسفة: ٥١

اَلْحَازِمُ([٢٢٣]) الْيَقِظُ الْأَغَرَّ الْـعَالِمُ ([٢٢٤]) الْـ(م) فَطِنُ الْأَلَدُّ الْأَرْيَحِيُّ الْأَرْوَعَا.([٢٢٥])

جعل أبو البقاء الرواية بنصب مورفيم الإعراب، وهو مورفيم (الميم)، من قالب اسم الفاعل(الحازم)على المدح،" قال: والحازِمَ: ذو الحزم فى أموره، واليقظ : الكثيرة التيقظ، وهو الذى لا يغفل عن أموره، والألدُّ: الشديد الخصومة، والأريحيُّ: الذى يرتاح للمعروف والكرم، أى: يهتز لهما، ويتحرك، والأروع: الذى يروعك بجماله، وقيل: هو الحاد الذكى".([٢٢٦]) يرتبط بهذا المعنى قول الشاطبى (ت ٧٩٠ هـ):" فلا محيص للمتفهم عن ردِّ آخر الكلام على أوَّله، وأوَّله على آخره؛ وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع فى فهم المكلف، فإن فرَّق النظر فى أجزائه؛ فلا يُتوصَّل به إلى مراده، حيث لا يصحُّ الاقتصاد فى النظر، على بعض أجزاء الكلام دون بعض، وأن يصل إلى بعض الأدلة، حتى لا يُتوهم ما لم يُقصد؛ وأن يروغ إلى استنباط المقاصد من روافد عديدة، وليست من مقتضيات الألفاظ والنصوص فحسب، وألَّا يقتصر على إدراك المقاصد بما هى عليه؛ إنما يعمد إلى التحليل و الاستدلال والإدراك".([٢٢٧])

وقد يُعدُّ إيراد أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى لهذه الصيغ الصرفية–ومن بينها صيغ الذات– انتهاكًا لقاعدة إلزام المؤلف بإيضاح المعنى لمتلقيه، إذ إنه قد تشكِّل أبعاد النظرية التداولية وحدودها قيدًا أمام انفتاح الدلالة للقوالب اللغوية والأساليب التركيبية؛

---

(٢٢٣) ويقول، يمدح بدرَ بنَ عمَّار، وقد وجد به علةً، ففصده الطبيب، ففرَّق المبضع فوق حقِّه، فأضر به ذلك، فقال:

أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّى وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالَا. انظر: الديوان: ١٣٠

(٢٢٤) وقال يمدح القاضى أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الأنطاكى:

الطَّيِّب أَنْتَ – إِذَا أَصَابَكَ – طِيبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ – إِذَا اغْتَسَلْتَ– الْغَاسِلُ. انظر: الديوان:١٦٤

(٢٢٥) قاله يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبى الأصبغ الكاتب، من الكامل، انظر: الديوان : ١٠٩

(٢٢٦) شرح ديوان أبى الطَّيِّب ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج٣ : ٢٦٣

(٢٢٧) انظر: الموافقات فى أصول الشريعة، ج٣: ٤١٠–٤١٤

إذا ما أُنتهكت إحدى تلك القواعد؛ إذ يُلزم مبدأ العرض احتراز المؤلف من ازدواجية الدلالة، أو تكرير القوالب الصرفية بصورة تكاد تكون مستهجنة، بأن يورد الدليل على كل دلالة نوعية، بما يوفِّر للمتلقى علامات لإيضاح المعنى؛ حين يعمد إلى إلقاء خبره إلى المخاطب؛ فيوفر للمتلقى ما يُعينه فى الإفصاح عن قصده.

والمتأملُ لدلالة قالب اسم الفاعل(الحازم) يُدرك مجافاتها لسياق الموضع، مع غيرها من العناصر اللغوية؛ يتجلى ذلك فى انحصار دلالتها على اتِّصاف الممدوح بالحزم فى الرأى، ليس على المبالغة و الكثير فى الصفة، فقد تغييب عنه هذه الصفة، من خلال دلالة اسم الفاعل، وكأن نعته بالحزم فى الرأى، يأتى مرة، ويغييب مرات؛ فى حين أن الصيغ الصرفية المجاورة دلَّت على المبالغة، فهو كثير التيقظ، لا يغفل عن أموره، وهو–مع ذلك– شديد الخصومة، رائع الجمال، حادُّ الذكاء، وكأن قالب اسم الفاعل–رغم تخصيصه بالتعريف– دلَّ على اضطراب الدلالة، ولو قال:الحَزِم، بكسر الزاى؛ لكان أنسب، وأشد دلالة على المبالغة فى اتصافه بحصافه الرأى والحزم فيه.

ويتَّضح من تحليل موقف التواصل الناجح بين المؤلف والمتلقى حرص المؤلف على تحقيق الكفاءة التداولية فى أعلى صورها، بوصفها عنصرًا فى تكوين الإنسان السوى، فى موازاةٍ مع كفاءته اللغوية القائمة على الانتقاء واستثمار الأطر الإشارية والسياقية، والافتراضات المسبقة، والاتِّصاف بملكات المُحاجج المتعقِّل، وليس من شك فى أن تلك الكفاءة التداولية قوامها قدرة المؤلف على تحقيق الكفاءة التواصلية، واستثمار طاقات اللغة العفوية والمعيارية للقوالب والتراكيب، التى قد يُلبسها المؤلف أوالسياق أثواب المراوغة، والخداع الدلالى؛ مع تحقيق ملكات التفاعل والمشاركة، مثل ملكة: الإدراك، والكم المعرفى، والمنطقية، واستثمار مُعينات اللغة الصحيحة إلى جنب مقوماتها الفنية الجمالية، مما يُتيح للمؤلف أن يترك أثرًا نفسيًّا لدى المتلقى، يدفعه لأن يصنع نشاطًا سلوكيًّا، فيتحول الفعل التأثيرى إلى سلوك إنسانى، ونفسى، ومن ثَمَّ

عضوى.([٢٢٨]) لذا يقتضى التصاعد التداولى أن ينتقل المؤلف من كونه مجرد صانع للنص إلى مُدرك لأبعاده([٢٢٩])، وتكون حاله مع المتلقى حال من يُحسن تشخيص حالته، فيسوق له البلاغ بما يناسب القصد وسياقه؛ إذ إن" حق الكلام أن يكون بقدر الحاجة، لا زائدًا عنها؛ لئلا يكون عبثًا، ولا ناقصًا عنها؛ لئلا يُخل بالغرض، وهو الإفصاح والبيان، والملقى إليه الكلام، وهو المخاطب.([٢٣٠])

يرتبط مبدأ العرض للفعل الكلامى بتوفر مبدأ الوضوح له، إذ تُلزم الأصول التداولية المؤلف بألَّا يروغ ‘لى الإبهام والإلباس على المتلقى، حيث لا يتقيد بما قيل، بل بما يُراد قوله، وبكيفية إيراد المقول؛ والطريقة التى يجب أن يُقال بها، بهدف تجنب الالتباس والإبهام، والغموض، والاختلاط الدلالى، وضياع القصد الجوهرى.([٢٣١]) أى:عدم قيام المؤلف بما يسهم فى إبهام القصد على المتلقى، وإلَّا تحققت تداولية الدرجة الأولى، التى تقوم على التعبيرات المبهمة.([٢٣٢])، وهى تداولية منخفضة التفاعل، ويكون التصاعد التداولى بين المؤلف والمتلقى ليس بالكامن فى مناسبة اللفظ للمعنى المراد فحسب؛ إنما فى مراعاته لجوانب متعددة، لعل أهمها: سياق التداول والقصد، ويُلزم مبدأ الوضوح المؤلف بأن يُراعى ذائقة المتلقى، فردًا كان أم جماعة؛ بأن

([٢٢٨]) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى: ٢٦

([٢٢٩]) علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون .أ.فان دايك، ترجمة: سعيد حسن بحيرى، ط٢، دار القاهرة، مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م:٢٧

([٢٣٠]) انظر : جواهر البلاغة فى المعانى و البيان والبديع، السيد أحمد الهاشمى، ضبط وتدقيق وتوثيق: د: يوسف الصميلى، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د.ت) : ٥٧ – ٧٠

([٢٣١]) انظر : فى مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبى : ١٠٨

([٢٣٢]) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف ، لأبى نصر الفارابى:٢٤

يقدم له تفسيراً لما ورد فى الخطاب من أخطاء، ويوضح له طبيعة التراكيب العربية الواردة.(٢٣٣)

وحين يتأمل الباحث آلية الانتقاء عند أبى الطَّيِّب، يُدرك أنه كثيرًا ما كان يتعمد التقعُّر فى اختياراته اللفظية والتركيبية، رغبة منه فى إضفاء هيبة نفسية على قوالبه، والانفراد بإنشاء الخطاب، من دون إشراك المتلقى فى إنتاجه؛ منتهكًا لمبدأ التعاون، والأسلوب؛ ومتناسيًّا أن ذلك يكون– لاشك– سببًا فى استغلاق الدلالات، وفى ضياع العلاقة بينه وبين المتلقى، بل قد ينصرف ذهن المتلقى عن متابعةهذه الدلالات؛ هروبًا من مجافاتها قانون السهولة والتيسير، ومن ذلك قوله:

اَلْكَاتِبُ اللَّبِقُ الْخَطِيبُ الْوَاهِبُ الْــ (م) نَّدُسُ(٢٣٤) اللَّبِيبُ الْهِبْرِزِىُّ(٢٣٥)المِصْقَعَا.(٢٣٦)

(٢٣٣) انظر: تجليات التأثير والتأثر بين النص الأدبى وتعليم قواعد النحو العربى،د: صفاء جاهين أحمد دسوقى، ضمن بحوث كتاب المؤتمر الدولى الثالث لكلية الآداب، جامعة أسيوط، الاتجاهات التراثية والمعاصرة فى العلوم الإنسانية، فى الفترة من: ٥– ٧ أبريل ٢٠١٦م، م١ :٤٩٥

(٢٣٤) والنِدْسُ: الصوت الخفى، ورجل ندْسٌ، وندَسٌ، وندِسٌ، أى: فَهِمٌ سريعُ السمع، فطِنٌ، وقال يعقوب: هو العالم بالأمور والأخبار، أو هو: السريع الاستمتاع للصوت الخفى، أو هو: الذى يُخالط الناس، ويخف عليهم، أو هو : الكثير الطَّعْن، أو كثير الضرب، الخفيف. انظر: لسان العرب، ج٦: ٤٣٨٣ ، مادة: ندس.

(٢٣٥) والهِبْرِزِىُّ: الإسوار من أساورة فارس، وهو الجيد الرمى بالسهام؛ أو هو : الحسن الثبات على ظهر الجواد، ورجل هبرزى: جميل وسيم، وقيل: نافذ، وقيل: هو الأسد. انظر : لسان العرب، ج٦: ٤٦٠٤ ، ماداة : (هبر) (هـ، ب، ر).

(٢٣٦) والمُصقع: الخطيب البليغ، أى: يذهب فى كل صقع من الكلام، والوقوع علىالمعانى والتمكُّن منها.وفى حديث حذيفة بن أُسَيْد: شرُّ النَّاس فى الفتمة: الخطيب المُصْقَع، أى: البليغ الماهر فى خطبته، الداعى إلى الفِتن، الذى يُحرِّض الناس عليها. والبيت من الكامل، انظر : الديوان : ١٠٩، وانظر: لسان العرب، ج٤ : ٢٤٧٢ – ٢٤٧٣، مادة : صقع.

وقد اختار أبو البقاء روايةَ النصب، على المدح،"واللبق: الخفيف فى الأمور، والهبرزى: السيد الكريم، وقيل: الوسيم، والمصقع: الفصيح، واللبيب: العاقل، والنَّدُس: الفَهِم".([٢٣٧]) ينبغى الإشارة إلى أن مرتكز الاستلزام الحوارى، بوصفه عنصرًا من عناصر التداولية– يقوم–عند برايس–على مبدأ التعاون، فى إيصال الرسالة أو الحالة المُراد إبلاغها بين مستخدمى القوالب الصرفية، داخل نصوص معينة، وفى صورة دلالية موصوفة بالرشاقة، وليس الأمر قاصرًا على السلوكيات اللغوية؛ إنما يمتد ليشمل السلوكيات غير اللغوية، ويستند هذا المرتكز على أن المتحاورين – غالبًا– ما يتبعون هذا المبدأ فى تحاورهم، ويهتدون به إلى ما يقصدون، حين يجعلون المناسبة، وصدق التعبير عن الغاية أساسًا لإدارة عملية المحاورة، باعتماد قواعد الصلة بين الطرفين، والمناسبة الكلامية، والنوعية، والكمية والأسلوب؛ وصولًا إلى الإفهام والفهم.([٢٣٨])

تأسيسًا على الكلام السالف الذكر فإن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى لم يُراع مبدأ العلاقة بينه وبين متلقيه، ولم يحرص على لفت انتباهه، ولا مراعاة مبدأ التوقع لديه، وفقًا لأفق انتظاره، الذى يشكل معيارًا للافتراض المسبق بينهما فى عملية التواصل، فزاحم بين الدلالات البليغة، فضعفت دلالة قالب اسم الفاعل فى الدلالة على تكثير الصفة، وشقَّ على متلقيه؛ حين كثَّف العبء الدلالى فى سياق تعبيرى واحد، بكثرة القوالب الدالة على المبالغة، فأفقد اسم الفاعل دلالته وعمله، على الرغم من كونه معرفًا بـ(ال)؛ فانتهك مبدأ التناسب بين القوالب الصرفية التى حمَّلها قصده، وبين نمط التلقى، بالإضافة إلى انتهاكه مبدأ علاقة تقدير المؤلف لأفق انتظار متلقيه؛ حيث إنه لم يسُق إلى ذهنه ما يوفِّر له بيئة حيوية، تقوم على الاستقامة، والإدهاش، والإمتاع، فذكر

([٢٣٧]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج٣ : ٢٦٤

([٢٣٨]) انظر : نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث ، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى) : ٢٩

كلمة: (الهبرزى) التى تدل على معانٍ عديدة، فأوردها بصورة غير لائقة، إذ قادت أفقَ انتظار المتلقى نحو التعمية الدلالية (استغلاق المعنى) والتضليل لطاقة التلقى، فحارت ذهنية المتلقى بين دلالة هذه الكلمة، من خلال موقعيتها، وتجانسها مع غيرها من القوالب الصرفية، فأشعرته بحالة من التنافر، وكأنها بمنزلة نواة فى عقد در، أو بعرة بين لآلئ، وحاصل المنافرة أن معناها غير ملائِم لما يحمله البيت من معانٍ.(٢٣٩)

وقد نظر ابن رشيق إلى المؤلف والمتلقى، بوصفهما شركاء فى موقف التواصل، بيد أنه ألزم المؤلف بالإبانة عن قصده بكل سبيل،"وتقريب المعنى على السامع؛ بالإشارة، والاستعارة، والمجازات المستعملة؛ فإن العرب إنما فُضِّلت بالبيان والفصاحة، وحلا منطقها فى الصدور، وقبلته النفوس؛ لأساليب حسنة، وإشارات لطيفة، تُكسبه بيانًا، وتصوِّره فى القلوب تصويرًا؛ وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قرَّبوه من فهم السامع؛ بالاستعارات والمجازات التى استعملوها .(٢٤٠)

والناظر إلى البنية الصرفية لقوالب اسم الفاعل(الكاتب– الواهب) يجد أنها حققت إيقاعًا موسيقيًا، يملأ الأذن بمفردات المعنى؛ حتى يتذوق المتلقى طعم المعانى، من الإيقاعات المتتالية؛ ويتأتَّى هذا من تناسب قوالب اسم الفاعل، وجرسها، وتنغيمها؛ وحُسن إيقاعها فى الأذن، بالإضافة إلى التوازن المتحقق من نسيجها المقطعى، لكن المُتَنَبِّى فى انشغاله بالإيقاع الصوتى، والتناسب المقطعى بين قوالب اسم الفاعل، انتهك مبدأ العلاقة بين المؤلف والمتلقى، فكثُرت معانيه، حتى بلغت حدَّ المغايرة الدلالية، وانتهكت المتوقع فى ذهن المتلقى من المعانى، مما جعل ذهن المتلقى يتنقل بين مضمون قالب اسم الفاعل الأول(الكاتب) وما يدل عليه من فعل الكتابة، ويتمركز

(٢٣٩) انظر : الطراز، ج٣: ٥٨ – ٥٩

(٢٤٠) العمدة، ج٢: ٤٦

حول إيقاعها الناتج عن بنيتها المقطعية (كاتب) (كا + تـ+ بُ) (ص ح ح + ص ح + ص ح)، ثم يُجبر ذهنه- قسرًا- على المغايرة الدلالية، فيتمحور حول دلالة قالب مثال المبالغة (اللَّبِق)، وما يحمله من معانى نوعية، ثم ينتقل إلى التمحور حول مثال المبالغة(الخطيب)، ثم تتصاعد يقظته حول معنى كلمة (الواهب) المتجانسة مقطعيًّا مع البنية المقطعية لقالب اسم الفاعل(الكاتب)، المغايرة لها من حيث الدلالة، بالإضافة إلى أنه لا توجد دلالة منطقية بين الكتابة والهبة، كل ما سبق يُشير إلى ذلك العنت اللاحق ذهن المتلقى جراء التكثيف الدلالى، إذ الفواصل بين قالبىْ اسم الفاعل صيغ مبالغة دالة على التكثيف الدلالى، ومغايرة للامتداد الدلالى لقالب اسم الفاعل(الكاتب) وكأن أفق الانتظار لدى المتلقى قد أدراك تنافرًا ومجافاة بين القوالب الدلالية، وقد يترتب على ذلك شك المتلقى فى دلالة قالب اسم الفاعل؛ فهو بين مغايرات دلالية، وتناقضات، وفجوات، وبين بينى وآخر، مما قد يتسبب فى ضياع القصد.

كما انتهك مبدأ مراعاة المتوقع فى أفق انتظار المتلقى، وفى سياق التواصل التداولى، فلا يشعر المتلقى بطعْم الكلمات، ولا يتمكن من تحقيق الترابط الدلالى بين مضمونهما، حيث تتغاير دلالة الكتابة عن دلالة الهبة، وفى هذا يقول ابن الأثير:" إن للكلمة طعمًا، يُعرف مذاقُه من بين الكلام، وخفة الأرواح معلومة من بين ثقل الأجسام... ومن المعلوم أن" من له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ فى الأذن نغمة لذيذة، كنغمة أوتار، وصوتًا مُنكرًا كصوت حمار، وأن لها فى الفم أيضًا حلاوة كحلاوة العسل، ومرارةً كمرارة الحنظل، وهى على ذلك تجرى مجرى النغمات والطعوم".([٢٤١])

وليس من شك فى أن انتهاك المؤلف لميدأ المتوقع فى ضوء أفق انتظار المتلقى، يدفعه نحو الانحراف إلى بدائل دلالية، قد لا تتناسب مع قصد المؤلف، فنرى

([٢٤١]) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ج١: ١٢٤، ج١: ١٥٦

اضطرابًا فى الدلالة الكلية للبيت الشعرى، وتداخلًا فيها؛ مما ينتج عنه فراغات انتظار، وفجوات دلالية؛ مما قد يتسبب فى ضياع العلاقة بين مؤلف الكلام ومتلقفيه، والمُتَنَبِّى– فى تكثيفه لقوالب اسم الفاعل، فى البيت السابق؛ مما اقترن بالأداة التعريفية (ال)– يُصرّحِ بقوة قدراته اللغوية، رافضًا مبدأ التعاون، الذى يقضى بأنه يجب على المؤلف أن يوفِّر لمتلقيه بيئة لغوية.(٢٤٢) تعينه على إتمام عملية الفهم(٢٤٣) وأن يتجنَّب غير المستعمل من الأدوات والقوالب والتراكيب، وأن يُحسن افتتاح عناصر قصده؛ بألَّا يُورد القوالب التى تكون سببًا فى ملل المتلقى، وأن يعرض قصده فى هيئة بعيدة عن الضعف؛ وهنا تصير مبادئ التداولية معيارًا فى عملية التواصل؛ قد انتهكه أبو الطَّيِّب بقصدية– إن جاز للباحث التعبير بهذا المصطلح– لرفضه الامتثال لقواعد التعاون بينه وبين متلقيه؛ وهذا قد يُشير إلى سمة نفسية، أو إلى توتُّر عصبى، امتلك على المؤلف نفسه، وقد يكون السبب فى ذلك خصائص داخلية نفسية، جعلت من أبى الطَّيِّب مبالغًا فى مدح من يتعرض له، وجاءت أداة التعريف متصلة بقالب اسم الفاعل، لتقدم معلومات، فيها كثير من المبالغة غير المتوقعة.(٢٤٤)

بل إننا نجد مبالغة دلالية تقود أفق المتلقى إلى الحيرة بين تناقض الدلالات، والكلام المُحال(٢٤٥)، فيحاول المتلقى إزالة هذا التناقض، ليُحقق الاتِّساق بين الدوال ومدلولاتها، فى ضوء معيارىْ الحقيقة والمجاز، موازنًا بين المعيار الكمِّى للحقائق والمعارف فى مواجهة الخلط والمجاز(٢٤٦)، إذ إن المجاز يُنقص وضوح القصد

---

(٢٤٢) علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات): ٦١

(٢٤٣) العمدة ، ج١: ١٨١ وما بعدها

(٢٤٤) القارئ فى النص، نظرية التأثير والاتصال، د :نبيلة إبراهيم ، م فصول ، م١٠ ، ع٢ : ١٠٣

(٢٤٥) انظر: تهافت الفلاسفة، المسألة الأولى، فى إبطال قولهم بقدم العالم :٩٢

(٢٤٦) انظر: فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام : ٥٢

والدلالة؛ إذا كان بعيد المأخذ، وفيه التواء(٢٤٧)، مع ككونه من روافد التشويق والإقناع؛ فكيف يكون ممدوح المُتَنَبِّى سيدًا كريمًا عاقلًا، ذا فهم وحصافة، وهو- مع ذلك- خفيف فى الأمور غير متريث؛ ليس من شك فى أن وقوف ذهن المتلقى بين هذين المعنيين يُصيبه بالحيرة والملل، فقد غابت علاقة المصداقية بين المؤلف والمتلقى، بالإضافة إلى ذلك؛ فإن كلمتى(الكاتب، والواهب) رغم دلالتها على تخصيص الدلالة؛ فقد انتهكتا مبدأ التناسب لمراعاة أفق انتظار المتلقى، وكأن فيهما ضعفًا واضطرابًا، بجوار صيغ المبالغة(اللبق، والخطيب، والندس) الدالة على ثبات الدلالة واستمرار تأكيدها؛ مما يجعل ذهن المتلقى بين مثيرين، قد يتصفان بالتناقض، فهو بين قوالب صرفية دالة على معنى يأتى ثم يزول، وبين قوالب دالة على معنى ثابت مستمر، وهذا- لا شك- قد يكون سببًا فى اضطراب الدلالة أو ضياعها. يقول- فى موضع آخر:(248)

الْقَائِلُ(٢٤٩) الصِّدْقَ(٢٥٠) فِيهِ مَا يُضَرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ(٢٥١) الْحَالَيْنِ فِى السِّرِّ وَالْعَلَنِ.(٢٥٢)

---

(٢٤٧) انظر : بلاغة الإقناع(دراسة نظرية و تطبيقية) : ١١١

(248) يمدح أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخصيبى، القاضى الأنطاكى، وهو يتقلَّد القضاء بأنطاكية، والبيت من البسيط، والقافية من المتدارك.

(٢٤٩) روى أبو البقاء، القائل، بلفظ السائل، انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى، ج٤: ٢١٦

(٢٥٠) ونحو ذلك ، قوله :

الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ ... .. وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ ، ولَمْ يُقَلِ.

وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ... .. ضَوْءَ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطَّفَلِ

.انظر : الديوان : ٢٦٦، وانظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه: ٤٧٣

يقول أبو البقاء:" الصدق، بالجر والنصب؛ فالنصب على معنى: الذى يقول الصدق، فهو يقول الصدق فى الحال والاستقبال، فهو صادقٌ على الدوام، ومن جر جعله للماضى، معناه: الذى قال الصدق، ودليل الخفض عجز البيت، والواحد الحالتين، السر والعلن، على البدل منهما، والسرُّ: ما يُسره الإنسان، والإعلان: ضده، وأضر به: إذا حمله على الضُّر، المعنى، يقول: هو يقول الصدق، وإن كان مُضرًا به، ولا يُضمر خلاف ما يُظهر، فسرُّه كعلنه، والصدقُ نافعٌ، وإن كان فيه ضرر".([٢٥٣])

فيصير انخفاض درجة التداولية؛ حين يستخدم المؤلف قوالب وتراكيب، تُبهم الدلالة على المتلقى؛ حيث إن من لم يعرف شيئًا من اللغة لا يُمكنه أن يخوض فى عارض من عوارضها؛ فيحصل له من الألفاظ المفردة معرفة معانيها الموضوعة لها.([٢٥٤])

وتتحقق مخالفة مبدأ الكمية، حين ينتهك المؤلف أحد محورين، أحدهما: حين تزيد القوالب اللغوية عن قدر القصد، ومن ثم مجاوزة قدر المتلقى، فيما يحتاجه من معلومات، والآخر: يتمثل فى لجوء المؤلف إلى تحقيق النقصان فى أن تكون معلوماته على قدر حاجة القصد أو المتلقى أو كليهما معًا، تلك الفجوة التداولية يقع عبء إدراكها على ذهنية المتلقى الواعى، الذى يوازن بين دلالتين، قبل انتهاك مبدأ الكمية، وبعده. فعلى الرغم من تحقق الإمتاع الصوتى للمتلقى، من خلال ذلك التناسب الإيقاعى بين قالبىْ اسم الفاعل(القائل/والواحد) فقد حدثت مغايرة دلالية، بين دلالة النسق الجملى الأول: (القائل الصدق فيه ما يضر به)، فيتمحور ذهن المتلقى بين

---

(٢٥١) ونحوًا من ذلك قوله :من الطويل : حُشاشة نفسٍ ودَّعت يوم ودَّعوا... فلم أدرِ أيَّ الظَّاعنين أُشيِّعُ. انظر: الديوان: ٢٢

([٢٥٢]) الديوان : ١٥٧

([٢٥٣]) انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى ، ج٤: ٢١٦

([٢٥٤]) انظر : الطراز ، ج١: ٢٤

رغبة المُتَنَبِّى فى أن يصف ممدوحه، بأنه قوَّال للصدق، ولا يضره فى فعله هذا أمر، تعود ذهنية المتلقى إلى الانتقال الدلالى، المغاير لدلالة النسق الأول، فيقول– فى النسق الثانى: (والواحد الحاليْن فى السرِّ والعَلَنِ)، فكأنه يكثِّف من عناصره اللغوية والتركيبية، ليضفى على ممدوحه حالة من الثبات، فظاهره مثل باطنه، وسرُّه كعلنه، واللافت للنظر هو ما قام به من تكثيف العناصر الدلالية، التى جعلت ذهن المتلقى يتصاعد فى تعرُّضه لقالب اسم الفاعل، ثم تنخفض تداوليته مع المتلقى فى غيرها من العناصر اللغوية، ثم يُقسر ذهن متلقيه على متابة دلالات نوعية بعيدة و نوعية.

والمتأمل لقوالب اسم الفاعل(القائل– الواحد) يُدرك سبب وقوع المتلقى فى حيرة دلالية؛ إذ يتوقف إدراكه لقصد المؤلف على قدرته فى جمع الشتات الدلالى بين النفس والعقل، فالإيقاع الصادر من القالبين الصرفيين موجَّهٌ إلى النفس، بغية التأثير فيها؛ وتحريك مشاعرها بالجرس والبنيات ذات الإيقاع؛ فى حين إن انفصال كلتا الجملتين المستقلتين(القائل الصدق– الواحد الحالين) دلاليًا، هو حديث موجَّهٌ لمخاطبة العقل، بهدف اسمالته إلى الإصغاء، ومن ثم إقناعه؛ وليس من شك فى أن الجمع بين اللذتين يفتقر إلى نمط متميز من المتلقين، ذلك النمط الذى يستطيع اقتناص القصد من بين زحام الدلالات، بل بين تغايرها وتناقضها أحيانًا، مما يجعل الأمر فوق طاقة المتلقى السطحى، ناهيك عن كدِّ طاقة المتلقى من الأنماط العليا، فإذا شكل الإيقاع سببًا لالتذاذ النفس وإيقاظها، فقد أدى التكثيف الدلالى للمتعلقات والمكملات الفاصلة بين قوالب اسم الفاعل إلى تشتيت هذا الانسجام، وفتور الشعور بهذه اللذة.

وهذا ما يُؤَدِّى إلى زيادة التوتر فى المسافة بين ما يُظهره النص وما يُضمره؛ وهذا الخليط الشعورى يكون بمثابة السلطة الفعالة، التى توجِّه الفهم فى المسافة بين الدال والمدلول، حيث إن جملة كل قالب من قوالب اسم الفاعل–فى الشاهد السابق– تحمل خبرًا مستقلًّا، بل مغايرٌ؛ فانتُهك– بذلك الفعل الكلامى– مبدأ تقدير الدلالات

المتوقعة لدن المتلقى، رغم ما يوحى به، وما تحمله من إيقاع ، يؤدِّى إلى هدوء انفعالى؛ وكأن النسق الأول قد قرَّ فى بؤرة منطقة الإدراك والوعى لدى المتلقى، فى حين ظل النسق الثانى فى منطقة اللاوعى.(٢٥٥)

ويرتبط بمبدأ الكمية أن يعبِّر المؤلف عن كل جزئيات(٢٥٦) قصده؛ تعبيرًا يخضع لأليات الصحة المعيارية، والجماليات الفنية، فيكون صريحًا فى بعض آلياته، ويروغ إلى الغموض الفنى فى البعض الآخر، وهو غموض إيجابى، يصحُّ أن نُطلق عليه: غموض البناء، وهو عامل تجميلى؛ يُعد من ركائز الشعر الجيد، والمحدد لبناء أعمدته؛ التى يقوم عليها– وهو ما كان وقوعه ممتعًا للفكر والنفس–حسب طاقة التلقى، ووفقًا لقرينة علم المخاطب بأن يضمِّن بعضها، ويترك للمتلقى مهمة اكتشافها، وذلك حين يتوحد مع شحنات النص.

فالأساس فى بناء النص الضمنى يتمثل فى تتابع قضاياه. وأن يظل جزء منها متضمنًا، عند نطقها، أو التعبير عنها، بوصف هذا الجزء المتضمن قارًّا فى تتابع الجمل، وعلى العكس من ذلك يتحقق الأساس فى بناء النص الصريح فى مجموعة من الدلالات المباشرة، بوصفه نصًّا، بالاستغناء عن القضايا المعروفة، ومن ثم فليس الأساس النصى الصريح سوى بناء نظرى؛ وربما يكون إعادة بناء لعمليات تفسير إدراكية.(٢٥٧)

إن المتلقى، حين يتأمل كلام أبى الطَّيِّب– فى الشاهد السابق– يجد أنه قد ساق من المعلومات ما يُمكن أن يراها المتلقى فى صورة تفوق حدَّ القصد، فقد جاء بقالب اسم الفاعل المعرف بـ(ال) (القائل، والواحد) مجاوزًا أفق انتظار المتلقى، إذ عبَّر

---

(٢٥٥) انظر: بنية الإيقاع فى منسرحيَّات المتنبى، قراءة تحليلية:١٠٠٥

(٢٥٦) انظر : النص و الخطاب و الإجراء :٣٤

(٢٥٧) علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات) : ٦٢

به عن عموم الدلالة على مضمون القالب الصرفى، فهو يقول الصدق، وإن كان مُضرًا به، وعلى الرغم من كوْن قاعدة الكيف إطارًا يُلزم المؤلف بألّا يقول إلّا قولًا صادقًا فى التعبير عن القصد؛ كما تُلزمه بأن يحترز من قول الكذب، ولا يتقول إلّا ما امتلك دليلًا عليه.(٢٥٨) فهذا الحكم من المتلقى على ممدوحه- وإن كان من باب المبالغة، وإن حُمل على المجاز فى بعض تفسيراته- جاءت المعلومات فيه كثيرة، كما جاءت دلالة قوالب اسم الفاعل (الكاتب، والواحد) موغلة فى التعميم، لا تراعى مبدأ الملاءمة والإفادة المباشرة، فصدم أفق التوقع لدى المتلقى، إذ لا يُتصور أن يكون هذا المعنى مطلقًا، وإن كان من باب المجاز، ومن الجديد بالذكر أن التداولية تُلزم المؤلف بأن يتعامل بحذر مع الطاقات الدلالية المحتملة والموغلة فى الخفاء للمجاز.

كما امتلأ البيت الشعرى الواحد بدلالات نوعية، شكَّل اسم الفاعل الدلالة الجوهرية فيها، فهو قائل الصدق، ولا يُضرُّ بهذا الصدق، وهو الواحد فى الحالتين، فى انتقال إلى دلالات السر والعلن، وقد تأتَّى الانتهاك لمبدأ الملاءمة حين وضع أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى ذهنية المتلقى فى حيرة بين أمرين، أحدهما: التركيز على وصفه بقول الصدق، والآخر فى محاولته استبطان نفس المتحدث عنه، وعرضه على محددات الاستعمال والتعايش، والاستفسار عن تحقق التوحد فيه بين الحالتين، فى سره وعلنه. وهنا تُفتَقد الأبعاد التداولية؛ فتغيب العلاقة بين الفعل الكلامى المتلفظ به، ودلالة الواقع، بوصفه صورة من صور الإقناع البصرى؛ وحين يكون سياق الواقع مجاوزًا لأفق انتظار المتلقى، فتوصف التداولية- فى هذا الموضع-بالتداولية المتعالية، حيث لا تتساوى حدود القوالب الكلامية وحدود الدلالة الواقعية.(٢٥٩)

وهذا الأمر قد فعله أبو الطَّيِّب فى المثال السابق، إذ ساق إلى ذهن المتلقى

---

(٢٥٨) انظر : ظاهرة الاستلزام التخاطبى فى التراث اللسانى العربى: ١٠٥

(٢٥٩) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى: ٢٦

كثيرًا من القوالب اللغوية، التى لم تراع قرينة علمه، فبالغ فى إيراد قوالب لغوية من المكملات الهامشيةConnotation، على نحو ما نرى من إيراده عبارات الجار والمجرور، ومخصصات الصلة([٢٦٠])، والمكملات الدلالية من خلال المخصص بالعطف، مما أفقد ذهنية المتلقى التركيز حول قصد ما.

فقدَّم كل قالب– من قوالب البيت السابق– معنى جديدًا، إلى المعانى السابقة، التى يمتلكها السامع؛ من خلال تعرضه للقوالب المركزية، التى رامت تسليط الضوء على مناقب الممدوح؛ من خلال تفسير القضية Topic Comment، المتحدَّث عنها بالنسبة للجمل، أو من خلال تعبيرات خاصة، وأبنية نحوية .([٢٦١]) فوقع اضطراب تداولى بين وصفه ممدوحَه بقول الصدق، أو بسؤاله؛ على رواية أبى البقاء، وبين وصفه أنه ليس منافقًا، فباطنه فى السر، وظاهره فى العلن سواء. ويقول :

الْفَاصِلُ الْحُكْمَ([٢٦٢]) عَىَّ الْأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ(٢٦٣) الْحَقَّ لِلسَّاهِى عَلَى الذِّهِنِ.([٢٦٤])

يقول البقاء:"عىَّ بالأمر، إذا عجز عنه، والساهى: الغافل، والذِّهن: الفطن الذكى، المعنى: يقول: يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون، ويُظهر حق

([٢٦٠]) النحو بين عبد القاهر و تشومسكى ، مجلة فصول ، م١٠ ، ع٢: ٣٥

([٢٦١]) علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات) :١٤٦

([٢٦٢]) قال يمدح الحسين بن على الهمذانى :

مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِى َبَيْنَهُمْ ... لِأَنَّهُمُ يُسْدَى إِلَيْهِمْ بِأَنْ يُسْدُوا. انظر: الديوان : ١٩٣

(٢٦٣) ويقول : الفارجُ الكُرَبَ العِظامَ بمثلها والتَّارِكُ المُلْكَ العزيزَ ذليلًا.

والبيت من قصيدة لأبى الطَّيِّب، قاله عندما خرج بدر بن عمَّار إلى أسد، فهرب الأسد؛ وكان خرج قبله إلى أسد، فهاجم بقرة، افترسها بعد أن شبع، وثقل، فوثب على كفل فرس، فأعجله، على استلال سيفه، فضربه بسوطه، ودار الجيش به، فقُتل. ويقول، يمدح أبا على هارون بن عبد العزيز الأوراجى الكاتب:

وإذا مُدحتَ فلا لتكسب رفعةً للشاكرين على الإله ثناءُ. انظر: الديوان : ١١٩و١٣٣

([٢٦٤]) البيت من البسيط، الديوان : ١٥٧

الخصم الغافل على الخصم الذكى".([٢٦٥]) يعمد المؤلف–حتى يعقد ضفيرة تواصلية وتشويقًا مع متلقيه– إلي سدِّ طريق إدراك القصد أمام المتلقي، حين يُدرك سعيه الحثيث إلي معرفه قصده، أو حين يُدرك امتلاك المتلقي لأدوات ومهارات تقربه من اصطياد المضمون القضوي لقصد المؤلف الذى رامه، وعمد إلي إخفائه. هنا تحسن الإشارة إلى أنه تقضى قاعدة الكمية للفعل الكلامى، عند فان دايك، حذف كل القوالب اللغوية التى تحمل معلومة غير جوهرية([٢٦٦]) مع التركيز على توفير كمية المعارف الواجب تقديمها إلى المتلقى فحسب([٢٦٧]) فى حين تقضى قاعدة الاختيار حذف الكم الزائد عن القصد، بأن يقدم المؤلف كمًّا محدَّدًا من المعلومات، وفق ما يقتضيه مبدأ تناسق الدلالات وتدرُّجها، حتى تُدمج فى تعددها؛ " وقد يُستعَاد المحذوف بخلاف القاعدة الأولى، وتقوم قاعدة التعميم بحذف معلومات أساسية إلى حد أنها قد تضيع، فتحذف المكونات الأساسية لتصور ما، وتحل قضية جديدة محل أخرى قديمة وفق التخطيط، وتؤدى قاعدة الإدماج والتركيب دورًا مهمًا؛ حيث تحل معلومة جديدة، محل معلومة قديمة، ولا تُحذف، ولا تختار".([٢٦٨])

وفى البيت السابق؛ أورد المُتَنَبِّى اسم الفاعل(الفاصل) معرَّفًا بال، وقد عمل عمل فعله، بالتعريف، وهو دال على الحدوث، وقد حمَّله أبو الطَّيِّب دلالة الفعل الماضى، فصدَّر بها خطابه التداولى، فغدت فى حكم الحقيقة الثابتة، إذ إن قرينة التعريف قد جعلت أفق انتظار المتلقى متوقعًا لدلالة اسم الفاعل، فغابت جماليته، فى

---

(٢٦٥) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤: ٢١٦

(٢٦٦) علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات) : ٣٢

(٢٦٧) انظر: ظاهرة الاستلزام التخاطبى فى التراث اللسانى العربى ، أ: كادة ليلى، نسخة pdf ، من دون بيانات توثيقية : ١٠٥

(٢٦٨) علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات) : ٨١ – ٨٤

تحقيق الإيقاع والحيوية فى الدلالة، فلم تراع طاقة التلقى الراغبة فى الحصول على اللذة والمتعة، من خلال دلالته على التجدد والاستمرار.

وقد أورد أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى من قوالب اسم الفاعل المعرفة بمورفيم سابقة التعريف والتخصيص الدلالى(ال) ما من شأنه أن يتسبَّب فى انخفاض درجة التداولية، إذ أوردها من الغريب غير المستعمل، الذى يتأذى المتلقى برؤيته أواستماعه؛ وينبو عنها حسُّه، ويمجُّها معيارُ الذَّوق لديه؛ فانتهك به مبدأ المواضعة الاجتماعية، فأحدث حالة من الحيْرة والاضطراب فى أفق انتظار المتلقى، إذ غابت العلاقة الإيجابية الطرديَّة بين الاستعمال والدلالات العرفية فى ذهن المتلقى؛ يقول:

فِدىً مَنْ عَلَى الْغَبْرَاءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا   لِهَذَا الْأَبِيّ الْمَاجِدِ الْجَائِدِ (٢٦٩)الْقَرْمِ.(٢٧٠)

فقد انتهك أبو المُتَنَبِّى مقياس الصحة الصرفية للفعل اللغوى الكلامى(٢٧١) بإيراده قالب اسم الفاعل(الجائد)، إذ لم يُروَ عن العرب استعمال هذا القالب من صور

(٢٦٩) ذكر ابن منظور أن القَرَمَ، بفتح القاف و الراء: شدَّة الشهوة إلى اللحم، حتى صاروا يتعوذون منه، والقرْم، بسكون الراء: الفحل الذى يُترك من الركوب؛ ويُودع للفِحْلَةِ؛ وقيل: هو الذى لم يَمَسُّه الحبل، والقرْم من الرجال: السيد المُعَظَّمُ ، وهو من البعير الأقرم، وهو : البعير المكرم، الذى لا يُحمل عليه، و لا يذلَّل، ولكن يكون للفِحْلَة، و الضراب. انظر: لسان العرب، ج٥: ٣٦٠٤، مادة : قرم.

(٢٧٠) البيت من الطويل، من قصيدة للمتنبى ، يمدح بها السحين بن إسحاق التنوخى ، والقافية من المتواتر. انظر: شرح ديوان المتنى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤: ٥٥

(٢٧١) بالإضافة إلى انتهاك أبى الطَّيِّب المتنبى للكثير من المعايير النحوية والأصول اللغوية، على نحو ما نرى حين يصل الضمير بـ: (إلَّا)، وحقه أن ينفصل، فى قوله:

ليس إلَّاك يا علىُّ هُمام...   سيفه دون عرضه مسلول.

ومن ذلك – أيضًا– تعجبه بمخالفة صناعة الإعراب، فى قوله:

ابعد بَعِدتَ بياضًا لا بياض له؟ ..   ....لأنت أسود فى عينى من الظُّلَمِ.

حيث إن ألف التعجب لا تدخل على ألف أفعل، إنما يُقال: أشدُّ سوادًا، و حمرةً، وخضرةً.

بالإضافة إلى إيراد أبى الطَّيِّب المتنبى لكثير من الألفاظ اللهجية المستهجنة، مثل ما فى قوله:

اسم الفاعل؛ بتلك الصورة وصفًا لعاقل. وفى هذا المعنى يذكر ابن منظور أن العرب تقول: رجلٌ جوَّاد: سخى، وكذلك: المرأة بغير هاء، وجاد الرجل بماله يجود جودًا ، فهو جَوَاد... قال: ولم يُسمع مع هذا عنهم :" جِوادُ، فى التكسير البتة؛ فقالوا: جِيَاد، كما قالوا: حِيَاض، وسِيَاط، كما حكى قولهم: وجاد المطر جَوْدًا: وَبَلَ، فهو جائدٌ، والجمع جود.([٢٧٢])

فقد تعسف أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى– وهو فى معرض الإفراط فى المدح– فى اللغة والإعراب؛ حيث أورد اسم الفاعل(الجائد)،وهو ما لم تَحْكِهْ العرب، وهو مما يسبق إلى القلوب إنكاره، وقد حُكى عنهم: رجل جواد، وفرس جواد، ومطر جواد.([٢٧٣])

وتختص قاعدة الهيئة أوالعرض للفعل الكلامى– فى الطرح التداولى– بأن يسوق المؤلف إلى متلقيه قوالب مستعملة يألفها، ويعلم دلالتها المعجمية والصرفية والاجتماعية؛ حيث إن من لم يحرز هذا الأمر لا يأمن الوقوع فى محذور التأويل ومكروهه، مما يُلبس الدلالة، حيث إنه قد لا يكون هناك فرق بين تغيُّر الإعراب فى

لعظمت حتى لو تكون أمانةٌ ... .. ما كان مؤتمنًا بها جبرين.

وينقل الشيخ يوسف البديعى قول الصاحب بن عبَّاد: قلت: وهذه اللام إلى النون أبغض من وجه المنوّن، ولا أحسب جبريل– عليه السلام– يرضى منه لبهذا المجون، هذا على ما فى معنى البيت من الفساد والقبح. وقد يُضمِّن شعره الألفاظ الغريبة والتراكيب الركيكة والسفسفة، وينقل ألفاظ العامة، والسوقة، ومعانيهم، ومن ذلك قوله:

تألَّم درزه والدِّرزلين .. .. كما تتألم العضب الصنيعا.

وقد أشار الصاحب بن عباد إلى ثقل الألفاظ المستعملة ، فنقل حديث لحظة الطولوية المغنية، يقول: سمعتها تقول: يا جارية، علىَّ بالقميص المعمول من النسيج، فقد آهانى ثقل الدروز. انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٦٥– ٣٦٦

([٢٧٢]) انظر: لسان العرب،ج١: ٧٢٠ – ٧٢٢ ، مادة: جود ، (ج ، و ، د)

([٢٧٣]) انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى : ٣٤٥

ضبط للكلمة وبين تغيُّر بنيتها، ومخالفتها للأقيسة الصرفية.([٢٧٤])

المطلب الثانى : اسم الفاعل المعرف بالإضافة:

تنبغى الإشارة إلى تحقق المقاربة الدلالية لهذا الصنف من التراكيب اللغوية عن طريق المخصص الإضافى اللاحق للاسم النكرة، والمقيّد لدلالته، سواء كان اسمًا ظاهرًا،(قالبًا لغويًّا معرَّفًا أو منكَّرًا) أو كان من باب الضمائر أو الأسماء المبهمة، وقد ورد هذا النمط فى شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى، ومن أمثلة ذلك قوله:

يَا (عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ) دَعْ فِئَةً   أَضَلَّهَا الله، كَيْفَ تُرْشِدُهَا ؟.(٢٧٥)

يقول أبو البقاء:" الفئة: الجماعة من الناس، ويُريد بهم العشَّاق، المعنى: يقول لمن يعذله فى المحبة: دع عنى عذلك، كيف تعذل من أضله الله فى الهوى؛ حتى استولى عليه، وثلب([٢٧٦]) عقله؟ كيف تفعل هذا ؟, أتريد رشاده، وقد أضله الله ؟ لا تقدر على هذا".([٢٧٧]) وقد تجسَّد الانفتاح الدلالى لقول المُتَنَبِّى فى قول الواحدى:" إنهم لا يصغون إلى عذلك، لما بهم من ضلال العشق، ثم ذكر قلة نفع لومه".([٢٧٨])

يبدو–من المعنى الظاهرى فى قوله:(عاذل العاشقين)– استخفاف المؤلف بالعلاقة بين أطراف التواصل، بالإضافة إلى انتهاك مبدأ الأسلوب، وعدم التقيّد بضرورة أن يستوعب المؤلف شخص المتلقى ونفسه؛ بأن يعرض ما يتهكم به، بصورة

([٢٧٤]) انظر: الطراز ، ج١: ٢٦

(٢٧٥) فى صباه ، يمدح أبا الحسن محمد بن عبيد الله العلوى، والبيت من الرجز، الديوان : ٣

([٢٧٦]) هكذا فى شرح أبى البقاء العكبرى، ولعلها: سلب، بالسين، المهملة، وليست بالثاء المعجمة المثلثة الفوقية.

([٢٧٧]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١: ٢٩٨

([٢٧٨]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى ، ج١ :٢٩٨

ضمنية، غير معلنة، أو يكسوها ثوب التورية، أو يجعلها من باب المشترك اللفظى، أو أن ينتقى من عناصرها ما يدل على المعنى وضده، وتقرر التداولية– فى هذا الموضع– أن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى قد تعمد التعرض لشخص المتلقى، كاشفًا له قصدية تعمُّده لهذا الاتِّهام، واصفًا إيَّاه بالضَّلال، والتَّقليل من أمره.

تجدر الإشارة إلى أنه ينبغي لمؤلف النص–فى ضوء مبدأ الهيئـة ([٢٧٩]) والتخطيط لعرض للقصد؛ بوصفهما من القواعد الفرعية لمبدأ التعاون، في حرصه علي إيصال قصده– أن يعتمد استراتيجية بعيدة عن الاندفاع، أو أن يسلك خطة تُسهم فى تقريب قصده من القلوب– يتبعها– راغبًا فى استمالة المتلقى، بهدف تحويله إلى الفعل السلوكى، وهنا يتجنب المؤلف العبارات الغامضة، حيث يقوم بتوضيح المعنى، مؤسسًا انتخابه للقوالب اللغوية على أن تكون كل لفظة لغوية أو إشارة دلالة، ممَّا يُسهم فى تَجْلِيَة المعنى الجوهرى. ليبلغ مرادَه إلي متلقيه؛ فهو يحدد قصده أولًا، ممَّا يصلُح أن يعبَّر به عن لغة النفس، ثم يستقصي الوسائل والكيفيات المعينة له، ويستثمر طاقاتها التعبيرية.([٢٨٠])

ويُقصد بالهيئة التى يحسن أن يأتى عليها القصد(أو الصورة التى يُصاغ عليها ما فى نفس المتكلم من المقاصد) أن تكون مرتَّبة عناصرُها؛ ترتيبًا ليس فيه زيادة، وفى معانٍ مستظرفة، وبعيدة عن انتهاك العادة والعرف، وتكثير المعانى وإشكالها، وتكرير الألفاظ، بما لا فائدة منه، واختراع المعانى الغريبة التى تجافى قرينة علم المخاطب، وابتداع الألفاظ المستهجنة، التى يمجُّها الذوق، وتملُّها النفس؛ وغير ذلك مما يوصل الأثر الذى يريده المؤلف بهذه الهيئة إلى نفس السامع .([٢٨١])

([٢٧٩]) وهو المعبَّر عنه بقولنا: أوجز. وإذا كان مبدأ الكمية يهتم بمقدار ما تقوله فعلا ؛ فإن الإيجاز يهتم بمقدار ما تعتزم قوله. انظر: مدخل إلى علم لغة النص: ١٦٥

([٢٨٠]) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده : ج١: ٥(مقدمة المؤلف).

([٢٨١]) انظر : العمدة، ج١: ٢١٩

وليس من شك فى أن ما قام به أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى من الإفراط والمغالاة فى وصف ممدوحه، بشىء لا يتناسب مع الافتراض المسبق والدلالات الموضوعة فى الثقافة الاجتماعية- حيث لا يُعْذَل العاشقُ فى عشقه، إنما يُغبط- قد انتهك مرتكز الحجاج الإقناعى من جانب المؤلف، ذلك الحجاج القائم على أن الأساس فى عملية الإقناع إنما تكمن فى تمهيد المؤلف لقصده، وعرضه فى هيئة حسنة، وفى مراعاته الضوابط القياسية، والاستدلال بعرض الأمثلة، وطرح الحُجَج المؤيِّدَة؛ واستمالة المتلقى نحو عناصر القصد، ليقبل عليها، ويتقبلها. قد دلَّ اسم الفاعل- هنا- على ثبوت الحدث، وأيَّد ذلك وجود قرينة لفظية، تمثَّلت فى إضافة اسم الفاعل إلى فاعله.(٢٨٢)

وحتى يحقق المؤلف هيئة قصده، لابد له من مَلَكَةٍ فى نفسه، يصحُّ أن نطلق عليها: مَلَكَة التأليف، ومهارة حُسن العرض، وهو أن يُحسن التعبير عن المعنى الذى يقصده، ذلك المعنى الذى يعوزه إحاطة بأساليب العرب، وعلم بسننهم الكلامية، فيحدد القصد أولا، ويُحسن ترتيب الألفاظ وفقًا لمعانيها المعجمية والاجتماعية، وكذلك وفقًا لمعناه الذى يُريده، وترتيبها فى نفسه؛ ويمهِّد لها، فيجعل معناه واضحًا ظاهرًا، حين تنخفض نمطية المتلقى، من صنف المتلقى السطحى، وتكون هيئة قصده على العكس، حين نصل إلى المتلقى الضمنى المتعمق، وكذلك يجعل قصده قريب التناول، مُخْرَجًا- فى غالبه- وفق المتعارف عليه من الدلالات، ومما يحظى بالقبول فى جماعة القصد اللغوية؛ بعيدًا عن المشاكلات الكلامية، وبعيدًا عن مجاوزة الحد الدلالى؛ مع إمكانيه الانحراف بالقوالب جهة الغموض الإيجابى، بأن يورد قصده فى هيئة بعض ما يدقُّ ويغمض، ويلطف، ويغرب غرابة يقبلها أفق التلقى، ولا تصل إلى حد الإيغال فى التعمية؛ مما غاصت فيه فكرة الأفراد من ذوى البراعة، حتى يتحقق ما وصفه عبد

(٢٨٢) النحو الوافى، ج٣ : ٢٤٤

القاهر الجرجانى، بقوله:" حتى إذا تمهدت القواعد، وأُحكمت العرى والمعاقد؛ أُخذ– حينئذٍ– فى تتبع ما اخترعته القرائح، وعمد إلى حلِّ المشكلات عن ثقة بأنَّ هُيِّئت المفاتح.([٢٨٣])

فحين نعرض العناصر التركيبية–المكونة لدلالة البيت الشعرى السابق– على القواعد التداولية، نجد أن أبا الطَّيِّب قد انتهك مبدأ التعاون بين المؤلف والمتلقى، حيث إن هذا البيت لم تتحقق فيه أبعاد هذا المبدأ وقواعده، ويُمكن ملاحظة ذلك على النحو الآتى:

من حيث قاعدة الكمية([٢٨٤])، لم يُجب أبو الطَّيِّب– بالقدر الكافى والمفيد من المعلومات– عن تساؤله: كيف تُرشدها، فأجاب بقوله: أضلها الله، وهذا الجواب يحتاج إلى توضيح وتفصيل، ومن حيث مبدأ الصدق، فظاهر قوله: أضلها الله، لا يصلح أمام التزام المؤلف بمبدأ الصدق فى الخبر، ووجود الدليل عليه، وأما يخص مبدأ الملاءَمة، فلم تكن الإجابة لتناسب السؤال، بالإضافة إلى انتهاكه لقاعدة الطريقة، حيث يشيع الغموض والالتباس فى عناصر التركيب برمَّته، بوصف القصد، إطارًا يقوم على الاستدلال، تسهم جميع عناصره فى إنشاء معرفة مشتركة، تلك المعرفة كفيلة بتحقيق الإقناع.([٢٨٥]) على الرغم من إلزام الطرح التداولى المؤلف بأن يقدم للمتلقى ما يكشف

([٢٨٣]) انظر: أسرار البلاغة، للشيخ الإمام: عبد القاهر الجرجانى، المتوفى عام ٤٧١هـ، تحقيق: د: محمد عبد المنعم خفاجى، (د.ط)، مكتبة الإيمان، المنصورة، (د.ت) : ١٣٥

([٢٨٤]) انظر: الاستلزام الحوارى فى مسرحية مجنون ليلى، دراسة تداولية ، إيهاب سيد إبراهيم إبراهيم، الكلية التركية للدراسات اللغوية والأدبية، نسخة pdf:٣٤٢

([٢٨٥]) انظر: فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٤١ – ٤٢

له عن مقصده، أو على الأقل يوفر له ما يُعينه فى التوجه نحو القصد المراد، تفعيلًا للعلاقة التخاطبية بينهما، حيث التزم كل منهما بتحقيق المطلوب منه.([٢٨٦])

أما ما يخصُّ التركيب الإضافى(عاذل العاشقين) الذى يتصدره اسم الفاعل(عاذل) فقد عكس انتهاك المُتَنَبِّى لقاعدة الكمية ومبدأ الهيئة، إذ أورد معناه فى هيئة ناقصة الدلالة، ولم يوفر للمتلقى القدر الكافى، الذى يُعينه على إدراك القصد، حيث لم يُفصح عن أسباب عذل المتلقى للعاشقين، ولم يُبن ما جنوه حتى يعذلهم العاذلون، وهذا يتسبب فى حيرة ذهنية المتلقى، ويكد ذهنه فى سعيه إلى استخراج المعنى، والاقتناع به؛ بسبب من أسباب العذل للعاشقين.

ومن المعلوم أن لطف الكلام وحُسن رشاقته هما السبب فى تصاعد التفاعل التداولى(التوحد الوجدانى والانفعالى) بين المؤلف والمتلقى، وخلاف ذلك يكون سببًا فى أن ينخفض درجة التفاعل التداولى، لاسيما حين تُنتهك قاعدة التتميم، لذا يلزم المؤلف أن يقدِّم لمتلقيه من القوالب الصرفية والتراكيب ما يُعينه على إكمال الصورة الدلالية، التى تثير المتلقى، وتوقد ذهنه؛ للتفاعل مع القصد المركزى ومتابعته.([٢٨٧]) و" تقرير ذلك أن النفس إذا وقعت على كلام غير تام بالمقصود منه تشوفت إلى كماله؛ فلو وقفت على تمام منه لم يبق لها هناك تشوق أصلًا، لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شىء منه فلا شوق لها هناك؛ فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض؛ فإن القدر المعلوم يحصل شوقًا إلى ما ليس بمعلوم".([٢٨٨])

([٢٨٦]) انظر: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى : ٩٨

([٢٨٧]) انظر: الصيغ الصرفية فى سورة نوح (دراسة دلالية) : ٣٣٣

([٢٨٨]) انظر : الطراز ، ج١ : ٨٢

وهنا يبرز انتهاك المُتَنَبِّى لمبدأ العلاقة بين المؤلف بطرحه الدلالى، والمتلقى بفكره الجمعى، وما يجمع بينهما من افتراض مسبَّق، وإن المتأمل للعناصر اللفظية فى البيت السابق يُدرك أن المُتَنَبِّى قد خالف قاعدة الكيف: إذ أورد خبرًا من دون دليل عليه، والخبر على ظاهره، مما لا يعذل عليه العاشقون، بل إنه فى إيراده الخبر بهذه الطريقة قد انتهك مبدأ العلاقة بين أطراف العملية التواصلية، إذ ساق خبره بكيفية التهكم والاستخفاف، وكأنه يهدف من وراء خبره هذا إلى تأنيب العاشقين، لمجرد كونهم عاشقين، كما جسد- بصنيعه هذا- انتهاكًا لمرتكز الافتراض المسبق بين المؤلف والمتلقى؛ حين وجَّه له حديثًا، من المفترض أنه معلوم مسبقًا، ولم يوفر له بيئة لغوية، تحملها القوالب اللغوية والسياقية، ويتحصل معها على الإفادة والمتعة والتفاعل.(٢٨٩) وأساس هذا الانتهاك هو العلم المسبق بأن العاشقين يعذلهم كل الناس، قبل أن يصير هذا الفعل المضمن إلى فعل كلامى منجز.

ويبدو أن المركب الإضافى (عاذل العاشقين) قد أحدث صدمة دلالة فى ذهن المتلقى، إذ لا تناسب بين القالبين، فالهذل يكون على أمر مادى، بخلاف العشق، كونه أمرًا معنويًا، فهو مما لا يعذل عليه أصحابه، ومن ناحية أخرى؛ لم تناسب كلمة عاذل مقام المدح، إذ المخاطب من النخبة العليا من الحكام و الأمراء، مع إشارة دلالة العذل على اللوم والتبكيت؛ كما أن المكمل الإضافى(العاشقين) زاد من قدح أبى الطيب فى ممدوحه، وعتابه؛ إذ كيف له أن يعذل العشاق، بأن يمنع أمرًا محمودًا، لذا انتهك هذا المركب الإضافى معيار الأسلوب والمناسبة، والمقام. ونحو ذلك قول أبى الطَّيِّب:

(٢٨٩) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى: ١٣٥

أَبَا الْغُطَارِفَةِ الْحَامِينَ جَارَهُمُ وَتَارِكِي اللَّيْثِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرِسِ.(٢٩٠)

يحسُن بالباحث أن يؤكِّد أن التداولية التحاورية؛ كثيرًا ما تعنى بالدلالات المضمنة، من دون تقييد لاستدعاءات المتلقي(٢٩١) وإدراكه لما يُعينه على كشف هذه المعاني ذات الشحنات المراوغة، وكأن القصد المضمَّن قد صار يعوزه تداولية حجاجية، إذ يتحمل المؤلف مسئولية–فى ضوء مبدأ الاقتضاء–(٢٩٢) وهى انتخاب القوالب، وتفعيل دلالات الظواهر الصوتية، والإشارية على ضوء مبدأ القصدية، والملاءَمة ومراعاة السياق، ونمط التلقى، بهدف الوصول إلى عملية الاقتناع.(٢٩٣) وتكون الإبانة عن المعنى بأن يعمد مؤلف الكلام إلى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، فى وضوح الدلالة عليه.(٢٩٤) وإلَّا تغيب مرتكزات التداولية، حين ينتهك المؤلف مبدأ السياق ومجافاة القوالب الصرفية لمبدأ الملاءَمة للسياق وللموقعية. يقول أبو البقاء:" الإعراب: الغطارفة: نُصب على بدل، من قوله: عبيد الله، يُريد: يا أبا الغُطارفة؛ ونصب: كلبًا، لأنه مفعول ثانٍ لتاركى، لأنه بمعنى مُصيّرى، والغطارفة: جمع غطريف، وهو السيد، والحامين: جمع حامٍ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه، ويدفع عنهم العدو، والمعنى: أنت أبو السادة، الذين يحمون جارهم، والأبطال عندهم؛ لقوتهم، وبسالتهم، أذلاء؛ فالشجاع الموصوف بالأسد عندهم كلب، لجبنه عنهم، وأنه لا يقدر

(٢٩٠) وقد أُرسل إليه عبيد الله بن خراسان الطرابلسى جامة، فيها حلوى، فردَّها، والبيت من بحر البسيط ، الديوان : ١٨

(٢٩١) انظر : تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال كتاب الكشاف للزمخشري، إعداد الطالب : خالد سوماني، كلية الآداب، جامعة مولود معمري ، الجزائر ، ٢٠١١م: ٦٩

(٢٩٢) انظر : محاضرات في مقياس التداولية: ٤١

(٢٩٣) انظر : C.Perleman ,L.T.Olbrechts,Traite de L'argumentaion;La nouvelle. Rhetorique.edition de L'universite de Bruxelles ,2000,p;5

(٢٩٤) انظر : الطراز، ج١: ١١

عليهم ".([٢٩٥]) وتبدو–فى البيت السابق– رغبة المُتَنَبِّى فى الإفراط فى وصف من يمدحه بالشجاعة والقوة، وقد أغفل أن قواعد التحادث التداولية تُلزم المؤلف بأن يُراعى هيئة قصده وحال متلقيه، وأن يُراعى الدلالات الجمعية التى عليها أفق انتظار متلقيه، كما ألزمته أن يسوق حديثه وفقًا لأصناف التلقى، والذين هم– كما يرى الغزالى، على نحو ما نقل محقق كتاب تهافت الفلاسفة– متفاوتون فى الاستعدادات والمدارك، انطلاقًا من أن الدين، فى نظره، سمح سهل؛ لا يمكن أن ينظر إلى الناس جميعًا، مع اختلاف مداركهم واستعداداتهم، نظرة واحدة؛ فيكلف كليل الذهن فوق طاقته من المباحث النظرية، أو يحظر على الطلعة المتوثب إشباع رغباته، بالبحث والنظر؛ لذا يقول:"والناس ثلاثة أصناف، هى: عوام: وهم أهل السلامة والبله، وخواص: وهم أهل الذكاء والبصيرة، ويتولَّد بينهما طائفة، هم أهل الجدل".([٢٩٦])

وتتصاعد درجة التداولية بين المؤلف والمتلقى؛ حين يلتزم المتكلم بأن يُراعى حال المستمع وبيئة التلقى، وأنه لا يصح أن يُسقط عليه قصدًا من غير بيئته ونمطه، فيُطبق الصيغة اللغوية لاسم الفاعل عن ذهن المتلقى؛ حين يتعمد المؤلف أن يقسر ذهن المتلقى على الاقتناع بمعنى للقالب اللفظى من دون المعنى الآخر، بل يجدر به مراعاة بيئة التلقى بالمعنى المتسع للمصطلح، فى علاقة طردية بين اللازم اللفظى والملزوم الذهنى([٢٩٧]) وإلَّا ملَّ المستمع حديثه، وانصرف عن متابعة قصده؛ حيث ساق المؤلف له قصدًا كان السبب وراء كدِّ ذهنه ووجدانه، يقول سيبويه، فى هذا المعنى: هذا باب تُخبر فيه عن النكرة بنكرة:" وإنما حسُن الإخبار– ههنا– عن النكرة؛ حيث أردت أن تنفى أن يكون فى مثل حاله شىء أو فوقه، لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن

([٢٩٥]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٢: ١٨٩

([٢٩٦]) انظر: تهافت الفلاسفة: ٦٠

([٢٩٧]) انظر : الطراز ، ج١ : ٣٩

تُعلمه مثل هذا، وإذا قلت: كان رجلٌ ذاهبًا. فليس فى هذا شىء تُعلمه كان جهله، ولو قلت: كان رجلٌ من بنى فلان فارسًا. حسُن؛ لأنه قد يحتاج إلى أن تُعلمه أن ذلك فى آل فلان، وقد يجهله؛ ولو قلتَ: كان رجلٌ فى قومٍ عاقلًا. لم يحسُن؛ لأنه لا يُستنكر أن يكون فى الدنيا عاقل، وأن يكون من قومٍ، فعلى هذا النحو يحسُن، ويقبُح".([٢٩٨]) ليبين أن الأساس فى الحكم بالحسن أو القبح على الدلالات بالمقبول منها، المتصف بالمنطقية وإمكانية التصديق.

ويقضى الاستلزام الحوارى–فى هذا الموضع– أن سياق التداول سياق تفاخر ومدح، فإذا بذهن المتلقى وقد فاجأته بنية اسم الفاعل (تاركى الليث) الدالة على الحدث والفاعل، ليس من باب التكثير فى المبالغة فحسب، بل غاب عنها بواعث الإقناع، الناجمة من عدم منطقية الدلالة وعدم صدقها، وكذلك عدم توافقها مع الفكر الجمعى، والدلالات الاجتماعية للقوالب والتركيب، فكيف لليث أن يصير غير مفترس، وهو قار فى أفق الانتظار، وفى طبيعته التى جُبل عليها، أنه مضرب المثل فى الافتراس؟!. من أجل ذلك لم يأت حديث المُتَنَبِّى مصحوبًا بما يمنح اللذة والإمتاع للمتلقى.([٢٩٩]) وكأن المُتَنَبِّى قد أصر على إنكار حقيقة، وانتقى من القوالب اللفظية والتركيبية التى تدل على تفريطه فى القول بأن الدلالات اللغوية أميل إلى الحقيقة لا إلى المجاز، تفعيلًا للقول بأنه يلزم المؤلف الإخبار قبل الإيحاء، بإخضاع الاستعمال للقواعد، والنزعات الغالبة، وبمراعاة الذوق العام والعرف الجارى فى التحرر والالتزام؛ بغية إخراج القصد المركزى بصورة بعيدة عن الخصوصية والنشوز؛ حتى لا يصطدم القارئ بالغريب، ولا يثقل كاهله بالجديد العجيب([٣٠٠])

([٢٩٨]) الكتاب ، ج١ : ٥٤

([٢٩٩]) انظر : بلاغة الإقناع(دراسة نظرية و تطبيقية):٣٦

([٣٠٠]) انظر: من مظاهر الحداثة فى الأدب(الغموض فى الشعر): ٣٠

فأزال عن الأسد صفة الافتراس، وهى حقيقة فيه؛ فأثبت ذلك انتهاك المُتَنَبِّى لمبدأ الهيئة، والمناسبة للخلفيات الدلالية(الافتراض المسبق)، التى أخرج عليها قصده، والتى لا تقنع إلّا بالمقبول من الدلالات، إذ إنه من غير المصدق أن يتحول الأسد إلى الكلب، من حيث للشكل ولا السمات؛ كما انتهك احترام المؤلف لطاقة التلقى لدى متلقيه، حين عقد مزاوجة تداولية بين الليث والكلب، إذ إن الكلب كثيرًا ما يتسم بخاصية الافتراس، وتجلى انتهاكه لمبدأىْ الهيئة والكمية فى إيراده عناصر تركيب اسم الفاعل (تاركى الليث) تحمل مزيدًا من معانى البطش والقوة، زيادة عن الكم المعلوماتى المطلوب، والمفيد لمعنى المدح. على الرغم من إلزام مبدأ الكمية لمؤلف القصد بأن تكون عناصره على قدر الخبر، و الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص من مقدار الفائدة المطلوبة.(٣٠١) ومن أمثلة ذلك قوله(٣٠٢):

أَنْتَ طَوْرًا أَمَرُّ مِنْ (نَاقِعِ السُّمِّ) وَطَوْرًا أَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ.(٣٠٣)

يقول أبو البقاء:" وتقدير الكلام: فى طور، والطور:التارة والحين؛ والسلسال: الماء العذب الذى يتسلسل فى الحلق؛ المعنى: يقول: أنت تارة سمٌّ لأعدائك، وتارة أنت حلو لأوليائك".(٣٠٤) ينجلى التعبير عن قصدية المُتَنَبِّى– بامتلاك متلقيه لأنماط متباينة من الأساليب للتعامل مع بنى جلدته فى الاسلوب الخبرى– بصيغة الجمل الاسمية المصدرة بضمير المخاطب(أنت) الدال على الحضور فى سياق التفسير التداولى، وقد عمد إلى قصديته المضمنة، بتقديم ما يدل على التغير، وهو القالب الصرفى(طورًا)،

(٣٠١) انظر: الاستلزام الحوار فى التداول اللسانى: ٩٩

(٣٠٢) يمدح عبد الرحمن بن المبارك، المعروف بابن شمس الأنطاكى، من الخفيف، والقافية من المتواتر.

(٣٠٣) الديوان : ١١٤

(٣٠٤) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ : ٢٠١

الدال على التغير من حال إلى أخرى. مهما يكن من أمر فإن الطرح التداولى يُلزم المؤلف بأن يسوق قصده إلى متلقيه مراعيًا مبدأ العلاقة، فيوفر له بيئة من الطمأنينة، بعيدًا عن النفور والجزع؛ فلا يجعل المتلقى جزعًا من دلالة المعنى الشعرى بين استقبال معنيين على النقيض، وهذا الأمر لم يتحقق فى بيت أبى الطَّيِّب، فمتلقيه مصاب بالجزع من التناقض الدلالى.

فمخاطبه إما قاتل لأعدائه، الذين يتجرعون السم الناقع من فعله؛ وإما حلو مع أوليائه، وهو يُذيقهم الماء الحلو، بيد أن المؤلف قد قفز– هنا– إلى استثمار الطاقات الدلالية والتداولية لمعونة الإضمار، حين غيَّب المؤلف متعلق من يعمد إلى مخاطبته لهم بالقتل بالسم، ومثل ذلك صنع مع أوليائه؛ إذ غيبهم عن سياق المقال؛ فلم يكشف عن هُوية من ينقع لهم السم، ومن يسوق إليهم الماء السلسال، وليس من شك فى أن هذا الأمر لا يكشف المحتوى القضوى للتراكيب والقوالب الصرفية، وهنا يتعذر تفسير كل قضية، مع عدم قدرة ذهن المتلقى على الربط بين العناصر الفرعية بالقضية المركزية؛ فيجعل المتلقى فى حيرة من أمره.

بل قد يُصاب المتلقى بالفزع، جراء قوله: (ناقع السم)، لما أوحت إليه صيغة اسم الفاعل من التعميم، وما أضافه الاسم اللاحق المخصص من دلالة على المبالغة فى اتصاف الممدوح بمضمون هذا المركب الإضافى؛ فقد يستهدفه المؤلف بالقتل، وهذا– لا شك– انتهاك لمبدأ الهيئة، التى تتناسب فيها القوالب اللغوية مع مقصد المؤلف؛ فجاءت القوالب الصرفية غير ملائِمة لسياق التحاور، لاسيما أن المؤلف يروم وصف ممدوحه بالتغير وشدة مراوغته النفسية من خلال التراكيب اللغوية.

ومن جهة أخرى؛ قد يكون من اللافت للنظر أن فى قوله: (ناقع السم)، إشارة إلى ثبات السم فى البدن، وتمكنه من صاحبه؛ لا ينفك فى جسده، حتى يقتله، وهذا لا يُناسب قوله: طورًا، الذى حمل معنى اسم المرة، فهو بين تارة و أخرى، تارة يقدم لأعدائه السم، وأخرى يسقيهم الماء العذب، وهو يُريد المبالغة فى وصف ممدوحه بشدة الفتك، وامتلاكه أمر أعدائه، وهذا المعنى لم يعبر عنه المركب الإضافى(ناقع السم)، لسببين، هما:

١- إن اسم الفاعل (نافع) لم يُشر إلى المبالغة، ويدل على ذلك وروده دالًّا على الماضى.

٢- انتهاك التركيب الإضافى(ناقع السم) للمنطقية الدلالية؛ إذ السم لا يُنقع، فهو فتَّاك بأصل الوضع.

٣- وجود قرينة لفظية صارفة معنى المبالغة، وهى قوله: (طورًا) الدالة على أن الأمر لا يغدو أن يكون مرة، وليس من باب الاتِّصاف بمضمون القالب، من دون انقطاع. ويقول أبو الطَّيِّب المُتَنبِّى :[305]

أَ(بَاعِثَ كُلَّ) مَكْرُمَةٍ طَمُوحٍ وَ(فَارِسَ كُلِّ) سَلْهَبَةٍ سَبُوحِ.[٣٠٦]

يقول أبو البقاء:" الطموح: الشاخص تكبُّرًا، وضربه–هنا–مثلًا للمبالغة، وأطمح زيدٌ بصره: رفعه؛ وطمح: أبعد فى الطلب، وطامحات الدهر: شدائده، وكل مرتفع طامح، ورجل طمَّاح: شرِهِ، والسلهبة: الطويلة من الخيل، وكل طويل سلهب، والسبوح: الذى كأنه يسبح فى جريه، يُقال: فرس سابح وسبوح وباعث، يُريد– هاهنا– محبِّى،

[305] وقد جرى حديث وقعة ابن أبى الساج مع أبى الطاهر صاحب الأحساء، فذكر أبو الطَّيِّب ما كان فيها من القتل، فاستهول بعض الجلساء ذلك، وجزعن منه.

[٣٠٦] البيت من الوافر، انظر: الديوان: ٢٠٤

المعنى، يريد: إنك تحيِّى كلّ مكرمة، تمتنع عن غيرك، وإنك فارس الخيل السلاهب، الشديدات الجرى لطولهن".([٣٠٧]) ثم يقول :

وَ(طَاعِنَ كُلِّ) نَجْلَاءٍ غَمُوسٍ وَ(عَاصِىَ كُلِّ) عَذَّالٍ نَصِيحِ.([٣٠٨])

يقول أبو البقاء:" النجلاء: الواسعة، التى تغمس صاحبها فى الدم، فهى غمُوس، المعنى: يُريد: إنك طعَّان فى الأبطال، فطعنتك واسعة غموس، تغمس صاحبها فى الدم، حتى تغيّبه فيه؛ وإنك تعصى كل من عذلك فى الجود أو فى الشجاعة".([٣٠٩]) يُفهم- من كلام أبى البقاء- أن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى يقصد المبالغة فى وصف ممدوحه بكثرة الطعان، والإكثار من تكثيف دلالة مضمون قالب اسم الفاعل (طاعن)، بالإضافة إلى وصفه بكثرة عصيانه لكل من عذله فى الجود، ويدل على أن ظاهر التراكيب يُوحى بالدلالة على معنى المبالغة أن المُتَنَبِّى قد أتى بفعلين تداوليين، أحدهما: المبالغة فى قوة ممدوحه، والآخر: الجلد فى عصيان من يعذله .

وحين يعرض المتلقى تركيب(طاعن كل نجلاء)، و(عاصى كل عذَّال)على مبدأ الكفاءة اللغوية لأداء معنى المبالغة فى إيقاع مضمون القوالب اللغوية، محاولًا اكتناه ما تُشير إليه من معانى المبالغة؛ يجد أن المعنى الحرفى لقوالب اسم الفاعل المستعملة لا يُؤيد- بحال- هذا التفسير الدلالى، إذ إن الدلالات الاجتماعية التى يؤيدها الاستعمال لا تسوى- دلاليًا- بين طاعن، وطعَّان، إذ لا يعقل أن يروغ المُتَنَبِّى إلى هذا التناقض بين عدم شمول اسم الفاعل للدلالة على الفعل، وبين كلمة (كل) التى تشمل جميع أفراد الجنس للمعنى المقصود.

([٣٠٧]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١ : ٢٥٨

([٣٠٨]) البيت من الوافر، الديوان: ٢٠٤

([٣٠٩]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١ : ٢٥٨

لذا فإن أقل ما يُقال: إن أبا الطَّيِّب قد انتهك ضرورة مراعاة المؤلف لمبدأ انتخاب الصيغة الصرفية Maxim Of manner المعبرة عن المعنى، أوضرورة أن تكون قوة اللفظ لقوة المعنى والمبالغة فيه، حيث إن قوة المعنى هى التى تدفع المؤلف إلى أن ينتقى اللفظ القوى والصيغة الصرفية المحيطة بمعناه ([٣١٠]) بل قد يصحُّ أن يُقال: إن المُتَنَبِّى قد انتهك مبدأ الكفاءة اللغوية؛ حين جعل ذهن المتلقى تنصرف إلى كون قالب اسم الفاعل في قوله: (طاعن كل نجلاء)، و(عاصى كل عذَّال) كناية عن صفة، والأقيس أنه يتحدث عن موصوف؛ إذ لو رام حصر الدلالة على الصفة لأخَّر التوكيد، وقال: وطاعن النجلاوين كلهم، وعاصى العذال كلهم، وحين أضاف قالب اسم الفاعل إلى مكمِّل، قيَّد الدلالة المركزية، وأبرز دلالة التخصيص فى قالب اسم الفاعل، فبعد أن كان دالًا على العموم والتعظيم، قُيِّد بطعن النجلاوين وعصيان العذال، إذ لم تنجح هذا القوالب فى التعبير عن المبالغة التى يقصدها المؤلف، ويُعد صنيعه هذا من باب تقييد الدلالة، وهذا ما لا يُناسب قصده، فجاء المكمل الإضافى بعد قالب اسم الفاعل لتقييد المعنى؛ بعد إفادته العموم بالتنكير، فصارت الإضافة قرينة زائدة، لتقوية المعنى الهامشى المتصل بالمكمل الإضافى، مع كونها صارت مقيِّدة دلالةَ قالب اسم الفاعل، وهو مقصود أبى الطيب المتنبى.([٣١١])

ويُعاب على المُتَنَبّى الإفراط والمبالغة فى عرض القصد، وتضييق الخروج فيه إلى الإحالة إلى خارج السياق التخاطبى، وهذا ما يُستهجن فى صناعة الشعر، بالإضافة إلى ما يُشير إليه مصطلح احتمالية أخذ المُتَنَبّى من غيره إلى ضياع

([٣١٠]) انظر: الطراز ، ج٢ : ١٦٢ – ١٦٣

([٣١١]) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، للشيخ العلامة: جلال الدين السيوطى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م،ج٢ :٤٩

العلاقة(٣١٢) بين المؤلف متلقيه؛ حال افتقاد الخبر إلى الصدق والمنطقية، ومراعاة العلاقة بين مستخدمى الخطاب، مما يتسبب فى انخفاض درجة التداولية، يقول أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى:

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ (هَارِبُهُمْ) إِذَا رَأَى غَيْرَ شَىْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا.(٣١٣)

يبدو–من هيئة العناصر اللغوية فى البيت السابق–الإفراط فى المبالغة، وفى تعقيد المعنى وتناقض الدلالة، فكيف يقرر أنه يرى غير شىءٍ، وغير الشىء معدوم، والمعدوم لا يُرى؛ وفيه تناقض، وقد عبرت صيغة اسم الفاعل(هاربهم) على الفزع الشديد، حتى أنه إذا رأى شيئًا غير مفزع، فزع منه، وهذا لا شك من التعقيد الدلالى الذى يمجُّه المتلقى.(٣١٤) ويسوق الدكتور زكريا سعيد قول الحاتمى فى استنكاره لما طرحه أبو الطَّيِّب من مضمون البيت السابق، بأنه لا يُعقل أن يصف شيئًا، يتناوله النظر، وهو موجود، بأنه لا يقع عليه اسم شىءٍ، مقرِّرًا أن هذا البيت مأخوذ من قول جرير(٣١٥) وهو من الاستعارات القبيحة.(٣١٦) يقوى الادِّعاء بوجود انتهاك تداولى كون

---

(٣١٢) أشار القاضى الجرجانى إلى انتحال أبى الطَّيِّب من سابقيه ، وكان مما انتحله، قوله:

رأيت عليًّا و ابنَه خيرَ قومه .. .وهم خيرُ قوم واستوى الحر و العبدُ.

فقد أخذه من قول أبى تمام :

متواطئو عقبيك فى طلب العلا.. .والمجدِ ثُمَّتَ تستوى الأقدام.

انظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه: ٢١٨ – ٢١٩

(٣١٣) البيت من البسيط، وقافيته من المتراكب، من قصيدة يمدح بها سعيد بن عبد الله بن الحسين الكِلابى المِنْبَجِىَ. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى،ج٣: ١٦٨، وانظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٧٥– ٣٧٦

(٣١٤) انظر : شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى،ج٣: ١٦٩

(٣١٥) إشارة إلى قول جرير، من الكامل، قاله جرير، يهجو الأخطل، ويعرض بجبن قومه، وخوفهم من النزال، و المصارعة، وهو من قصيدة، مطلها: حيِّ الغداةَ برامةَ الأطلال......رسمًا تحمَّل أهلَه فأحالا:

ما زلتَ تحسب كلَّ شىءٍ بعدهم خيلًا تكُرُّ عليهمُ ورِجالَا.

القاعدة التى تقر بأن اسم الفاعل، يدل على الثبوت، وتكون دلالته على الماضى حقيقة، فى حالة الإضافة، وكونه غير عامل، وهذا ما يتنافى مع وصف أبى الطيب، المصر على إضفاء صفة القوة والشجاعة على ممدوحه، ليس على سبيل الماضى، إنما من باب التجدد والاستمرار، وهذا غير متحقق؛ بدليل استخدامه للقوالب الفعلية(رأى، وظن) مسبوقين بأداة الشرط(إذا) التى تشغل موقع الظرفية الدالة على ما يُستقبل من الزمان، وجاء هذا الاضطراب الدلالى كون تركيب اسم الفاعل المضاف إلى الضمير إضافة محضة دالًّا على المضى، فى سياق تعبيرى يشمل الحال والاستقبال.

وتنخفض درجة التداولية عندما لا يراعى المؤلف البيئة الاجتماعية للاستعمال اللغوى، ومثل ذلك استعمال أبى الطَّيّب المُتَنَبّى للغريب الوحشى، وفى انحطاطه إلى الركاكة فى تعاطيه للغريب والشاذ البدوى، ممَّا يجعل كلامه نابيًا، ينتج عن غرابته وشذوذه وقوف ذهن المتلقى بين معنيين على النقيض، من حيث الدلالة، ومثل ذلك: قوله فى وصف الغيث:

(لَسَاحِيهِ)(٣١٧) عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفْشٌ(٣١٨) كَأَيْدِى الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ الْمَخَالِى. (٣١٩)

---

(٣١٦) انظر: فى نقد الشعر القديم : ١٧٤

(٣١٧) ذكر ابن منظور أن السحَّ: من سحت الشاة: إذا سمِنت غاية السمن؛ وسحَّ الدمع والمطر والماء، أى: سال من فوق، واشتد انصبابُه، وعين سحَّاحة: كثيرة الدموع، ومطر: سَحْسَحٌ، وسحْساح: شديد، يسحُّ جدًّا، ويقشِّر وجه الأرض. انظر: لسان العرب،ج٣: ١٩٥٠ – ١٩٥١، مادة : سحح،(س، ح ، ح).

(٣١٨) والحفش: من حفشت السماء: جاءت بمطر شديد ثم أقلعت، أو يكون من استجماع الماء فى مستنقع واحد، وسيلانه إلى الوادى؛ أو يكون من: حفش الحزنُ العين: أخرج كل ما فيها من الدمع؛ انظر: لسان العرب،ج٢: ٩٢٧، مادة: حفش،(ح ، ف ، ش)

والساحى: القاشر، ومنه سُميت المسحاة؛ لأنها تقشر الأرض، والحَفش: شدة الوقع، وهو مصدر حفش السيل حفشًا؛ إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع، وحفشت السماء: إذا جاءت بالمطر، وحفشت الأودية: سالت، وقد عيب عليه هذه الألفاظ، بأنها من الكلام البارد.(٣٢٠) وهذا ضرب من التداولية المنخفضة، وهى تداولية من الدرجة الثانية؛ والتى تتحقق عندما لا يرتبط الموضوع المعبَّر عنه بملفوظه، وحين يتخلى المؤلف عن واجبه نحو مراعاة أفق انتظار المتلقى، ويستعمل من الألفاظ المتاحة القوالب المرهقة، وهذا ما وجدناه فى جميع ألفاظ الشاهد السابق، فينقل الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى المضمن، الذى يعتمد على قدرة المتلقى على إدراك القصد من خلال التلميحات أو دلالة الإيحاءات، وحين تعتمد الدلالات على المعانى الخفية والدلالات السياقية.(٣٢١) حيث ينبنى أفق انتظار المتلقى على ما تداولته الألسنة، وكثر استعماله، وصار مألوفًا.(٣٢٢) وهنا لم يوفِّر له المؤلف ما يدفعه إلى اكتشاف ما غاب عنه، أوأن يتابع ما يتصوره عقله، وما تستشعره نفسه، بوصف هذه الأدوات سبل إمتاع وإقناع.

بالإضافة إلى ما فى قالب اسم الفاعل(ساحٍّ) من غرابة وعدم استعمال، فإنه قد شكَّل مع ما يجاوره من قوالب تناقضًا دلاليًا، فى ضوء دلالة العلاقات التركيبية، إذ يدل على الشدة فى الشيء و الغزارة فيه، حيث دلَّ على سقوط المطر على الأجداث، من

---

(٣١٩) البيت من قصيدة للمتنبى، يرثى بها والدة سيف الدوله، من الوافر، والقافية من المتواتر. انظر: ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى : ٢٥٥، وانظر: شرح ديوان أبى المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣: ١٣

(٣٢٠) انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٦٧، وانظر: شرح ديوان أبى المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١٣:٣

(٣٢١) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى: ٢٤

(٣٢٢) الطراز، ج١: ٢٤

دون انقطاع، فى حين تناقضت تلك الدلالة مع دلالة قوله: حفش، الدالة على انهمار ماء السماء، ثم انقطاعه، مما يدفع إلى القول بانتهاك أبى الطيب لمبدأىْ سياق الموقع، و الكفاءة فى الأداء.

المطلب الثالث : اسم الفاعل النكرة المنون:

ويُقصَد بالاسم المنون–فى هذا الموضع: ذلك الاسم المعرب المنصرف، الذى تلحقه تلك النون الزائدة الساكنة؛ إعلامًا ببقائه على أصله، ويُسمى: تنوين الأمكنيَّة، أو تنوين التمكين، أو تنوين الصرف([٣٢٣]) وقد استثمره أبو الطَّيِّب فى تثبت معناه فى ذهن متلقيه، وألحقه قوالب اسم الفاعل؛ ليدل على تمكُّن دلالتها، حتى أنه قد أفرط فى المبالغة فى دلالة مضمون هذه القوالب الصرفية، وقد ورد هذا النمط فى شعره بصورة مكثَّفة، ونحوًا من ذلك، قوله:

لَا يُحْزِنُ اللهُ الْأَمِيرَ فَإِنَّنِى   (لَآخِذٌ) مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبْ.([٣٢٤])

تمثَّل استخدام أبى الطَّيِّب لقالب اسم الفاعل النكرة المنون؛ فى قوله: (لآخذٌ) الذى ساقه فى معية عديد من المؤكدات من: لام الابتداء، وتنوين التمكين ،اللاحق آخر القالب الصرفى؛ معبِّرًا– بذلك–عن بعد نفسى، مفاده أن يصل إلى ممدوحه صدقُ مقصده؛ وزيادة فى توكيد مضمون قالبه الصرفى، فى دلالته على الحدث وثبوته، وسوغ

([٣٢٣]) انظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصارى، وبهامشه: مختصر شرح شواهد العينى، للعلامة السيوطى، تدقيق الدكتور: صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م: ٢٧٦

([٣٢٤]) البيت من الكامل، من قصيدة للمتنبى، يعزِّى بها سيف الدولة، عن عبده يماك التركى، وقد مات بحلب، سنة أربعين وثلاث مئة ، انظر: شرح ديوان المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١: ٤٩

هذا كونه قد دخلته اللام التوكيدية؛ وهذا من التصرفات الإيجابية فى الطرح التداولى؛ بيد أن من يتأمل هذا القالب الصرفى(لآخذٌ) فى ضوء تشكيله وموقعيته، وعلاقته بما يجاوره من القوالب اللغوية؛ يُدرك أنه قد بدت مبالغة المُتَنَبِّى فى انتهاك مبدأ العلاقة بين المؤلف و المتلقى(مبدأ التنظيم، ومبدأ الأسلوب)، وتقدير الأول لطاقة التلقى لدى من يُخاطبه، فهو– وإن قصد تسلية الأمير سيف الدولة فى مصيبته–يؤكد أنه آخذ منها، فبدت–تبعًا لذلك–مجافاة اسم الفاعل(آخذ) لموضعه، ولدلالته، حيث دلَّ على إفراط المُتَنَبِّى فى المبالغة، فكيف يستوعب أفق انتظار التلقى هذه الدلالة؟!، وكيف يأخذ الإنسان من مصيبة لحقت بغيره، وزيادة فى التكثيف الدلالى فقد أكَّد مضمون قصده بإلحاق سابقة التوكيد فى قالب اسم الفاعل؟!.(٣٢٥) فيبدو مبالغة المُتَنَبِّى فى ادعاء مشاركته لسيف الدولة فى مصييبته؛ حتى أن الصاحب بن عبَّاد قد تهكَّم من هذا المعنى، قائلًا:"لا أدرى لما لا يُحزن الله الأمير؛ إذا أخذ أبو الطَّيِّب بنصيب من القلق".(٣٢٦) يدفع هذا التصرُّف إلى توقع ضياع الكفاءة التداولية، وانخفاض درجتها.

وإذ يُشكِّل قالب اسم الفاعل(لآخذٌ)– المؤكد بمورفيم سابقة التوكيد اللام المزحلقة؛ ولاحقة مورفيم التنوين، الدال على مزيد من المبالغة، والتقوية اللفظية، بالإضافة إلى قدرة القالب اللفظى على حمل المعنى بصورة تكاد تكون ثابتة، إذ حملت معنى الحقيقة، لصياغتها فى صورة الماضى– فعلًا كلاميًّا، يُقارب حيز الإنجاز؛ فقد اختلفت دلالته فى ذهن المتلقى، إذ لم يراع المؤلف سياق الواقعية، فقد أشار إلى رغبة أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى فى القيام بفعل معين، وأكَّده بمؤكدات لفظية، بهدف تثبيت القصد فى نفوس متلقيه؛ بيد أن هذا الفعل الكلامى لم يُطابقه سياق الافتراض المسبق، ولا

(٣٢٥) انظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبى: ٥٠

(٣٢٦) الكشف عن مساوئ شعر المتنبى : ٥١

الدلالات الاجتماعى، ولا الواقع، فصار الفعل الكلامى غُفْلًا من دلالته، ويندرج تحت ما أسماه سيرل: التأكيدات، أوالتبريرات؛ وهو ما كشف عن فساد العلاقة بين أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى، وسيف الدولة الحمدانى، إذ تثبت المرويات التاريخية تجذُّر هذه العلاقة، بوصفها افتراضًا مسبَّقًا لكل من يتعرض لنص أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى.

وقد ألزمت التداولية المؤلف بأن يسوق قصده إلى متلقيه متحريًا حالة من الصحة؛ فيما يخصُّ الأصول اللغوية، وإلَّا كان المؤلف معيبًا فى عرض قصده؛ منتهكًا لمبدأ الكيفية أو العرض؛ إذ إنه مما يُسهم فى انخفاض درجة التداولية بين المؤلف والمتلقى فى عملية التواصل، فمن المسلمات التداولية أن غيابُ الضابط المعيارى من القواعد النحوية ومراعاة الأصول اللغوية والأقيسة التصريفية؛ مما يترتب عليه انخفاض التفاعل بين شركاء التواصل، حيث إن التصريف هو معرفة أصل الكلمة، وزيادتها، وحذفها، وإبدالها([٣٢٧]) حتى لا تنحرف الدلالات، وتفسد المعانى، ويكون مردُّ هذا الفساد أو التضارُب إلى التناقض الدلالى، من خلال عدم التناسب بين قوالب الألفاظ، وملكات المتلقى فى فهم القصد؛ وكأن فى ترتيب عناصر الدلالة فسادًا ومجافاة.([٣٢٨]) ومن أمثلة ذلك النمط قوله:

فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ (نَاكِبٌ)(٣٢٩) وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَراءُ.(٣٣٠)

([٣٢٧]) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ج١: ٣١

([٣٢٨]) انظر : الطراز ، ج١: ٢٩

(٣٢٩) يقول : ومتى يُؤَدِّى شرح حالك ناطقٌ حفظ القليل النذر ممَّا ضيَّعا. انظر: الديوان: ١١٠

(٣٣٠) يمدح أبا على هارون بن عبد العزيز الأوراجى الكاتب، وكان يذهب إلى التصوُّف، والبيت من الكامل. انظر: الديوان: ١١٩

يقول أبو البقاء:" براءُ، أى:برىء، يقع على الجمع والواحد، والمذكر، والمؤنث، والاثنين، ونكب ينكب نكوبًا: إذا عدل عن الطريق، ونكب ينكب على قومه نكابة، إذا كان منكبًّا لهم، يعتمدون عليه؛ وأراد بناكب، أى: عادل؛ المعنى، يقول: إن الفخر قد أركبك ذروته، وأعطاك غايته، فلم يقصر بك الفخر عن غايته، وقد أعطاك مقادته، والمجد برىء من أن يستزيدك، لأنك فى الغاية منه، والتاء فى تستزاد: للمخاطب".([٣٣١])

تقضى التداولية– وفق آلية الافتراض المسبق– أن القالب النكرة يحمل دلالة مفادها أن دلالة الاسم المذكور– بمعناه المتوقع، واللامتوقع– ليست قريبة الصلة إلى ذهن المتلقى، حيث تُشير إلى التعميم فى مضمون قالبها، مما لا يُتوقع معه إدراك المتلقى للمعنى المقصود؛ وفى الشاهد السابق؛ حمَّل أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى قوله: (ناكب)، عدم قدرة المتلقى على الوفاء بحقوق الممدوح، حتى أن الفخر يقصر عن أداء حقه، اعتمادًا على مبدأ الهيئة، فدلَّت قلة الأحرف على قلة المعنى الذى تحمله، كما أشارت إلى ضآلة فعلها– إشارة إلى قالب اسم الفاعل النكرة– وإن أراد المُتَنَبِّى قوة لدلالتها لعرَّفها، باستعمال أداة التعريف، هذا من جهة. ومن جهة أخرى جاوزت دلالة اسم الفاعل(ناكب) حدَّ المعنى الأصلى؛ حيث بالغت فى وصف الفخر بالخزى والرغبة فى العدول عن طريق الممدوح، حتى أن الفخر أسلم ممدوح المُتَنَبِّى ذروته، وقدَّم تبريراته، ولم يتوقع أفق الانتظار تلك الدلالة؛ إذ هى مبالغة موغلة، لا يؤيدها مبدأ العلاقة بين المؤلف والمتلقى؛ إن حملها على آليات فكرة الخيال المتعقل، فى ضوء المستدعى من الدلالات من افتراض مسبق، متواضع على المعنى الملزوم فى علاقة طردية من اللازم اللفظى.

([٣٣١]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج١ : ٢٩

وليس من شك فى أن المتلقى- فى تتبعه قصدَ المؤلف- ينظر إلى القوالب الصرفية، بوصفها رافدًا من روافد الدلالة، وتصرُّف التنكير-فى قالب اسم الفاعل(ناكب) الدال على العموم([٣٣٢])، مع تنوينه الدال على القوة والتعظيم؛ وإن حمل ثقة من المؤلف تجاه المتلقى فى أن الأخير قادر على إدراك المعنى فى سياق قصده- فيه مراوغة دلالية، فقد استخدم المُتَنَبِّى هذا القالب بهدف تضليل المتلقى، وتحققت المراوغة الدلالية بين المعنى المعجمى والمعنى السياقى؛ فقد ذكر ابن منظور أن الناكب عن الشيء بمعنى الذى عدل عنه، أو نحا عنه ومال، أو تجنبه واعتزله؛ وأعرض عنه، وأشار إلى أن من معانيه: تلك الريح الميباس للبقل، التى لا مطر فيها، ولا خير عندها.([٣٣٣])

فى حين يُشير المعنى السياقى إلى الضعف وقلة الإرادة؛ وهنا تلفت النظرَ تلك التعدديةُ الدلاليةُ لقالب اسم الفاعل(ناكب) لاسيما أنها تُشير إلى معنييْ القوة والضعف، فالفخر قادر عن فعل التجنُّب، وفى الوقت ذاته أسلم قيادته لممدوح المُتَنَبِّى، فحصل التناقض الدلالى، فلم تنجح بنية اسم الفاعل (ناكب) فى الكشف عن المعانى والدلالات المضمنة من جانب المؤلف، إذ كيف يعدل الفخر عن الطريق، ودربه ممهد أمام من يمدح؛ فانتهك مبدأ الصحة الدلالية لعناصر الخطاب التداولى، فكيف يصفه بالعدول عن الطريق، رغم ما يرومه من وصفه له بأنه عادل، ومحل اعتماد القوم عليه؟!

وقد دلَّت صيغة اسم الفاعل(ناكب) على ثبات مضمونها، وكأنها قد جسَّدت صورة جامدة للفخر، من دون إشارة إلى تجدد الحدث واستمراره، ومراد أبى الطيب المتنبى على خلاف ذلك، إذ إنه فى معرض تأكيده خضوع الفخر، وعدوله؛ أهمل حق

([٣٣٢]) حيث إن التنكير يُشير إلى كل اسم يدل على غير معين. انظر: ملخص قواعد اللغة العربية: ١٢

([٣٣٣]) انظر: لسان العرب، ج٦ :٤٥٣٢- ٤٥٣٦، مادة: نكب،(ن، ك، ب)

ممدوحه فى استحضار المتلقى لما يؤكد تجدد الحدث، ولو قال: فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ (يَنْكَبُ)، بصيغة الفعل المضارع؛ لكان المعنى أليق من التعبير عن أن الفخر يفعل الخضوع أو العدول، ويتجدد منه هذا الحدث، مع عدم تأثر البحر العروضى، وتجدر الإشارة أن يصحَّ –فى هذا الموضع– التعبير بلفظ المضارع؛ إذ تحققت المطابقة العروضية، بين(ناكب، وينكب) فجاءتا على (نَاكِبُ/*//، فَاعِلُ)، (يَنْكَبُ، /*//، فَاعِلُ).فجاء التعبير بقالب اسم الفاعل(ناكب) غيرَ مؤدٍّ للغرض؛ "وليس ذلك إلَّا لأن الفعل يقتضى مزاولة، وتجدد الصفة فى وقتها؛ ويقتضى الاسم ثبوت الصفة، وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجيةُ فعل، و معنى يحدث شيئًا فشيئًا".([٣٣٤])

وقد انتهك المُتَنَبِّى مبدأ مراعاة الصحة الصرفية، بوصفه من مبادئ قاعدة العرض أو الكيف؛ حين خفَّف اسم الفاعل، والقياس: التشديد، فى قوله:

كَأَنَّكَ (نَاظِرٌ) فِى كُلِّ قَلْبٍ فَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحِلُّ (غَاشٍ).([٣٣٥])

تقضى المعيارية الصرفية أنه عند صياغة اسم الفاعل من الفعل الصحيح الثلاثى المضعف، أن توضع ألف فاغل، ثم نشدِّد الحرف الثانى الاصلى؛ نحخو: ردَّ، رادٌّ ، غشَّ، غاشٌّ، بتشديد الدال، و الشين من صيغتىْ اسم الفاعل، لذا يعيب الصاحب ابن عبَّاد على المُتَنَبِّى تخفيفه اسم الفاعل(غاشٍ)، والأصل فيه التشديد للشين، بقوله:" إن جاز هذا جاز أن يُقال: عبَاس بن عبد المطلب، والشَّمَاخ بن ضرار؛ فلا تشدد الباء

([٣٣٤]) دلائل الإعجاز: ١٧٥

([٣٣٥]) والبيت من الوافر، من قصيدة يمدح بها أبا العشائر علىَّ بن الحسين بن حمدان، والغاشى: هو القاصد الزائر، وأصله: غاشش؛ فأبدل من الشين ياءً، وغاشية الرجل: الذين يزورونه ويأتونه، يقول: ليس يخفى عليك محل زائر يقصدك، وذلك من فرط فطنتك وذكائك، كأنك ترى ما فى قلوب الناس، وتعلم ما يطلبون. انظر: ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى: ٢٣١، وانظر: شرح ديوان المتنى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٢: ٢١١– ٢١٢

من عباس، ولا الميم من الشمَّاخ على أن ما أورده– أى: المُتَنَبِّى– أشنع من هذا الذى مثَّلناه؛ إذ كان لفظ فاعل، يُبنى على فعَّل مشدَّد".([٣٣٦]) وقد ذكر ابن منظور أن: غاشٌّ، بالتضعيف(التشديد للعين و اللام) نقيض النصح، وهو مأخوذ من الغَشش، وهو المشرب الكدر، وأورد الجذر الأصلى بفك الإدغام ، أو بتضعيف العين فى كل معنى، وأصله من رجل غُشٌّ، وغاشٌّ؛ بالتشديد للشين، ولم يرد مدغمًا .([٣٣٧])

وتُعد قواعد التداولية قيدًا أمام الانفتاح الدلالى، وتنخفض بسببه درجة التفاعل بين المؤلف والمتلقى؛ لاسيما حين يُنتهك مرتكز الافتراض المسبق، وهو معيار الربط بين المؤلف فى طريقة إيصاله ما يُريد قوله؛ والمتلقى فى محددات تفسيره للقوالب والتراكيب فى موقف الاستعمال اللغوى، لذا ارتبط انخفاض درجة التداولية بسبب انتهاك أبى الطَّيّب للمعايير النحوية والأصول اللغوية، وإخلاله بضوابط مناسبة القوالب لأفق الانتظار، ومجافاتها للموقع، ومن ذلك قوله:

عَوَابِسُ حَلّىَ (يَابِسُ) الْمَاءِ حُزْمَهَا فَهُنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ.([٣٣٨])

فقد جافت كلمة يابس مبدأ المناسبة([٣٣٩]) والموقع، حيث إن كلمة يابس لا تتناسب مع الماء، فإن الماء لا يوصف باليبس، إنما يقال: جمد الماء، زخمس السمن،

([٣٣٦]) الكشف عن مساوئ شعر المتنبى: ٧٢

([٣٣٧]) انظر: لساتن العرب،ج٥: ٣٢٥٩ – ٣٢٦٠مادة : غشش، (غ ، ش ، ش).

([٣٣٨]) واختار أبو البقاء رواية النصب على الحالية، فى قوله: عوابسَ، والبيت من قصيدة لأبى الطَّيِّب المتنبى، يمدح فيها سيف الدولة، ويذكر إيقاع بقبائل العرب سنة ٣٤٤هـ، والقصيدة من الطويل، و القافية من التدارك، انظر: ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى: ٣٨٧، وانظر: شرح ديوان المتنى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٢: ٣٢٣

([٣٣٩]) ونظير ذلك قوله: ولعلى مؤمل بعض ما أبــ(م) لغ باللطف من هزيز حميد . فقد انتهكت كلمة (مؤمل) مبدأ المناسبة، فقد تمنى بعض ما يبلغ، وهذا لا يليق بالكلام؛ إنما وجهه أن يقول: ولعلى

ويبس العود والنبت، ونحو ذلك، وذلك أنه قد روى عن العرب أنها تسمى العرق يَبيس الماء.([٣٤٠]) ويُستدل على ذلك بما أورده ابن منظور من قولهم: يُقال: حطبٌ يابس، كأنه خِلْقَةٌ، وعصا يبوس: ذبُلت، وإنما اليبيس: ما يبس من العشب والبقول، ويبيس الماء: العرق، وقيل: العرق، إذا جفَّ، واليبس اسم، ليس بنعت.([٣٤١]) وذكر فى مادة: جمس:" الجامس من النبات: ما ذهبت غضوضته ورطوبته، فولَّى و جسا، وجمس الودك، إذا جمُد، وكذا الماء، والماء جامس، أى: جامد، وقيل: الجُمُوسُ: للودك و السمن، والجمود للماء، وجمس وجمد بمعنى واحد".([٣٤٢]) وقال فى موضع آخر:" والجمَد، بالفتح، الماء الجامد؛ والجمْد، بالتسكين: ما جَمَدَ من الماء، وهو نقيض الذَّوْب، وجمد الماءُ والدم وغيرهما من السَّيَّالات، يجمد، جمودًا؛ وكذلك الدم وغيره؛ إذا يبس، وماء جمْدُ: جامد، وجمد الماء والعصارة، حاول أن يجمد".([٣٤٣])

وتنخفض درجة التداولية حين يُبالغ المؤلف فى الإيغال الدلالى، والجنوح إلى التفلسف، مما يتسبب فى إحداث خلل دلالى، منتهكًا مبدأ التنظيم، والتدرج الدلالى، مما يصيب أفق انتظار المتلقى بالصدمة، وقد أصاب هذا العيب شعر المُتَنَبِّى، حين خرج عن سمت الشعراء، إلى التطرُّق إلى قضايا التعميم والمراوغات الدلالية والتفريعات، ممَّا يكد ذهن المتلقى منها، يقول:

بالغ بعض ما أؤمل. وكذلك قوله: يفضح الشمس كلَّما زرَّت الشَّم (م) سُ بشمسٍ منيرةٍ سوداء، والشمس لا تكون سوداء، والإنارة تضاد السواد. انظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه: ٤٦٨- ٤٧٤

([٣٤٠]) انظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه: ٤٦٧

([٣٤١]) انظر: لسان العرب، ج٦: ٤٩٤٧- ٤٩٤٨، مادة: يبس، (يـ ، بـ، س).

([٣٤٢]) لسان العرب، ج١: ٦٧٧ – ٦٧٨، مادة : جمس، (ج ، م، س).

([٣٤٣]) لسان العرب، ج١: ٦٧٢- ٦٧٤، مادة: جمد، (ج، م ، د).

وَأَشْقَى بِلَادِ اللهِ مَا الرُّومُ أَهْلُهَا   بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ (جَاحِدُ).(٣٤٤)

يبدو التناقض الدلالى واضحًا إذ إنه يُريد أن يقول:"إن الروم–مع فعله بهم– معترفون بشجاعته وفضله؛ لظهوره، وكثرة أدلته عندهم، ويرون آثار شجاعته، وكثرة غاراته وخروجه".(٣٤٥) وهذا معناه أنهم مقرِّون بمضمون كلامه، ثم يُردف بقالب اسم الفاعل(جَاحِدٌ) الدال على شدة الإنكار لمضمون الخبر وتعميم دلالته مع تنكيره، فالجَحْدُ: نقيضُ الإقرار، كالإنكار والمعرفة، وقد يكون الجحد إنكارًا مع العلم أو يكون دليلًا على قلة الخير، أو قد يُشير إلى ضيق الأفق، أو ضيق المعيشة و شدتها، أو يدلُّ على الأرض اليابسة التى لا خير فيها؛ أو القلة من كل شيء، أو قلة المطر، أو ذهاب المال وقلة الخير.(٣٤٦)

إن المتأمل لقالب اسم الفاعل التكرة(جَاحِدٌ) ليدرك مجافاته لسياق المعنى الكلى، فقد أشار إلى التعميم لكل ذات موجودة فى أرض الممدوح، وهذا لا يتناسب مع قوله: (ما الروم أهلها)، وقوله: (ما فيها لمجدك)، فمن المحال نفى الجَحْدِ على قوم، غلبوا على أرض، وصاروا أهلها، حيث إنه من المحتَّم أن يجد الممدوح من يُنكر فضله، أويضنُّ بخيره على غير أهله من الروم، وهنا يتحقق التناقض الدلالى، الذى لا يستطيع المتلقى –من خلاله– أن يصل إلى القصد الحقيقى للمؤلف. ويقول:

(٣٤٤) من قصيدة للمتنبى، من الطويل، يمدح بها سيف الدولة، ويذكر هجوم الشتاء، الذى عاقه عن عزو خرشنة، ويذكر الوقهة. انظر: شرح ديوان المتنى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى،ج١: ٢٦٨

(٣٤٥) انظر: شرح ديوان المتنى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١: ٢٦٨

(٣٤٦) انظر : لسان العرب، ج١ : ٥٤٧– ٥٤٨، مادة: جحد ، (ج، ح، د).

يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ– وَأَنْتَ (نَاءٍ)(٣٤٧)– عَلَى قَتْلِى بِهَا لَضَرَبْتُ عُنْقِى.(٣٤٨)

يقول أبو البقاء:" يمينًا، مصدر؛ لأن قوله: بحقى قسم، كأنه قال: أقسمتُ عليك قسمًا، ويُروى: وأنت ناوٍ، وحلفتَ، بفتح التاء، على الخطاب، وعلى قتلى إذن".(٣٤٩) من المقرر قيام التداولية على اعتماد المؤلف مبدأ الكفاءة اللغوية فى عدم التَّقَوُّل بغير الصدق، بالإضافة إلى احترازه من قول ما لا يملك دليلًا عليه؛ إن رام تحقيق بيئة حوارية ناجحة، قوامها صدق القصد وتمام الإفادة، ويتمثل مبدأ الصدق– فى هذا الموضع– فى تحقق المنطقية الدلالية، الدالة على صدق المعنى المضمن فعل القول المتلفظ بها، أو المحتوى الإبلاغى للقوالب اللغوية.(٣٥٠)

ويُتعذَّر مع الدلالات المتوقعة لقوالب البيت السابق على المتلقى أن يحمِّل ذهنه قبول تلك الدلالات، لغياب ما يؤيدها واقعًا أوعقلًا، مما ينتهك منطقية القصد، حيث يُشير المعنى الحرفى المستبعد من المتلقى لكلمة(ناءٍ) إلى البعد المكانى لا البعد النفسى. وقد أيَّد إيراد المُتَنَبِّى قالب اسم الفاعل(ناءٍ) مُنَكَّرًا ما ذهب إليه الباحث من ضرورة تحقق مبدأ المنطقية والصدق للمحتوى القضوى، فقد أفاد تنكير اسم الفاعل

(٣٤٧) من المعلوم أن النكرة المحضة أخف من المعرفة؛ وفى هذا السياق يقول سيبويه:" واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهى أشد تمكنًا؛ لأن النكرة أول، ثم يدخل عليها ما تُعرَّف به. فمن ثم أكثر الكلام ينصرف فى النكرة". انظر: الكتاب، ج١ : ٢٢

(٣٤٨) وكان قد سأله أبو محمد الشرب، فامتنع، فقال له: بحقِّى عليك؛ إلَّا شربتَ، فقال هذا البيت، من الوافر. انظر: الديوان: ١٩٩

(٣٤٩) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٢: ٣٥١ – ٣٥٢

(٣٥٠) نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى): ٣٧

(ناءٍ) أن فاعله ملازم للبعد، مع استحالة تحوله عنه، وكأن المؤلف فى مأمن من سطوة الممدوح، وهذا يُشعر المتلقى بالمراوغة الدلالية، فتنخفض درجة الكفاءة التداولية لديه.

حيث إنه من المعلوم أن مبادئ التداولية–وفقًا لقاعدة الكيف Maxim Of quality– تقيِّد القيمة الدلالية المحتملة القبول بمبدأ صدق المؤلف أو كذبه، بمعنى أنها تمنع المؤلف من ادِّعاء الكذب، أو محاولة الخداع والتضليل لإثبات الباطل ([٣٥١])، وذلك استنادًا إلى تقسيم أوستن للكلام حسب قصدية العبارة، من حيث كونها واقعًا متلفَّظًا به، أو حسْب قصدية المتكلم الناتجة من العبارة والمفهومة من السياق، فجعل منه تلك الملفوظات التقريرية، التى تقدم أخبارًا، تستند إلى ثنائية الصدق والكذب، وجعل القسم الآخر غير خاضع لمعيارى التصديق أوالتكذيب، بقدر ما يُشير إليه الفعل المنجز، والمتلفظ به.([٣٥٢])

فى البيت السابق يُريد أبو الطَّيِّب المبالغة فى إظهار طاعته، بل محبته لمن يخاطبه– وهو المبالغ فى تقدير ذاته، والافتحار بها، والتعظيم لها، وهو المتفرد بالتعظيم من بين بنى جلدته ومجتمعه؛ المعجب بنفسه من دون نهاية([٣٥٣])– بأن يُقحم ذهنية المتلقى فى الدلالات الاستعارية والمجازية، ويضعه بين حيرة التصديق لمعنى الخبر فى البيت، وبين سياق واقعه، منتهكًا لمرتكز الحجاج التداولى؛ فليس من المتوقع أن يضرب الإنسان عنقه، لمجرد حلفه على ذلك، وهو بعيد.

([٣٥١]) انظر: فى مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبى : ١٠٧

([٣٥٢]) انظر: فى مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبى، أنمار إبراهيم أحمد، (البحث مستل من رسالة دكتوراة) مجلة ديالى، العدد الحادى والسبعون، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠١٦م : ١٠٣

([٣٥٣]) يقرر ابن رشيق أنه لا يجوز للشاعر أن يُعجب بنفسه؛ إلَّا فى معرض الترغيب والترهيب، فيجوز له الثناء على نفسه، ويذكر فضله، وهذا من باب التسامح المُجاز. انظر : العمدة، ج١: ١٦٩

ويمثِّل انتهاك مبدأ الكفاءة اللغوية–فى البيت السابق– فى قوله (وأنت ناءٍ) الدالة على البعد، وإبهام الدلالة؛ بيد أن المتلقى لن يستطيع استيعاب معنى الخضوع التام من منطلق هذا القالب الصرفى، ولا أن يتصوره؛ وإن كان من باب التخييل المتعقل، والذى يُشير–فى جزء منه– إلى دلالة واقعية نسبيًّا؛ والجزء الآخر منه قد يكون متمردًا، أو شكًّا، أومخالفًا لأصول الكفاءة اللغوية، أويعكس انتهاكًا لضوابط المحادثة التواصلية الناجحة، فقد أدت بنية اسم الفاعل إلى صرف معنى البيت من الدلالات الحرفية إلى دلالة الإيحاءات، التى تقلِّل من كفاءة المؤلف فى مراعاة حال المتلقى ونمطه، والذى تمثَّل–أيضًا– فى انتهاك مبدأ تداولى، تجسد فى الترميز غير المنطقى، وعدم الوضوح من المؤلف فى عملية الاستلزام الحوارى، وكأن أبا الطيِّب المتنبى قد مارس تسلطًا لغويًّا، فجاءت لغته حادة، ومستفزة، فى كثير من مواضعها التركيبية، فيما يُمكن أن نُطلق عليه: احتكار المتنبى لاستخدامات الفعل الكلامى. ولننظر إليه، وهو غير مُراعٍ مبدأ العرض، حيث يسوق القوالب الصرفية من اسم الفاعل، بصورة ساذجة، فيها من الألفاظ الحادة والجافية، التى تقبِّح صورتها–حين يُكررها المؤلف– فى عين المتلقى، وتُستهجن دلالتها، حيث يمل أفق المتلقى ونفسه من التكرير غير المستحسن، فى البيت الواحد، صيغة وموقعًا، يقول:

وَمَنْ (جَـاهِلٌ) بِى، وهْوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عِلْمِى أَنَّهُ بِىَ (٣٥٤)(جَـاهِلٌ).(٣٥٥)

ومن ذلك قوله :

---

(٣٥٤) والجهل: نقيض العلم، من قولهم: إن فلانًا لجاهل من فلان؛ أى: جاهل به، والجهل: ضد الخبرة، والمعرفة، انظر: لسان العرب،ج١: ٧١٣– ٧١٤، مادة: جهل.

(٣٥٥) البيت من الطويل، وهو من قصيدة قالها فى صباه، والقافية من المتواتر. انظر: شرح ديوان المتنى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى،ج٤ : ١٧٤، وانظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٧٧

وَلَا (سَاعِيًا) فِي قِلَّةِ الْمَجْدِ مُدْرِكًا بِأَفْعَالِهِ مَا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْوَصْفُ.(٣٥٦)

يقول أبو البقاء:" وقلة المجد: أعلاه، والمعنى: ولا رأينا ساعيًا فى أعلى المجد أدرك بفعله ما ليس يُدركه الوصف ".(٣٥٧) تُشير النظرة الكلية لعناصر البيت السابق أن أبا الطَّيِّب فى سياق المدح، ويقضى الافتراض المسبق أن يصف من يمدح بما يتوقعه المتلقى من الجميل من الخصال والصفات، وأن يمد متلقيه بكم معلوماتى يكفل له الاستنباط لسائر محددات القصد، وإن لم يفصح عن بعضها؛ ارتكازًا على ما علمه من الافتراض المسبق، حيث يُريد أن يصف من يمدح بأن له اليد الطولى فى فعل ما يُريد، بيد أنه – فى رغبته هذه– قد انتهك مبدأ تداوليًّا، وهو مراعاة السياق التداولى، حيث يُعد أفق انتظار المتلقى سياقًا تداوليًّا غير لغوى، ومبدأ ضرورة مراعاة الهيئة أو الصيغة؛ تمثل هذا الانتهاك التداولى فى مخالفة المتوقع إلى اللامتوقع، إذ كان من المتوقع أن يأتى بقالب لغوى يدل على المبالغة فى وصف قدرة ممدوحه على فعل الأشياء.

فإذا به يأتى بقالب اسم الفاعل– بوصفه صيغة صرفية تدل على الذات وفاعلها، وعلى اتصاف الذات بمضمونها، ليس من باب المبالغة والتكثير فيها، وهى كلمة: ساعيًا– وقد وجَّهت هذه القرينة اللفظية المعنى إلى ما يُخالف وصفه بفرط القدرة، والمبالغة فى ذلك؛ مُشعرًا المتلقى بعجز من يمدحه؛ ذاكرًا أن الإنسان–فى سعيه– لا يحصِّل كل ما يُريد، فأورد هيئة تدل على مجرد اتصاف الذات الفاعلة

(٣٥٦) يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضى الأنطاكى، من الطويل، والقافية من المتواتر، انظر: الديوان : ٩٨

(٣٥٧) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج٢ : ٢٨٨

ببعض مضمون الصيغة اللغوية من السعى والحرص، فدلت الصيغة ذات العناصر القليلة على قلة المعنى(ضعف الدال لضعف المدلول)(ضعف اللفظ لضعف المعنى).

فكلمة (ساعيًا) ينبو عنها الحس اللغوى، وتستعصى على الفهم؛ لكونها غير لائقة، فموقعها مع النفى غير ملائِم ولا مستقيم لأفق انتظار المتلقى، وفى حرصه على إتمام عملية الفهم لما يُراد منه؛ إذ كيف يمدحه بنفى الصفة عنه، والسعى: سمة تدل على الفعل، والجهد، والحركة والجدية، وهذا التكثيف الدلالى، لا يتناسب مع التركيب الإضافى: قلة المجد، إذ إن المتوقع فى ذهنية المتلقى(الافتراض المسبق) أن يتوقع المدح بالجملة الخبرية المثبتة؛ حيث ينحرف ذهنه مع النفى إلى توقع ما لا يتناسب مع غرض المدح، فقد نفى التنكير عن الممدوح جنس السعى، ولو أبدلها بقوله: راغبًا لكان أليق؛ إذ السعى لا يتناسب مع قلة النشاط، فكان فى إيرادها منافرة لفظية دلالية.(٣٥٨)

وكان من الأنسب التعبير بلفظ الفعل؛ لأن الأصل فى السعى أن يكون فى الحركة، سواء التحريك الاعتبارى القار فى عمل العقل و الدماغ، أو التحريك المادى الذى يشمل تحريك الأعضاء و نشاطها، أما التعبير بقالب اسم الفاعل(ساعيًا) غير العامل، فهو يدل على مضمون السعى بصورة ثابتة وعامة، من دون الإحاطة بالتحصل على ما تشير إليه من دلالة، وقد أحدث مورفيم سابقة أداة النفى(لا) ضعفًا فى دلالة القالب الصرفى(ساعيًا).

كذلك فقد جاء بناء اسم الفاعل(ساعيًا) ثقيلًا، كونه منونًا، تنوين تمكين، فجسدت بنيته المقطعية ثقلًا فى نهايتها بالمقطع المتوسط المغلق(ص ح ص)، الذى يُشير إلى الثقل فيما يخص قالب اللفظ، والتدفق الدلالى من جهة المعنى، ومن جهة

(٣٥٨) انظر: الطراز ، ج٣ : ٥٩

أخرى فقد ضارع اسم الفاعل(ساعيًا) الفعل المضارع (يسعى) فى البناء، والدلالة على الحدث، واتصاف الذات بمضمونه، فجاء اسكم الفاعل ثقيلًا على المتلقى ، لمشابهته الفعل المضارع، كل هذا جافى ما صنعه المتنبى من نفى المضمون,

وفى المشابهة بين قالب اسم الفاعل والفعل المضارع يقول سيبويه:" وأما مضارعه فى الصفة؛ فإنك لو قلت: أتانى اليوم قوىٌّ، وألّا باردًا، ومررتُ بجميل، كان ضعيفًا، ولم يكن فى حُسن: أتانى رجلٌ قوىٌّ، وألَّا ماءً باردًا، ومررتُ برجل جميل. أفلا ترى أن هذا يقبُح ههنا ، كما أن الفعل المضارع لا يُتكلم به، إلَّا ومعه الاسم، لأن الاسم قبل الصفة، كما أنه قبل الفعل. ومع هذا أنك ترى الصفة تجرى فى معنى (يفْعَلُ)، يعنى أهذا رجلٌ ضاربٌ زيدًا، وتنصب كما ينصب الفعل، فإذا كان اسمًا كان أخفَّ عليهم؛ وذلك نحو: أَفْكَلٍ، وأَكْلُبٍ، يتصرفان فى النكرة ".([٣٥٩])

فانتهك المُتَنَبِّى-بذلك- ما تجعله التداولية من واجبات المؤلف، إذ تُلزمه بضرورة مراعاة السياق التخاطبى، وأن تكون القوالب المُنْتَجَة على قدر المقاصد ومعانيها، المُراد إبلاغها للمتلقى. ويلفت النظر- فى هذا الموضع-انتهاك أبى الطَّيِّب مبدأ التوقع فى العلاقة بين المعنى الملزوم فى علاقته بالقالب اللازم، حين نوَّن اسم الفاعل العامل المستند على حال، والناصب لـ(ما) الموصولة؛ ومن المعلوم أن فى التنوين -هنا- دلالة على زمن المستقبل، وأن إيقاع الفعل لم يتحقق بعد، فيوقع أفق انتظار المتلقى بين إشكالية ما وقرَّ فى الذهن، وما قد وقع. وإذَّاك تظهر إشكالية التناقض الدلالى وتعمية القصد المركزى.

([٣٥٩]) الكتاب ، ج١ : ٢١

ويعد انتهاكًا لمبدأ الأسلوب، فى العلاقة بين المؤلف والمتلقى، الإفراط فى المبالغة فى الوصف؛ وتعمية القصد؛ حتى إن أفق الانتظار لا يستطيع قبول تلك الدلالات والمضامين من جانب المؤلف، يقول أبو الطَّيِّب المتنبى:

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ(٣٦٠)　　وَمِنْ تَحْتِهِ فُرُشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفُ.(٣٦١)

(٣٦٠) ومثله قول المتنبى :

رامياتٍ بأسهم ريشُها الهد　　ب تشقُّ القلوب قبل الجلود .

لن تلقه لا تلق إلَّا جحفلًا　　أو قسطلًا أو طاعنًا أو ضاربَا

أو هاربًا أو طالبًا أو راغبًا　　أو راهبًا أو هالكًا أو نادبًا .

بذي كرم ماهر يومٍ و شمسُه　　علي رأس أوفي ذمَّةٍ منه تطلُعُ .

أيملك الملك والأسياف ظامئةٌ　　والطير جائعةٌ لحم علي وضم .

دانٍ بعيدٌ محبٍّ مُبْغضٌ بهجٌ　　أغرَّ حلو مُمرٌّ ليّنٌ شرسُ

ندٍ أبيٌّ غرٍّ وافٍ أخٍ ثقةٍ　　جعد ثريّ نهٍ نَدْبٍ رضًا نَدُس .

فقد انخفضت درجة التداولية، حيث انتهك أبو الطَّيِّب المتنبى مبدأ الهيئة، من جراء المعاظلة اللفظية، التى تكون فى عوارض التركيب والتأليف فى الكلام، وتشترط التداولية على المؤلف تجنب المعاظلة والتناقض بين أجزاء القصد، والمعاظلة: تصرف لغوى يدل على انفعال عارض لمعنى ما؛ ويتحقق بأن يُدخل المؤلف قوالب لفظية تدل على عدم التجانس الصرفى، ومن ثمَّ التناقض الدلالى، فتمتنع مصداقية الدلالة، مثلما فعل أوس بن حجر، حين سمَّى الصبى تولبًا، و التولب ولد الحمار، وقد فعل أبو الطَّيِّب المتنبى مثلما فعل أوس بن حجر، إذ عاظل بالصفات المتعددة والمتناقضة؛ فقد أورد من الصفات التى ثقلت على الألسنة، فمجتها الآذان، حيث بمنزلة سلسة بلا شك، وقطع فضة أو ذهب مبددة من غير سبك. كما أنه أورد عديدًا من الصفات التى سببت تنافرًا فى الكلام، وازدحمت حتى ثقل النطق بها، ومجَّها الذوق، وملَّتها الآذان؛ لما فيها من رتابة صوتية، ومرد هذه الرتابة إلى ترديد المتلقى نغمة صوتية بعينها، فى صيغ تعبيرية متقاربة ومتجاورة فى بيت شعرى واحد. انظر :ديوان المتنبى : ١٣ ، ١٠١ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ١٨، وانظر: الطراز ، ج٣: ٥٧ وانظر: مآخذ البلاغيين على المتنبى، د: إبراهيم عبد الفتاح رمضان، كلية الآداب، جامعة المنوفية، نسخةpdf: ٤٦ www.researchgate.net

(٣٦١) يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضى الأنطاكى، وهى من بحر الطويل، والقافية من المتواتر، انظر : الديوان : ٩٨

يقول أبو البقاء:" والمعنى: أنه جعله كالبحر المحيط بالدنيا، لكثرة نداه وعطاياه؛ أى: لم يجلس البحر قبله لمن يقصده، ومن تحته فُرُش يُقِلُّه، ومن فوقه سقف يُظلُّه".(٣٦٢) يروم أبو الطَّيِّب المبالغة فى وصف ممدوحه، وما له من نعيم، حتى أنه قد استعار له وصف البحر المحيط، كناية عن صفة غناه وسخائه فى العطاء؛ لكلِّ من يقصده، فهو أشد إكرامًا من ذلك البحر المحيط، ثم عمد إلى التكثيف الدلالى بأن ممدوحه فى رغد من العيش؛ فمن تحته الفُرُش، ومن فوقه السقف.

بدت من تنكير قالب اسم الفاعل (قاصد) انسحاب دلالته على العموم إلى جميع أفعال الممدوح، حتى أنه لا يسأل عمَّن يُعطى، يلاحظ من هذه القوة الاستعارية للتراكيب اتِّكاء المُتَنَبِّى على أفق انتظار المتلقى وطاقته التأويلية فى الوصول إلى تلك المعانى المركبة، وأن المتوقع منه أن يُجاوز المعانى الحرفية للصيغ والتراكيب؛ وصولًا إلى الدلالات المضمنة فى فعل التلفظ. والمُتَنَبِّى– فى هذا البيت– مريدٌ من المتلقى أن يتصور حالة الثراء والإكرام التى عليها ممدوحه، وأن يوازن ذلك بتنكير قالب الفاعل (قاصد) المعبر التعميم.

بالإضافة إلى ما فى قالب اسم الفاعل من الاشتراك فى المعانى، إذ تدور مادة قاصد حول الاستقامة، والسهولة والقرب، وعدم المشقة، والعدل، والتوسط فى الأمور، وفى الأقوال والأفعال، وبين الطرفين، والأَمِّ والتوجُّه، وخلاف الإفراط، والسير المستوى، والطعن، واليابس النحيل ضئيل اللحم.(٣٦٣) فحار المتلقى بين أيها يُريده المؤلف، وجميع هذه المعانى محتمل الدلالة، جائزة التصديق؛ فيصح أن يكون المقصود بها ذلك الطالب للعطاء، اليابس قليل اللحم، وصفًا لكل من يقصده، تناسبًا مع اتصاف الممدوح

(٣٦٢) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج٢ : ٢٨٩

(٣٦٣) انظر: لسان العرب،ج٥: ٣٦٤٠ – ٣٦٤٤، مادة(قصد)(ق، ص، د).

بالسخاء والجود، مما يكدُّ ذهن المتلقى فى إنجازه موازنة دلالية بين هذه الدلالات جميعها. لذا يقتضى الطرح التداولى أن يذهب أفق انتظار المتلقى إلى عمومية الدلالة فى كلمة (قاصد)، فالمعطى مثل البحر المحيط لا يجفُّ نداه، وقد أعان على هذا الفهم حُسن توظيف أبى الطَّيِّب لعدد من الأفعال الكلامية المعضدة لهذا الفهم، من مثل ما نرى فى قوله، عن طريق هذا المركب الوصفى: البحر المحيط، وقوله:(من تحته فرش) حيث كثفت هذه الأفعال الكلامية من قدرة المتلقى على إدراك المحتوى.

على الرغم من تجلى الدلالات التداولية لقالب اسم الفاعل(قاصد) فإن أبا الطَّيِّب قد انتهك مبدأ مراعاة أفق الانتظار لدى المتلقى، وأن تكون القوالب اللغوية، والصور، والدلالات على قدر المتلقى (مبدأ كيفية طرح القصد، أومبدأ الطريقة) (Maxim of Quantity)،مما تقتضيه قوانين النحو وأصوله، بالإضافة إلى آليات العرف والاستعمال، وضرورة مناسبة القوالب الصرفية لسياقها ومواضعها، وكذلك لمعيارىْ الصواب والخطأ([٣٦٤]) والتى تقضى بأن تكون القوالب المفيدة على قدر الحاجة، ولا تجاوز الحد المطلوب.([٣٦٥]) وقد أشار ابن الأثير إلى مبدأ الكمية، وسماه: الإيجاز، و نصَّ على أنه:" أن يُؤْتى بألفاظ دالةٍ على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى".([٣٦٦]) حيث إن المُتَنَبِّى–فى انتقاله من المعانى البسيطة إلى المعانى الاستعارية والمتداخلة والمبالغة فيها، بالإضافة إلى تنكير كلمة (قاصد)– قد تسبَّب فى التباس المعنى لدى المتلقى، وغموض دلالاته.

([٣٦٤]) انظر: دلائل الإعجاز: ٨١، ٩٣، ٢٥٢، وانظر رأى موكاروفسكى. اللغة المعيارية واللغة الشعرية، مجلة فصول، م١٠، ع٢: ٤٠–٤٢

([٣٦٥]) انظر : فى مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبى : ١٠٧

([٣٦٦]) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، ج١: ٦٧

ومن المعلوم أن المؤلف– وفقًا لمبدأ الطريقة فى النظرية التداولية– ملتزم بأن يقدم قصده فى هيئة معلومات بالقدر ليس المطلوب فحسب، بل الملائِم لأفق الانتظار لدى المتلقى، فى ضوء الفكر الجمعى للاستعمال اللغوى للقوالب والتراكيب، وتأبى القرائن اللغوية والسياقية(اللفظية والمعنوية)– فى هذا الموضع– أن تُعين المتلقى على إدراك عمومية القصد فى تنكير كلمة (قاصد)([٣٦٧]) وبالنظر إلى غياب القرائن المعينة على إدراك معنى هذا التنكير، لن يتلقى المتلقى هذا المعنى بالقبول، وهو أحد أعمدة الطرح التداولى.

كما دلّ تنوين التمكين فى اسم الفاعل(قاصد) على التناقض الدلالى فى الدلالة الكلية للقالب الصرفى، حيث إن التنوين فى مثل هذه القوالب يُحقق رنة موسيقية، وإيقاعًا صاخبًا، يستغرق أداؤه مساحة زمنية أطول، بهدف تنبيه المتلقى وإيقاظه، كما أن هذا التنوين يُشعر المتلقى بالتفريق فى نسيج البنية الصرفية، وكأن الكتلة الصرفية للبنية ودلالتها قد جُمعت فى المقطع المتوسط المغلق(ص ح ص) الدال على الانغلاق والضيق، والمعبَّر به عن كبت الأنفس وانحباسها؛ وهذا لا يتناسب مع قوله: البحر المحيط، فكيف يكون ممدوح المُتَنَبِّى كريمًا سخيًّا كالبحر المحيط؛ الذى لا يُحدُّ كرمه، ولا يقصُر عطاؤه، وينتظر ذلك القاصد المفرَّق شمله؟!؛ حيث إنه من العلوم– حسب أبعاد الافتراض المسبق بين المؤلف والمتلقى– أن الكريم الجواد هو من يذهب للمعوزين، ولا ينتظر مقدمهم، وهذا ما عبرت عنه الدلالة الإيحائية لقوله: البحر المحيط.

<u>وتنخفض درجة التداولية حيث تُنتهك قاعدة مناسبة القالب الصرفى لموضعه التداولى، ومن أمثلة ما أورده أبو الطَّيّب؛ مما فيه مجافاة صيغة اسم الفاعل(كائن)</u>

([٣٦٧]) انظر : الاستلزام الحوارى فى رائية عمر بن أبى ربيعة (دراسة تداولية) : ٢٩٤٧

لموضعه، إذ جاءت من باب التكرير الممل، و الزيادة التى لم تُفد معنى جديدًا، فى قوله:

إنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ ثُمَّ(٣٦٨) (كَائِنٌ)   فَبَرِئْتُ – حِينَئِذٍ– مِنَ الْإِسْلَامِ.(٣٦٩)

ومن الأقوال الشعرية التى انتهك فيها المُتَنَبِّى سياق الموقعية التداولى، قوله:

بِعَيْشِكَ هَلْ سَلَوْتَ؟ فَإِنَّ قَلْبِى   وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ (سَالِى/سَالٍ).(٣٧٠)

من الجدير ذكره القول بمجافاة اسم الفاعل(كائنٌ/ أوسالى/سالٍ) لضرورة مراعاة المؤلف لمبدأ سياق الموقعية التداولى، الذى تقتضيه أبعاد التداولية المرتفعة، فالسياق– فى قوله: غير سالى– سياق رثاء لوالدة الأمير سيف الدولة الحمدانى، ويقتضى صدق العاطفة بأن يورد الشاعر كلمة تدل على التكثيف الدلالى، ليعبر بها عمَّا يعانيه من ألم وحزن، رغبة منه فى مشاركة ممدوحه ما يختلج فى صدر، وتمور به نفسه من مشاعر، بيد أن المُتَنَبِّى قد انتهك معيار الذوق، والضوابط النفسية والاجتماعية، فالمؤلف شاعر، يتكسَّب بشعره، والمتلقى أمير، له طبقته وحديثه، لذا لم تناسب لفظة(سالى/سالٍ) مقام الرثاء لأمير فى أمه، حيث إنها لا تعدُّ دليلًا على المبالغة

---

(٣٦٨) والبيت فى رواية العكبرى بلفظ: أو هو، بدلًا من ثُمَّ، وبإسقاط الواو فى مفتتح البيت، ويذهب الباحث إلى أن رواية العكبرى أكثر ضبطًا، إذ إن البيت من الكامل، وتفعيلاته التامة، (/*/*//*)(///*//*)(///*//*).(مستفعلن)،(متفاعلن)،(متفاعلن)، وهذا ما لم يتحقق مع رواية الشيخ يوسف البديعى. انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٧١

(٣٦٩)انظر: شرح ديوان المتنى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ :١١

(٣٧٠)البيت من الوافر، والقافية من المتواتر، وقد ذكر محقق الديوان أن أبا الطَّيِّب قد أنكر هذا البيت، معلِّلًا ذلك بأنه زيد فى القصيدة؛ ليفسد به حالى عند سيف الدولة. انظر: ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى: ٢٥٦، وانظر: شرح ديوان المتنى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى،ج٣: ١٥

والتكثير فى مضمون الخبر، وصدق العاطفة، فكأن المُتَنَبِّى يرثى أحدًا من العوام، أو أحد أقاربه من بنى جلدته و طبقته.

وينقل الشيخ يوسف البديعى قول الصاحب بن عباد:" ولقد مررت على مرثية له فى أم سيف الدولة، تدل على فساد الحسِّ، وسوء أدب النفس، فما ظنك بمن يُخاطب ملكًا فى أمه، بقوله: (سالٍ)؛ فيتشوق إليها، ويُخطئ خطأً لم يُسبق إليه، وإنما يقول مثل ذلك من يرثى بعض أهله؛ فأما استعماله إيَّاه فى هذا الموضع؛ فإنه دالٌ على ضعف البصر بمواقع الكلام".([٣٧١]) وينقل أبو البقاء العكبرى قول أبى الفتح وجماعة:" وهذا ممَّا وُضع فى غير موضعه، ولايجوز أن يُرثى بمثل هذا، والمعنى: هل سلوت عن الحياة؟ فإنى غير سالٍ عن الحزن عليك، أذكرك؛ وإن كنت بعيدًا عن أرضك، وأنادبك، وإن كنت منتزحًا عن موضعك".([٣٧٢]) وقد اتَّضح من تفسير أبى البقاء العكبرى توجُّهُ المُتَنَبِّى برثائه إلى شخص سيف الدولة، مادحًا له، موغلًا فى مديحه، غير مكترث بمقام الرثاء، فلم يتوجه برثائه إلى ما أحزن الممدوح، وهو وفاة والدته، مما دفع النقاد إلى وصف تصرف المُتَنَبِّى بأنه من أغلاطه، وعدم مراعاة لسياق الموقعية التداولى.

ويُعاب على المُتَنَبِّى مخالفته الأقيسة الصرفية، ففك إدغام اسم الفاعل(حالل)، بتكرير اللام، وفكِّ الإدغام، و القياس يقتضى إدغام اللامين، لتكون (حالّ)، يقول:

([٣٧١]) انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٨٠ – ٣٨٦

([٣٧٢]) انظر: شرح ديوان المتنى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣: ١٥

وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِى هُوَ حَالِلٌ　　　وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِى هُوَ (مُبْرَمُ).(٣٧٣)

فقد أظهر الإدغام أو فك تضعيف اللام، فى اسم الفاعل(حالل)، والأصل: حالّ؛ يُريد أن حكمه لا رادَّ له، وأنه لا يُخالَف فيما أراد، وحمل أبو البقاء فكَّ الإدغام على أنه من باب الضرورات، فأخل بفصاحة الكلمة، وقال: ولو قال مكانه: ناقض؛ لسلم من الضرورة.(٣٧٤) ولقرَّتْ الكلمة مكانها، وسلمت من التنافر والمخالفة. بيد أنه إذ استعمل كلمة: (حالل)- وهى قبيحة الاستعمال؛ لمخالفتها معيار الصحة الصرفية- انتهك مبدأىْ الصحة الصرفية، ومراعاة أفق انتظار المتلقى، الذى تسببت المخالفة الصرفية فى كدِّ ذهنه، وافتقاده لذة الجمال والإمتاع، إذ إن قواعد الصحة الصرفية تقتضى عدم فكِّ الإدغام فى الفعل الثلاثى المضعَّف، فلا يُقال فى همَّ : هامم، ولا فى سلَّ: سالل؛ ولا فى حلَّ: حالل؛ فإن هذا العمل ينتهك الذوق والفهم. يقول العلوى- فى بيان المنافرة بين الألفاظ، ومراعاة حسن مواقعها:" فقوله: حالل، ينبو الفهم عنها؛ لكونها غير لائقة، لأجل لفظها، فظهر أن النِّفار عنها كان من أجل صيغتها، وهو تفكيك الإدغام الذى كان فيها لا غير، وقرر أن تبديل ناقض بحالل هو الوجه؛ لأن حاللًا ليس فصيحًا".(٣٧٥)

حرى بالباحث أن يُشير إلى أن ما استشهد به من أقوال شعرية، يُعَدُّ أمثلةً، ساقها الباحث ليدلِّل بها على كَوْن قواعد التداولية جاءت قيدًا فى قوالب اسم الفاعل من

(٣٧٣) البيت من الطويل، من قصيدة للمتنبى قالها يمدح عمر بن سليمان الشرابى، وهو- يومئذٍ- يتولى الفداء بين العرب والروم؛ والقافية من المتدارك. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى، ج٤ : ٨٥

(٣٧٤) انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤ : ٨٥

(٣٧٥) انظر: الطراز ، ج٢ : ٥٩ - ٦٠

الفعل المجرد الثلاثى، وبقى له أن يستشهد على حدوث هذا القيد فى قوالب اسم الفاعل من غير الثلاثى، ويُمكن درس ذلك على النحو الآتى.

المبحث الثانى : ما يختص بأنماط اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثى:

تجدر الإشارة إلى أنه يُصاغ اسم الفاعل من الفعل الماضى غير الثلاثى على وزن مضارعه وصيغته؛ مع إبدال – أو حذفه([٣٧٦])– حرف المضارعة– أو نجعل موضعه– ميمًا مضمومة، حيث لا تقع هذه الميم فى اسم الفاعل إلَّا مضمومة؛ سواء كان حرف المضارعة مضمومًا، نحو: يُخرج، أم مفتوحًا، نحو: يَستخرج؛ وكسر ما قبل الآخر، حيث إن ما قبل الآخر فى اسم الفاعل لا يكون إلَّا مكسورًا؛ فرقًا بينه وبين المفعول([٣٧٧])، نحو: أخرج، مُخرج، ألَّف، مؤَلِّف، انطلق، مُنْطلق، استغفر، مُسْتغفر.([٣٧٨]) ، ويتضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب، هى:

المطلب الأول : اسم الفاعل المقترن بـــ(ال): ويشتمل على الأنماط التالية

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (المُتفَاعِل) (المُفاعل)، نحو: قولُهُ، فى صباه:**

([٣٧٦]) كما ورد فى عبارة الملك المؤيد. انظر: الكنا ش فى النحو و الصرف:١٩١

([٣٧٧]) وما جاء على خلاف ذلك، فشاذٌ نحو: قولهم: وارق، من أورق العود، وماحل، من أمحل البلد؛ وعاشب، من أعشب المكان، ويافع، من أيفع الغلام، فإن قياس ذلك كله أن يكون اسم الفاعل منه على مُفعل، لا على فاعل. ويغلب على الظن جواز ورود الصيغتين، من قولهم: أعشب فهو مُعشب، أو عاشب، فيجوز قولهم: عاشب، مُعشب، ويؤيد ذلك رواية على بن حمزة البصرى، حيث استشهد على ذلك برواية النابغة الذبيانى، إذ يقول النابغة:(بِبِرْثٍ تَبَوَّأْتُه مُعْشِبٍ)، فجاء عنهم: بلدٌ عاشبٌ ومُعْشِبٌ. انظر:التنبيهات على أغاليط الرواة، لعلى بن حمزة، المتوفى ٣٧٥هـ، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، (د. ط)، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م: ٣٠٣، انظر: شرح التسهيل، ج٢: ١٩١، والكنا ش فى النحو والصرف : ١٩١

([٣٧٨]) انظر: الوافى فى قواعد الصرف العربى : ٩٢ – ٩٣

تُحَقِّرُ عِنْدِي هِمَّتِي كُلَّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَي (الْمُتَطَاوِلُ).(٣٧٩)

يقول أبو البقاء:" يقول: وهمتى تحقِّر عندى الأشياء النفيسة، فترينى كل شىء أطلبه حقيرًا، والغاية البعيدة فى عينى قصيرة، وذلك لشرف همته وعلوها؛ وهذا من حمقه المتزايد".(٣٨٠) ويُفهم من المعنى الحرفى للقوالب والتراكيب اللغوية–فى البيت السابق– اعتداد المُتَنَبِّى بذاته وعلو همَّته، وامتلاكه مقومات الإصرار لتحقيق ما يروم؛ ويتضمن البيت السابق فعل الفخر، بوصفه فعلًا كلاميًّا منجزًا؛ وقد دلَّت عليه القرائن اللغوية، من مثل: (تحقر، همتى، ويقصر، المتطاول) وكذلك قرائن السياق الموازى، وقد حمل البيت فعلًا كلاميًّا مضمَّنًا، تمثل فى تهديد المُتَنَبِّى لخصومه(٣٨١)، بأن وصفهم بالمدى المتطاول، رغبة منه فى تحقير أمرهم؛ حيث تدل صيغة(متفاعل) بزيادة مورفيم سابقة الميم والتاء والألف على التكلُّف والشدة وطول الحدث واستمراره، وفى إظهار تقدير الفاعل لذاته؛ رغبة منه فى إظهار فرديته، من غير رغبة منه فى تحقيق المشاركة مع غيره.(٣٨٢)

---

(٣٧٩) الديوان : ٢٧

(٣٨٠) والبيت من قصيدة له، قالها فى صباه، من الطويل، والقافية من المتدارك، انظر: ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، بشرح أبى البقاء العكبرى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وآخرين، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د. ت)، ج٣: ١٧٥

(٣٨١) من هؤلاء الخصوم الذين نالوا من عرضه، وتباروا فى هجاء؛ بإغراء من الوزير المُهلَّبى: ابن الحجَّاج، وابن سكَّرة، و الحاتمى؛ وغيرهم: انظر: حلية المحاضرة فى صناعة الشعر، لأبى على محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمى(٣٨٨هـ)، تحقيق،د: جعفر الكِتابى، دار الرشيد ، سلسلة كتب التراث، (٨٢)، وزارة الثقافة و الإعلام، العراق، ١٩٧٩م،ج١: ٤٣

(٣٨٢) انظر: اسم الفاعل من الثلاثى المزيد فيه بأكثر من حرف والواقع نعتًا فى القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية،: ١٩٢– ١٩٣

وتكشف البنية السحطية قصدية الشاعر أن يهجو من يتطاول عليه، عاقدًا موازنة دلالية بين اتصاف المدى بالطول، واتصاف خصومه بالمتطاولين؛ وحتي يكون هجاؤه قويًّا، ساق المتنبي بنية صرفية عديدة المقاطع الصوتية التى تؤكد اعتداده بنفسه، وكأنها تحذر الآخر من الاقتراب من شخصه وذاته، في إشارة منه إلى قدرته علي إسكات أي متطاول، أو حتي قتله، فعند فخره بذاته، تتساوى لديه جميع الأشياء؛ المحابي والمقاتل، فقال:(متطاول)، والمتطاول، هو: المغالب والمباري، وتطاول إلي الشيء: مدَّ عنقه إليه ليراه، أو يطَّلع عليه، وتطاول: تكبر وارتفع.(٣٨٣) وكأنه لا يمل مغالبة المطالب، حتى أن كل غاية عنده قصيرة، لا تعجزه على طول الدهر، مهما طال مكثها، و اشتدت ضراوتها.

فالمتنبي – في البيت السابق– يفخر بنفسه، وقد اشتط به الغرور والطموح، فانقلب هذا الطموح إلي التحقير لمن دونه، وقد زيَّن له هذا الغرور أنه سيصنع العجائب، وأنه سيقتل المتطاولين، وقد أشارت الصيغ الصرفية (متطاول) أنه يحقر من لا يقدره، وأنه سيقتل من يتطاول عليه، ذاكرًا أنه ليس أحدٌ في منزلته من الفخر والمجد، بالنظر إلى قالب اسم الفاعل من غير الثلاثى(المتطاول) نجد أن أبا الطَّيِّب قد انتهك مبدأ الاحترام المتبادل بين أطراف العملية التواصلية، المؤلف والمتلقى.

حيث انتقل من المحتوى القضوى الدال على الفخر والمعبَّر عنه بالقوالب اللغوية المنجزة إلى قصدية التهوين من أمر من يُخاطب؛ على الرغم من كون صيغة متفاعل دالة على التشارك، وكأن فى التطاول تنازعًا من جانب المتلقى ومغالبة، من جهة المؤلف؛ فانتهك مبدأ الكفاءة اللغوية فى إيراد اسم الفاعل فى هذا الموضع. بقوله: (المدى المتطاول) بالإضافة إلى انتهاكه لمبدأ الملاءَمة، إذ إن زيادة عناصر المبنى

---

(٣٨٣) انظر: لسان العرب، ج٤: ٢٧٢٥– ٢٧٢٧، مادة (طول)، (ط ، و ، ل) .

فى قوله: المتطاول تدل على التراخى والبعد، وهذا ما لا يتناسب مع قوله يقصر، وكأن قالب المتطاول لا يتناسب مع الدلالة الحرفية أو المضمنة فى البيت الشعرى، الذى يعبر به عن علو همته.

وفى موضع المتطاول مجافاة للمعنى فى سياقه التداولى، إذ المعلوم أن اسم الفاعل يدل على تجدد المعنى؛ بالإضافة لما أورده المُتَنَبِّى من زيادة فى المبنى تؤكِّد مضمون قالب اسم الفاعل؛ وفقًا لما بين المؤلف والمتلقى من افتراض مسبق، بمعنى أن المخاطب- هنا- معتاد على التطاول، وهذا ما لا يُناسب المعنى المراد من علو همة المتكلم، وتحقيره لمن يتطاول عليه، فى ضوء محددات أفق الانتظار لدى المتلقين على اختلاف أنماطهم؛ إذ التناقض بادٍ بين ما وصف به نفسه، والدلالة الصرفية لاسم الفاعل، فجعل فعل التطاول متجدِّدًا، ملازمًا للمخاطب، ومن المرجح ثبات دلالة اسم الفاعل على التطاول، كونه جاء نعتًا، فدلت صيغة اسم الفاعل على الثبات والاستمرار فى الفعل([٣٨٤]) وقد دلَّ على ذلك قرينة السياق التداولى، الذى عقد صلة بين الصيغة الصرفية والدلالة المركزية، فكأنه انقلب إلى الدلالة على الماضى. إذ إن الدلالة الصرفية للاسم أقوى فى الدلالة على ثبات المعنى من الفعل.

ويبدو أن مبدأ المناسبة أو التناسب قد أُنتهك بدليلين، أحدهما: إن كانت الدلالة الصرفية لاسم الفاعل نحو التجدد والاستمرار، فهذا- لا شك- لا يُناسب ما وصف به نفسه، من علو الهمة، وأنه لا يعجزه الأمور العظام؛ والآخر: إن كانت الدلالة الصرفية لاسم الفاعل دالة على الثبات كونه وصفًا، فيكون تناقض المعنى سببًا من أسباب ملل المتلقى وانصرافه عن قصد المؤلف، وليس من شك فى أن قالب اسم الفاعل(المتطاول)

([٣٨٤]) انظر: اسم الفاعل واسم المفعول فى سورة الذاريات، دراسة صرفية دلالية، د : مطيعة بنت محمد بن شويط الحربى، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا: ٣٤٤٧

فيها من التثقيل الدلالى ما يجسده ثقل البنية الهيكلية للقالب، فى الشكل و الصورة. يقول:

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَ الْعُلَا تَسَاوَي الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَ(الْمَقَاتِلُ).(٣٨٥)

يقول أبو البقاء:" وتساوى، أراد بها: تتساوى، والعلا: تأنيث الأعلى، كالكُبَر، فى جمع الكبرى، والمحابى: جمع المحيا، وهو مفعل من الحياة، يقول: من يطلب ما أطلب من الشرف والرتب العالية، استوى عنده الحياة والقتل؛ لأنه على أن الأمور العالية فيها المخاوف والمهالك، فهو قد وطَّن نفسه على الهلاك، فهو يصبر عليه، ولا يُبالى به".(٣٨٦) يبالغ أبو الطَّيّب المُتَنَبِّى فى الاعتداد بذاته(٣٨٧)، واصفًا إياها بالوثابة، غير العابئة بصروف الأمور؛ وهنا لم يعتد بالدلالات الحرفية(المعنى الأصلى)، التى تدل على اشتطاطه فى المبالغة، فكيف تستوى عند المرء الحياة والقتل؟. وكيف بالعاقل أن يلج المهالك، ويعتاد عليها، ولا يُبالى بها؟! وقد رأى فى نفسه من الصفات ما ليس فى غيره، غير أن الحقيقة على خلاف ما يرى؛ حيث إن ما يراه قد يصير من باب التوهُّم .(٣٨٨)

هنا يقتضى الطرح التداولى الإقرار بأن المُتَنَبِّى – بإيراده القوالب الدالة على غير المتحقق من الأشياء، من مثل قوله: تَسَاوَي الْمَحَايِي عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ– قد عمد إلى انتهاك مبادئ التعاون، والوضوح، والهيئة، والعرض، ومراعاة حال المتلقى، ومبدأ

---

(٣٨٥) الديوان : ٢٨

(٣٨٦) والبيت من قصيدة له، قالها فى صباه، من الطويل، والقافية من المتدارك، انظر: ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، بشرح أبى البقاء العكبرى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان : ١٧٧

(٣٨٧) الكتاب، ج٣: ٣٨١.

(٣٨٨) شرح شافية ابن الحاجب، ج ١: ١٠٢-١٠٣

الكيفية فى عرض القصد والمحتوى القضوى، كل ذلك نتج عنه التباس المعانى وغموضها؛ فصار من غير السهل تحديد المتلقى للمحتوى القضوى فى البيت السابق للمتنبى. والمبادئ التداولية السالفة الذكر تروم" انتقاء القوالب الصرفية بغية تزيين الكلام وتنميقه، لغرض أن يتمكن البليغ من ذهن السامع؛ بما يورده من وصف مستحسن، فيحرك أهواء النفس، ويُثير كامن حركاتها، ويجعل الدلالة أشدَّ التصاقًا بالعقل، وأقرب للإدراك، فيستطيع المتلقى إدراك ما يقصده المؤلف.(٣٨٩)

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (المُفْتَعِل)، نحو: قولُهُ:**

يُقْعِى جُلُوسَ(٣٩٠) الْبَدَوِىِّ (الْمُصْطَلِى)   بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ.(٣٩١)

يقول أبو البقاء:" الإقعاء: أن يجلس الكلبُ على إليته، والبدوى: الذى فى البادية، وهو إذا اصطلى بالنار أقعى على إسته، ونصب ركبتيه؛ لتصل الحرارة إلى بطنه وصدره، وقوله: مجدولة، أى: مفتولة، لم تُجدل، يُريد: بقوائم محكمة من خلق الله؛ لا من صنعة ولا تصنُّع، والمعنى: يُريد أنه يُقعى لأخذ الصيد بقوائم مفتولة محكمة، من خلق الله، فهو شديد القوائم".(٣٩٢) يتضمن هذا البيت دلالة على المبالغة فى وصف حرص كلب الصيد على صيده، وأنه لا يعبأ بحر الحراء، ولا اصطلائها، بل إنه

---

(٣٨٩) انظر: تجليات التأثير و التأثر بين النص الأدبى وتعليم قواعد النحو العربى: ٤٩٧

(٣٩٠) واختار أبو البقاء رواية النصب، لكلمة: جلوسَ، انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى، ج٣ : ٢٠٤

(٣٩١) قاله، وقد طُلب إلى قول شعر فى ظبى، طارده أبو على الأوراجى، وفى رواية أبى البقاء: البيت من قصيدة قالها ارتجالًا، يصف كلبًا، أرسله أبو على الأوراجى على ظبى، والقصيدة من الرجز، والقافية من المتدارك، انظر: الديوان: ١٢١. وانظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى، ج٣ : ٢٠٤

(٣٩٢) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣: ٢٠٤

يجلس– انتظارًا للصيد– على أربع قوائم قوية محكمة من خلق الله– تعالى– وليس من شك فى أن المحتوى الذى تحمله القوالب يُخبر بما يُمتدح به هذا الكلب، بيد أن القارئ لا يستطيع التسليم بتوقف دلالة هذا البيت عند المعنى الحرفى، يعضِّد هذا المذهب إيراد المُتَنَبِّى لقالب اسم الفاعل (المصطلى) من غير الثلاثى، الذى يتضمن قوة دلالية أخرى، كثَّفت من الدلالة على الاحترار. بيد أنه– فى إيراده هذا– قد تخطى الكم المعلوماتى المطلوب، وانتهك مبدأ العرض، ومبدأ مراعاة السياق التداولى؛ حيث إنه من المعلوم أن تكرير الدلالات، يدفع أفق انتظار المتلقى الضمنى إلى السأم والملل، لاسيما أن كلمة(البدوى) تُشير بصورة– مباشرة– إلى معايشة الصحراء، واعتياد الاحترار، فجاء التكرير بقالب اسم الفاعل(المصطلى) تكريرًا مملًّا، ومبالغًا فيه، مما قد يدفع ذهنية المتلقى إلى الانحراف فى التأويل، وقد يعد هذا التكرير من باب الحشو، و قلة الإنتاج لدى الشاعر.

وتنتهك مبادئ التداولية حين يصدر المتلقى أحكامًا بوجود حشو فى التراكيب والعبارات، إذ يستخدم المؤلف قوالب مطولة، أو فى غير أماكنها، وأوانها، ومن دون مناسبة لأفق انتظار، أو حين تختص بنمط معين من أنماط التلقى؛ وقد يكون الحشو غير مقبول فى الفعل الكلامى، فيكون سببًا فى الإخلال بالمعنى المُراد؛ خاصة إذا جاوز الاعتدال والقصد.([٣٩٣]) قريب من ذلك تحقق المجافاة بين الكلمة والبيئة الاجتماعية، أو على الأقل بين القالب الصرفى وأفق الانتظار لدى المتلقى، إذ نجد المتلقى يملُّ من سماع المبتذل، والحوشى، والمهجور، والغريب، من الألفاظ والمعانى.

وقد ذكر القاضى الجرجانى(ت٨١٦هـ) ضرورة أن ينتقى المؤلف اختيارًا يناسب متلقيه، يقول: " ومتى سمعتنى أختار للمحدث هذا الاختيار، وأبعثه على

(٣٩٣) انظر : بلاغة الإقناع(دراسة نظرية و تطبيقية) : ١١٠

الطبع، وأحسن له التسهيل، فلا تظنن أنى أريد بالسمح السهلَ الضعيفَ الركيك، ولا باللطيف الرشيق الخَنِث المؤنث، بل أريد النمط الأوسط؛ ما ارتفع عن الساقط السوقى، وانحط عن البدوى الوحشى، وما جاوز سفسفة نصر ونظرائه، ولم يبلغ عجرفة هميان بن قحافة وأضرابه، ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحدًا، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه؛ بل أريد لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى".([٣٩٤])

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (المُفْعِل)، نحو: قولُهُ:(٣٩٥)**

ذَا السِّرَاجُ([٣٩٦]) (الْمُنِيرُ)(٣٩٧) هَذَا النَّقِىُّ النْ (م) نَجِيبُ([٣٩٨]) هَذَا بَقِيَّةُ ([٣٩٩])الْأَبْدَالِ.([٤٠٠])

يقول أبو البقاء:" النقى:الطاهر من العيب، والأبدال: جمع بدَل، وبَدِيل، وهو جمع فعيل على أفعال؛ وهم العُبَّاد؛ سُمُّوا أبدالًا؛ لأنهم أبدال الأنبياء– عليهم الصلاة والسلام– فى إجابة دعواتهم، ونصحهم للخلق، وقيل: إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه

([٣٩٤]) الوساطة بين المتنبى وخصومه : ٢٤

(٣٩٥) يمدح عبد الرحمن بن المبارك المعروف بابن شمس الأنطاكى ثم أخذ الكأس، وقال هذا البيت، من الخفيف، والقافية من المتواتر، ونحو ذلك قوله: من بحر الوافر : إذا ما المُعْلِمون رأَوْك قالوا بهذا يُعلِم الجيش اللُّهام. انظر: الديوان: ٩٦

([٣٩٦]) والسِّراج، هو: المصباح الزاهر الذى يُسرج بالليل، انظر: لسان العرب،ج٣ : ١٩٨٣ ،مادة: سرج.

(٣٩٧) ونحو : قولُهُ : حُيِّيت من قسَمٍ وأفدى المُقْسِما أمسى الأنامُ له مُجِلًّا مُعْظِمَا .
انظر : الديوان : ١٩٩

[٣٩٨]() فى رواية أبى البقاء: الجيب، بمعنى: القلب الطاهر من العيوب، انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ : ١٩٦

([٣٩٩]) والأبدال: جمع البدَل، و البديل؛ والأبدال: قوم من الصالحين، بهم يُقيم الله الأرض، أربعون فى الشام، و ثلاثون فى سائر البلاد، لا يموت منهم أحدٌ إلَّا قام مكانه آخر، فلذلك ، سُمُّوا: أبدالًا؛ وهم خيارٌ بدلٌ من خيار. انظر: لسان العرب، ج١: ٢٣٢، مادة: بدل.

([٤٠٠]) الديوان : ١١٣

آخر، فهم لا ينقصون حتى تقوم الساعة؛ ويُقال: هم أربعون رجلًا فى أقطار الأرض، والمعنى: يقول: هو سراج منير، يُهتدى برأيه فى مُشكل الخطوب، وظلمات الأمور، وبعلمه يُهتدى إلى ما أشْكِل من مسائل الدين، وهو نقى القلب، لا غش عنده، وهو بقية الأبدال، يُريد: أهل الصلاح".([٤٠١])

يتأتى انتهاك مبادئ الكمية والملاءَمة، والوضوح، من إهمال المؤلف لمفردات المعنى وعناصره، بأن يبالغ فى الوصف، أو أن يورد كمًّا دلاليًّا، أكثر من المطلوب للدلالة على المعنى النوعى، أو أن يسوق من القوالب اللغوية التى لاتؤيدها البيئة الدلالية القارة فى التفسير العرفى، على نحو ما نرى فى استخدام أبى الطَّيّب المُتَنَبِّى لقالب اسم الفاعل من غير الثلاثى(المنير)، من قوله: السراج المنير. ومن المعلوم أن صيغة اسم الفاعل على زنة(مُفْعِل) تدل– فى أفق انتظار المتلقى– على كل عيب أو لون([٤٠٢])، وتُشير إلى التكثير فى مضمون القالب الصرفى، ويمثل هذا افتراضًا مسبَّقًا بين المؤلف والمتلقى وفى ضوئه يُحدد المتلقى الدلالات الصغرى والكبرى للقالب الصرفى، ومن ثم المستويات العليا من القوالب الكلامية؛ وصولًا إلى حدِّ النص بتمامه؛ بيد أنها–فى هذا الموضع–قد عبَّرت عن اللون فحسب، حيث إن الضياء والإنارة لون، فانتهكت الافتراض المسبق بين المؤلف والمتلقى. فإن قالب اسم الفاعل (المنير) تتشابك فى محتواه دلالات مختلفة، أبرزها أن هذا الوصف مختص برسول الله– صلى الله عليه وسلم– وقريبًا من ذلك وصف الممدوح بالسراج، وأنه الذى يُهتدى به فى ظلمات الأمور، وبه تُحل المعضلات، فقد ضمن المُتَنَبِّى هذا المركب الوصفى دلالات عنيفة، جاوزت المعنى الحرفى، وتخطَّت الكم المعلوماتى المطلوب للمدح.

(٤٠١) شرح ديوان أبى الطَّيّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ : ١٩٦ – ١٩٧

(٤٠٢) انظر: اسم الفاعل فى الربع الثالث من القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية:٢١

كما أن السراج يحمل كثيرًا من المعانى، إذ تدور معانيه، حول هؤلاء الأربعين، الذين تمُّوا بعمر بن الخطاب، وصار عمرُ بينهم سراجهم، أو كالسراج بينهم، وجميعهم من أهل الجنة؛ أو يكون السراج بمعنى: المرشد، الذى يُهتدى بضيائه، أو يُطلق على الشمس(٤٠٣)، فى حين يحمل معنى (المنير) مِّنْ وضع النور(٤٠٤).

وفى مثل هذا الإراط فى الوصف يتحقق الاضطراب الدلالى–الذى لحق هيئة القصد– يُنتَهَك مبدآ الوضوحِ والمناسبةِ، اللذان يُلزمان المؤلف بأن يعرض قصده فى صورة من الحقائق، وأن يكون هذا الصدق ممَّا يؤيده الواقع والعُرف، وفى هيئة تضمن لقصده حُسْن الوضوح؛ وإن استخدم المقابلات الدلالية، أوالثنائيات الضدية؛ انطلاقًا من مرتكز تواصلى، يعظِّم من القول بقيام العلاقة الطردية بين المؤلف والمتلقى على قصدية الإخبار والإفادة من جانب المؤلف، والتقبل والتفاعل والسلوك من لدن المتلقى.

بتأمل ذلك التتابع اللفظى المكوَّن من قول المتنبى: السراج المنير، نجد أنه قد بالغ فى وصف ممدوحه، حتى أنه خلع على ممدوحه من الأوصاف ما يحتاج إلى نمط من التلقى، ينتقل من مجرد القراءة، إلى إعمال العقل لاستكناه أثر الحذف فى تمام الدلالة، بأن يقدر، كلمة: مثل، قبل ذلك التركيب المخصص بالوصف، ويكون المعنى: ذا مثلُ السراج المنير، أو يكون ذا ملكة على التأويل، بأن يأول السراج المنير، بالكتاب المنير البين، الذى يُهتدى به؛ بيد أنه بتركيبه هذا قد أفرط فى المبالغة فى وصف بالضياء، فكأن ممدوحه مصدر الإشراق، والضياء، والإرشاد، والخير، وهذا فيه تَمَحُّل، وإفراط فى الوصف.

---

(٤٠٣) انظر: لسان العرب، ج٣ : ١٩٨٣–١٩٨٤، مادة : سرج.

(٤٠٤) انظر: لسان العرب، ج٦ : ٤٥٧١، مادة: نور.

ويرتبط انتهاك التداولية بإيراد المؤلف صورًا من التناقضات الدلالية، إذ تتنافر دلالة القوالب اللغوية، بل قد تسير فى اتجاهات متوازية، مع كونها متعارضة، تتجاذب أفق انتظار المتلقى، ليس من باب التكامل، إنما من باب التعارض، فيُصبح لكل قالب دلالة تخييلية، تنفصل-نسبيًّا أو كليًّا عن دلالة الآخر- فيصاب ذهن المتلقى بالحيرة، ويُنتهك مبدأ التناسب، وقد تجلت تلك الصورة الدلالية فى شعر المُتَنَبِّى، فى قوله:

صَلَاةُ اللهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ (الْمُكَفَّنِ) بِالْجَمَالِ.(٤٠٥)

فقد جمع أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى-فى سياق تركيبى واحد- بين صورة الجمال وصورة الكَفَنِ، فأشعر المتلقى بالتناقض- بالمغايرة- الدلالى، بإيراده كلمة(المكفَّن) فى هيئة استعارة غير مناسبة لسياق المقام، وكأن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى لم يستحى من سيف الدولة- فاستحضر صورة الحداد فى العُرس.(٤٠٦) يقول الشيخ يوسف البديعى:" فلا أدرى هذه الاستعارة أحسن؛ أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال؟!".(٤٠٧) وينقل الدكتور زكريا سعيد على كلامَ الحاتمى(ت٣٨٨هـ) أن أبا الطَّيِّب لم يراعِ سياق المقام، وعاب عليه عدم اكتراثه بمقام سيف الدولة؛ واصفًا صنيعه بالجرأة وعدم الاستحياء؛ وأنه من الكلام الرَّذْل، الذى ينفر منه كلُّ طبعٍ، ويمجُّه كل سمْع.(٤٠٨)

ودلالة قالب اسم الفاعل(المُكَفَّن) دلالة مستنكَرَة فى أفق التوقع والمعقول لدى المتلقى، بجوار المكمل الإضافى(الجمال)، فلا أحد يتكفَّن بالجمال، مما تسبب فى

(٤٠٥) البيت من قصيدة للمتنبى، يرثى بها والدة سيف الدوله، من الوافر، والقافية من المتواتر. انظر: شرح ديوان أبى المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣: ١٢

(٤٠٦) انظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبى : ٤٧

(٤٠٧) انظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٨١

(٤٠٨) انظر: فى نقد الشعر القديم، د: زكريا سعيد على، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م:١٧٢-١٧٣

حدوث صدمة دلالية؛ إذ كيف تجتمع صورتان متعارضتان، الأولى: فيها استحضار للحداد و الجزن، والتكفن، وموت الحياة؛ و الثانية: صورة الجمال النضر المضىء، لذا لم تناسب صيغة اسم الفاعل موقعيتها، فهى ثقيلة البنية(الهيكل الكمِّى)، يتجلى ذلك فى كثرة مقاطعها(ال+ مُ+ كَفْ+ فَ+ نِ)، فجاءت بنيتها على خمسة مقاطع صوتية، ألبها من المقاطع القصيرة المفتوحة(ص ح) الدالة على اللُّهاث، والتقطُّع، والتوتُّر، وهى ثقيلة الدلالة؛ حيث حملت دلالة على الحزن، وموت النفس، التى اتشحت بالكفن، كما أنها ثقيلة فى السياق التداولى(الموقعية)؛ فقد أحدثت مُغايرةً دلاليةً، فحوَّلت الجمالَ إلى قُبْح فى اللون والصورة والدلالة، وجفوةٍ فى الموقع، وثقلٍ فى التلقى.

وزاد الأمر سوءًا استخدام أبى الطيب المتنبى لقالب اسم الفاعل(المُكَفَّن) معرَّفًا بالأداة (ال)، ومردُّ ذلك الانتهاك إلى مجافاة هذه الصيغة الصرفية الدالة على الجنس والاستغراق فيه؛ وليس من المتوقع فى أفق انتظار المتلقى، ولا فيما بين المؤلف والمتلقى من افتراض مسبق، وقوع تكفُّن بالجمال، بوصف(ال) نيابةً عن الاسم الموصول(الذى) ويكون تقدير الكلام: الذى تكفَّن بالجمال، وهذا ما لا يتوقعه المتلقى؛ إذ إنه من المعلوم أن(ال) إذا اتصلت باسم الفاعل أو اسم المفعول كانت بمعنى الذى،إضافة إلى احتمالية دلالة (ال) – فى اتصالها باسم الفاعل– على الحقيقة، والإشارة إلى قيام الدلالة فى ذهن المتلقى؛ فإن التعريف– فى هذا المثال– لم يؤيد هذا التوجُّه، إذ إن مقياس الحقيقة مرهون باعتبار الواقع أو الموجود، فلم يُعهد تكفن الممدوح بالجمال.[٤٠٩]

(٤٠٩) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، ج٢: ٥٧–٥٨

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل، على زنة (المُتَفَعِّل)، نحو: قولُهُ:**

يَا حَبَّذَا (الْمُتَحَمِّلُونَ) وَحَبَّذَا وَادٍ لَثِمتُ([٤١٠]) بِهِ الْغَزَالَةُ كَاعِبَا.(٤١١)

يقول أبو البقاء:" الغزالة: من أسماء الشمس، يُريد أنه لثمها فى حال ما كانت كاعبًا".([٤١٢]) يحسن الإشارة إلى أنه ينحصر المعنى التداولى فى سياق هذا الشاهد حول معنى المدح، فى قوله: يَا حَبَّذَا الْمُتَحَمِّلُونَ، فالسياق التداولى يؤكد أن الشاعر يُريد أن يمدح من يدل عليهم قالب اسم الفاعل(الْمُتَحَمِّلُونَ)، ويبدو أن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى قد لجأ إلى أن يسبق قالب اسم الفاعل، بسابقة مورفيم التعريف، ليدل على اشتهارهم وذيوع أمرهم، وعدم حاجتهم إلى الوصف، أو المبالغة فى ذكر مناقبهم.

بيد أنه– فى سعيه إلى تحقيق هذا المطلب– قد انتهك مبدأ الكمية فى الفعل الكلامى، فمن المعلوم أن الفعل (تحمَّل) فعل متعدٍّ بنفسه، بتضعيف العين، لا يكتفى برفع فاعله، بل يحتاج تمام جملته إلى مكمِّل، ليضيِّق الاحتمالات الدلالية المتوقعة والمرشحة فى ذهن المتلقى، وفى هذا الشاهد لم يوفِّر أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى المعلومات الكافية لإنجاح عملية التواصل، ممَّا يكد ذهن المتلقى، فينتظر أفق انتظار المتلقى العائد، المجيب عن سؤال مقدر، ماذا تحملوا؛ حتى يمتدحهم المؤلف؟ فأورد قالبًا صرفيًّا موصوفًا بالثقل، الناجم عن زيادة البنية، بزيادة مورفيم سابقة التمهيد الدلالية(الميم الزائدة) بالإضافة إلى أصاب حشوها من مورفيم التضعيف، الدال على الضغط، والثقل، والمبالغة. وهذا لا شكَّ مما يُجافى مبدأ ضرورة مراعاة المؤلف مبدأ

([٤١٠]) فى رواية أبى البقاء: لَثَمْتُ. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١: ١٢٤

(٤١١) يمدح على بن منصور الحاجب، من الكامل ، انظر: الديوان : ١٠٠

([٤١٢]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١ : ١٢٤

الخفة والسهولة والتيسير، فى عرضه قصده إلى متلقيه، ويصير مصدر التثقيل فى قالب اسم الفاعل(المتحملون)(المتفعِّلون) كون الزيادة فيه دالة على معنى التكلُّف والثقل اللفظى، المتسبب فى الثقل النفسى؛ فيغمض معناه، فينفر عنه الحسُّ اللغوى، ويملُّه المتلقى، وينصرف عن التمركز حوله، ويقتضى النجاح التداولى أن يقدم المؤلف قصده فى هيئة من الألفاظ الرشيقة، والمعانى السهلة اللينة، إذ الخفة واللين مما يُزيِّن بهما المؤلف قصده، أو ما يُطلق عليه: خطاب التلطُّف، بوصفه آلية من آليات إقناع المتلقى.

ومبالغة فى التكلُّف والتثقيل استثمر أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى الهيكل الكمِّى لاسم الفاعل(المتحملون) فى التثقيل التداولى على المتلقى؛ بهدف المبالغة فى الاعتداد بذاته؛ وإشعار المتلقى بالضعف؛ لما يُشير إليه هذا القالب الثقيل فى صورته الصرفية ومعناه الدلالى، وأثره التداولى؛ من دلالة على معنى التسلط، وهذا ما جسَّدته الدلالة الصوتية والبنية المقطعية لقالب اسم الفاعل؛ وهذا الأمر ينتهك مبادئ العلاقة، والهيئة، وجمال العرض، حيث يشعر المتلقى بغطرسة المؤلف، فيتكون داخل نفسه توتر، ويحصل فى فكره نزاعٌ وتصارع، فيجد فى نفسه مشقة؛ لتقبل مضمون الدلالة الصرفية لقالب اسم الفاعل، فيملُّ قصد المؤلف، ويبتعد عنه، لما أحس به من شدة عندما قرع سمعه، أو وقع بصره عليه، وليس من شك فى أن القصد الواضح هو" الذى يتحقق فيه انتقاء الألفاظ الفصيحة، والمفردات الكريمة، وإصابة المعانى، وتنقيح العبارات، مع جودة مقاطع الكلام وحُسن صوغه وتأليفه، ومراعاة الفصل والوصل؛ واختيار ما لان من الكلام وسهل".(٤١٣)

---

(٤١٣) تجليات التأثير و التأثر بين النص الأدبى وتعليم قواعد النحو العربى: ٤٩٦

كما تُنتهك مبادئ التداولية؛ حين يكون المؤلف سببًا فى انصراف المتلقى عن متابعة القصد، وعن المشاركة فيه، يؤيِّد هذا الأمر التسليم بقصدية المُتَنَبِّى التثقيل على طاقة التلقى، وانتهاك مبدأ الأسلوب، فى قوله، وهو يُسائل الطلول البالية:

أُسَائِلُهَا عَنْ (الْمُتَدَيِّرِيهَا) فَمَا تَدْرِى وَ لَا تُذْرِى دُمُوعَا.(٤١٤)

والأصل فى: المتديِّرها: المتديرينَ فيها، فأضاف إلى الضمير، أى: المتخذيها دارًا؛ وحذف مورفيم لاحقة النون، المزيدة؛ والدالة على الجمع؛ للإضافة، يقول الصاحب ابن عبَّاد:" ومن أطمِّ ما يتعاطاه: التفاصحُ بالألفاظ النافرة، والكلمات الشاذة؛ كأنه وليد خباء، وغذى لبن، ولم يطأْ الحضر، ولم يعرف المدر؛ فإن لفظة المتديريها؛ لو وقعت فى بحرٍ صافٍ لكدرته؛ ولو أُلقى ثقلها على جبلٍ سامٍ لهدَّه، وليس لها من المقت غاية، ولا فى البرد نهاية".(٤١٥) وليس من شك فى أن دلالة اسم الفاعل(مفتعل) تُشير إلى التكلُّف، وفى ذلك إهدار لطاقة التفاعل والمشاركة بين المؤلف والمتلقى، فى عملية التواصل.

وقد تحقق مصدر التثقيل– هنا– من إلحاق البنية بعلامتى تعريف، وهما: السابقة(ال)، واللاحقة(هاء الغيبة المسندة إلى بنية القالب)، وكذلك تلك الزيادة التى لحقت بنية الحشو فى البنية الصرفية، من خلال تضعيف أحد أصولها، تمثل هذا التصرف فى تكرير الياء، مما نتج عنه ثقل بنيوى، وآخر مقطعى، وقد أسهمت هذه الزيادة– فى مجموعها– فى وجود المقطع الصوتى المتوسط المغلق (ص ح ص)، وهو

---

(٤١٤) البيت من الوافر، وهو من قصيدة للمتنبى، يمدح بهاعلىَّ بن إبراهيم التنوخى، والقصيدة من الوافر، والقافية من المتواتر، انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى ، ج٢: ٢٥٠

(٤١٥) انظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبى : ٦٣، وانظر: الصبح المُنبى عن حيثية المتنبى: ٣٦٩

مقطع موصوف بالثقل، والتدفق الدلالى، الذى أربك ذهن المتلقى، وشتته فى –بحثته– بين الأصل، وزيادات السوابق واللواحق، وبين سبب عدول المؤلف إلى تلك البنية، والربط بين المعنى الأصلى، والمعنى المراد.

يتضح–عند تأمل الأمثلة المستشهد بها من قالب اسم الفاعل المعرف بـ(ال)– أن أبا الطيِّب المُتنبِّى لم يراعِ تمامَ المعنى ودقته، فهو يُريد تعظيم من يمدح، وتحقق التعميم والمبالغة فى وصفه، كما يُريد إقرار هذه الصفات فى ذهن المتلقى، وحيث إن سابقة التعريف قد أرجأت وصول المعنى إلى ذهن المتلقى، بهذه الكيفية، ويكون الأمر كما هى الحال عند الإمام السيوطى(ت ٩١١هـ) من كون استخدام القالب الصرفى مجرَّدًا من التعريف، بمورفيم سابقة التعريف(ال) أتم فى الدلالة على المعنى، استنادًا على أن التنكير هو الأصل فى التعبير عن دلالة الأسماء، فقد عقد بابًا(باب النكرة والمعرفة، قاعدة)، وذكر فيه أن ما يلى:

١- إن الأصل فى الأسماء التنكير، والتعريف فرع عن التنكير، كما أن فى التنكير عمومًا، وفى التعريف خصوصًا، والعموم يسبق الخصوص.

٢- إن مورفيم التعريف(ال) علامة على انتقال الاسم من الأصل إلى الفرع، ودليل افتقار الصيغة إلى وضع.

٣- إن النكرة سابقة على المعرفة، وإن مسمى النكرة أسبق فى الذهن من مسمى المعرفة؛ بدليل سريان التعريف على التنكير.

٤- إن التعريف يحتاج إلى قرينة؛ من تعريف وضع أو آلة، بخلاف النكرة .

٥- إن لفظ شىء ومعلوم يقع على المعرفة والنكرة.

٦- إن فائدة التعريف تعيين المسمى عند الإخبار للسامع؛ والإخبار يتوقف على التركيب، فيكون تعيين المسمى عند التركيب، وقبل التركيب لا إخبار؛ فلا تعريف قبل التركيب.

٧- إذا اجتمعت النكرة مع معرفة، غلبت النكرةُ المعرفةَ؛ كقولك: هذا رجلٌ وزيد ضاحكين، فيُنصب على الحال، ولا يقع على الصفة؛ لأن الحال قد جاءت من النكرة دزن وصف المعرفة بالنكرة.(٤١٦)

المطلب الثانى: اسم الفاعل المعرف بالإضافة، ويشتمل على الصور التالية :

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (مُفْعِّل)، نحو: قولُهُ:**

و(مُخيّبُ العُذّالِ) فِيمَا أَمَّلُوا مِنْهُ، وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبَا.(٤١٧)

يقول أبو البقاء:" ومخيِّب العذّال، عطف على ما قبله، وهو: هذا الذى، والكفُّ: يذكر ويؤنَّث؛ ويجوز أن يكون أراد العضو، ولأن الحقيقة فى الخائب، هو صاحب الكفِّ؛ فيقوى التذكير ههنا، وقيل: هو على إرادة السائل، لا يردُّ سائلًا".(٤١٨) يظهر انتهاك أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى لقواعد التداولية فى قوله:(ومُخيِّبُ العُذَّال) حيث أخلَّ بمبدأ الوضوح، إذ أقام قصده-فى البيت السابق- على فعلين تداوليين مركبين، أحدهما: تمثل فى كون ممدوحه مخيبًا لأمل العذال فى أن ينالوا منه، والأخر: يتمحور حول كرم ممدوحه، فهو لا يرد كفًّا خاوية. ويُمكن للقارئ الضمنى أن يتصور الخرق والإخلال بأسس التداولية؛ فى إزدواجية الدلالة فى ذهن المتلقى بين المعنى الحرفى،

---

(٤١٦) الأشباه والنظائر فى النحو،ج٢: ٤٨ - ٤٩

(٤١٧) يمدح على بن منصور الحاجب، من الكامل، انظر: الديوان : ١٠١

(٤١٨) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى ، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى ، ج١ : ١٢٩

والمعنى المضمن، وهما- فى هذا الموضع- معنيان، يكادان يتسمان بالتناقض والمجافاة، فالمعنى الأول يُشير إلى توتر عصبى انفعالى، تمور به نفس ممدوحه، من انشغاله بتخييب آمال العذال، والثانى ناجم من نفس موصوفة بالصفاء، تعطى كل يد تطلب؛ فاستدعى من المتلقى بحثًا عن تأويل تداولى لخطاب أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى.(٤١٩)

وليس من شك فى إدراك المتلقى لما فى قالب اسم الفاعل(مخيِّب) من الثقل، ومجافاتها للمعنى الكلى، حيث إن الكرم وحرص المتنبى على رد العذال، مما يحتاج نشاطًا ذهنيًّا وحركيًّا، وهذا يتطلب خفة، لا تتناسب مع التثقيل والتكلف.

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (مُفْعِل)، نحو: قولُهُ:**

نَفْسٌ لَهَا خُلِقَ الزَّمَانُ لِأَنَّهُ (مُفْنِى النُّفُوسِ)(٤٢٠) مُفَرِّقٌ مَا جَمَّعَا.(٤٢١)

يقول أبو البقاء:" المعنى: يقول: الزمان من عادته إفناء الأشياء، وكذلك هذا الممدوح يقتل أعداءه، ويفرِّق ماله، ويصف كرمه، وكثرة غاراته".(٤٢٢) من الجدير ذكره أن المُتَنَبِّى راغ إلى قالب اسم الفاعل المضاف إلى معرفة (مُفْنى النفوس)، ليضفى على ممدوحه سطوة وهيبة، فيصفه بالمفنى للنفوس، وبالقاتل لأعدائه، مرتكزًا على افتراض مسبق بأن الإضافة تجعل اسم الفاعل أقرب إلى الدلالة على الماضى؛ فى حين تُلزم التداولية المؤلف أن يورد من المعلومات ما يلائم القصد، على مستوى الألفاظ والمعانى، القوالب المفردة والتراكيب، وليس من شكٍّ فى أن هذا التصرُّف انتهاك لمبدأ

(٤١٩) انظر : الاستلزام الحوارى فى رائية عمر بن أبى ربيعة (دراسة تداولية) : ٢٩٢٥

(٤٢٠) ونظير ذلك : قوله : أمريدُ مثل محمدٍ في عصرنا ؟! لا تُبلنا بطلاب ما لا يُلحقُ .انظر : الديوان : ٢٢

(٤٢١)، يمدح عبد الواحد بن العباس بن الأصبغ الكاتب، انظر: الديوان : ١٠٩

(٤٢٢) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٢: ٢٦٤

مراعاة القصدية؛ فأبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى يُريد أن يُخبر متلقيه باتصاف ممدوحه بصفة القسوة بصورة ملازمة له، مستندًا إلى دلالة اسم الفاعل على إيقاع الحدث على سبيل التجدُّد والاستمرار؛ ولعل فى إخبار أبى الطَّيِّب عن ممدوحه–بأنه المفنى للنفوس– انتهاكًا واضحًا لمبدأ الملاءَمة والأسلوب، إذ القصد مشوب بمجافاة العقلانية وعدم الاتساق؛ إذ إنه من القار فى ذهنية المتلقى أن انسحاب هذا المعنى لا يكون إلا لله– تعالى– وهذا ما لا يتصور غيره عاقل، وهنا لا يُمكن للمتلقى تصديق دلالات الفعل الكلامى.

ومن جهة أخرى فإن القالب الصرفى(مفنى)، يحمل دلالة على العموم، المتحققة من تنكيره،هذا العموم– فى إفراده– لا يُعاب على الشاعر، إذ إنه قد يُشير إلى السخاء، والمبالغة فى الإكرام؛ ولكن حين خصصه بالمكمل الإضافى(النفوس) اكتسب دلالة على تخصيص الدلالة وتقييدها، وتخفيف درجتها([٤٢٣]) فتحقَّقت صدمة المتلقى، فقد فاجأه المعنى، إذ قيَّد هذا العموم بدلالة تفتقر إلى الصدق، ولا يؤيدها الواقع، فاشتط فى المبالغة، حتى استفز ذهن المتلقى بانتهاك الافتراضات الاجتماعية المسبقة، ووصفه بقدرته على إفناء النفوس؛ والتى جاوزت حدَّ المعنى المتوقع والمعقول؛ إذ أضر هذا المكمل الإضافى بالدلالة النوعية لقالب اسم الفاعل.

يحتاج المؤلف؛ حتى يُعين المتلقى على إدراك قصده، أن يتم دلالته، ويحسِّنها، ويمنحها رشاقة وخفة، ثم يخرجها" فى صورة هى أبهى وأزين، وآنق، وأعجب، وأحق بأن تستولى على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رُغم الحاسد؛ ولا جهة لاستعمال هذه الخصال؛ غير أن تأتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذى هو أخص به، وأكشف

([٤٢٣]) انظر: الأشباه والنظائر فى النحو، ضابط: ما يكتسبه الاسم بالإضافة، ج٢ : ١١٥

عنه، وأتم له، وأحرى بأن يُكسبه نبلا، ويُظهر فيه مزية، فى إشارة من عبد القاهر الجرجانى إلى ضرورة مراعاة المؤلف لتفاضل المتلقين فى إدراك الغرض والقصد، واكتناه ما فى نفس المءلف من المعانى،لذا يُلزم المؤلف بأن يقدم للمتلقى ما يُعينه على إدراك ما فى نفسه، وأن يكتشف ما فى ضميره.(٤٢٤)

وتقتضى قاعدة العرض فى مرتكز الحجاج أن يعرض المؤلف قصدة فى صورة واضحة بعيدة عن الغموض، وتكون- فى الوقت ذاته- موجزة معبرة، يتجنب فيها الإفراط فى الإطناب أوالإيجاز؛ بمعنى: تجنب التطويل، وكذلك تجنب الإفراط فى الإيجاز؛ مرتبة القوالب والتراكيب، تبعًا لترتُّب الدلالات وتسلسلها ومنطقيتها(٤٢٥)، بيد أننا وجدنا قوالب اسم الفاعل فى قوله:(مُفنى النفوس)غير رشيقة، يستثقلها المتلقى السطحى، الذى لا يملك قدرات المتلقى المتعمق أو الضمنى، الذى يغوص وراء المعانى ، فحدث من هذا التركيب تثقيل على المتلقى، إذ بين اسم الفاعل والفعل المضارع مشابهة، فكأن اسم الفاعل والفعل المضارع سواء، ومن المعلوم أن الأفعال أثقل من الأسماء.

وهذا يؤيد انتهاك مبدأ ضرورة مراعاة مبدأ تنظيم المؤلف لمفردات قصده وعناصره، فى ضوء محددات الاستلزام التحاورى فى مجموعها، وفى هذا المعنى يقول سيبويه:" واعلم أن بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء، لأن الأسماء هى الأُولَى؛ وهى أشدُّ تمكُّنًا، فمن ثَمَّ لم يلحقها تنوين، ولحقها الجزم، والسكون، وإنما هى من الأسماء-أى: الأفعال مشتقة من الأسماء، فقتل مشتقة من القتل- ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم، وإلَّا لم يكن كلامًا، والاسم قد يستغنى عن

(٤٢٤) دلائل الإعجاز: ٤٣ - ٤٤

(٤٢٥) انظر: ظاهرة الاستلزام التخاطبى فى التراث اللسانى العربى: ١٠٥

الفعل؛ تقول: الله إلهُنا، وعبد الله أخونا".([٤٢٦])

لذا جعل سيبويه اسم الفاعل أقرب إلى الفعل المضارع فى البناء والدلالة، يقول: " واعلم أن ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء فى الكلام أُجرى لفظه مُجرى ما يستثقلون، ومنعوه ما يكان لَما يستخفون، وذلك نحو: أبيض، وأسود، وأحمر، وأصفر؛ فهذا بنا أذهبُ وأعلمُ؛ فيكون فى موضع الجرِّ مفتوحًا، استثقلوه حين قارب فى الكلام، ووافق فى البناء".([٤٢٧])

تقتضى مرتكزات التداولية أن يسوق المؤلف قصده بروافد تؤهِّله لتقبله([٤٢٨]) ومن هذه الروافد؛ التزام المؤلف بأن يوسِّع فى عناصر البنية السطحية الدالة على القصد؛ بأن يعرض قوائم من الجمل على الرواة الناطقين باللغة من أبنائها؛ من أجل الحكم بمعياريتها، أو عدم معياريتها.([٤٢٩]) والأصل- فى حُسن التعبير عن القصد- تمام هيئته، بترتيب أجزائه وتكاملها نسقًا وترتيبًا، وألَّا ينتخب من ألفاظ قصده غير الألفاظ المفسرة له، وهذا يقتضى تجنب الاختلاف والمجافاة بين عناصر القصد مجتمعة، ويُحسن تخيُّر مواضعها، فيجعل هذا أولًا، وذاك ثانيًا([٤٣٠]) ونظير ذلك قول أبى الطيب المتنبى- ارتجالًا، فى صباه:

هَدِيَّةً مَا رَأَيْتُ (مُهْدِيَهَا) إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلِ .(٤٣١)

([٤٢٦]) الكتاب، ج١: ٢٠ – ٢١

([٤٢٧]) الكتاب، ج١: ٢١

([٤٢٨]) انظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، تأليف: عبد الله صولة، من منشورات كلية الآداب، جامعة منوية، ٢٠٠١م ، ج١: ١٣

([٤٢٩]) مدخل إلى علم لغة النص : ١٧٥

([٤٣٠]) انظر: دلائل الإعجاز : ٤٧٣

(٤٣١) وقد أهدى له عبيد الله بن خراسان هدية، فيها سمك من سكر، ولوز فى عسل، يسيح، وبترجرج، والقصيدة من المنسرح، والقافية من المتراكب. انظر: الديوان : ١٦

يقول أبو البقاء:" من نصب هدية، نصبها على المصدر، أى: أهديتَ هدية، أو أرسلتَ لى هدية، فتكون مفعولة، ومن رفعها؛ جعلها خبر ابتداء؛ المعنى، يُريد: هذه هديتك التى بعثت إلىَّ بها، ما رأيتُ مهديها، يعنى: الممدوح؛ إلَّا رأيتُ الناس كلهم فى شخص رجل واحد، يعنى: أن الله جمع ما الناس من معانى الفضل والكرم، وقد كرَّر أبو الطَّيِّب هذا المعنى فى مواضع كثيرة".([٤٣٢]) من المعلوم –هنا– أن قالب اسم الفاعل (مُهديها) هو مركب إضافى، نكرة أُضيفت إلى إضمار، ومعلوم– أيضًا– أن الضمائر إنما تأتى للإيجاز والاقتصاد اللغوى، وقد لجأ أبو الطَّيِّب إلى أسلوب الاختصار بإضمار الممدوح، من باب التكنية عن موصوف، أو من باب التنزيه عن ذكره، من دون تقييد أو تخصيص؛ وكأن المتلقى لم يطلب الإيجاز، بل إن المُتَنَبِّى قد أوغل فى الإيجاز، حين عبَّر عن صفات ممدوحه مجملة فى قوله: إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلِ. فبالغ فى الترميز والإغماض، فانتهك–بذلك– مبدأ العلاقة بين أطراف العملية التواصلية؛ جاعلًا مفردات المعنى تتجه نحو قالب اسم الفاعل. إذ إن إدراك المعانى المتوارية خلف المعنى الظاهر تحتاج إلى مفسر، ومؤول مرن ذى دراية كبيرة؛ حتى لا يزيغ الذهن عمًّا فى الكلام، والخطاب والنص والحوار من دلالات عميقة، وحتى لا يتيه عمًّا لها به علاقة متينة، فقد تتعدد دلالات اللفظ الواحد، وهذا من الأسس التداولية.([٤٣٣])

فلم يراع أبو الطيب المتنبى مبدأ الالتزام، والذى يُقصد به، محاولة المتحاورين الخضوع للمعيارية التواصلية، لغة، وتقبلًا، بأن يضعوها نصب أعينهم، يسترشدون بها،

---

(٤٣٢) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ : ١٧٣

(٤٣٣) انظر: ظاهرة الاستلزام التخاطبى فى التراث اللسانى العربى: ١٠٧

حذرًا من المخالفة المُوقعة فى إساءة الفهم، وفشل التواصل.(٤٣٤) وقد جعل أبو الطيب المتنبى المتلقى فى حيرة من أمر هذا الممدوح، بين كرمه، وفتكه بالأعداء، مما يقود إلى القول بأن العلاقة المستنبطة-من خلال هذا المعنى- علاقة مراوغة من جانب المؤلف، سلبية حائرة من جانب المتلقى، مما يكون سببًا فى إفشال عملية التواصل بين الطرفين.

ثم عمد إلى انتهاك مبدأ العلاقة Maxim Of relevance بين المؤلف والمتلقى، وما يتصل به من تجنب المتحاورين الوقوع فى النزعات التواصلية، أو التشويش الذهنى حول عمليتى الإقناع والاقتناع، بما يتسبب فى اتساع الشقة بين المؤلف والمتلقى، ويمنع من وصفهما بالتزام مبدأ التعاون التحاورى، والذى يقضى أن تتمحور القوالب اللغوية والتراكيب والسياقات حول مقصد جوهرى أساس، بعيدًا عن التفريعات الدلالية، التى تتسبب فى اضطراب ذهنية المتلقى بين الدلالات المختلطة، والأنساق الجزئية، فتضيع دلالات المقصد الجوهرى، فيقه المتلقى فى قياسات مُغالطية، أو تأويلات بعيدة عن المقصد المركزى، لذا صار واجبًا على المؤلف أن ينتخب القوالب المعبرة عن هذا المقصد الجوهرى، فى ضوء سياق تداولى نوعى.

المطلب الثالث : اسم الفاعل النكرة المنون ، ويشتمل على الصور التالية :

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (مُفْعِل)، نحو قولُهُ:**

يَا (مُغْنِيًا)(٤٣٥)، أَمَلُ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ   وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا.(٤٣٦)

---

(٤٣٤): نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث ، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى) ٣١:

(٤٣٥) ونحوًا من ذلك قوله: يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبى الأصبغ الكاتب:

يقول أبو البقاء:" المعنى: دعاؤه بعد الصلاة لقاؤه، إذا دعا أن يسهِّل الله لقاءه".([٤٣٧]) ما يتوجب الإشارة إليه هو أن الصيغة الصرفية(مفعل) تحمل دلالة على التكثير فى الوصف والمبالغة فيه، لذا نجد أبا الطَّيِّب يُبالغ فى وصف ممدوحه بأنه المغنى لكل الناس، حتى أن الفقير يأمل فى لقائه؛ ليتخلص من فقره؛ وليس من شك فى أن إدراك المتلقى للقصد الجوهرى إنما يتوقف على المعاني التابعة؛" فإذا كان الأمر هكذا؛ فاللازم هو الاعتناء بفهم معني الخطاب، لأنه المقصود والمراد، وعليه ينبني الخطاب ابتداءً، وكثيرًا ما يُغفل هذا النظر بالنسبة للكتاب والسنة؛ فتُلتمس غرائبه ومعانيه، علي غير الوجه الذي ينبغي، فتُستبهم علي الملتمِس، وتُستعجم علي من لم يفهم مقاصد العرب، فيكون عمله، من غير مَعْمَل، ومَشْيه علي غير طريق".([٤٣٨])

من يتأمل قوالب اسم الفاعل– فى الشاهد السابق– يجد أن أبا الطَّيِّب قد أورد بقوله: (مُغْنيًا) فعلين تداوليين، أحدهما: ظاهر سطحى، وهو: أن ممدوحه موصوف بالكرم، وعضَّد هذا الفعل بقرينة لفظية، وهى قوله: أمل الفقير لقاؤه، والآخر فعل تداولى ضمنى، وهو قصد التكسب، فصار القصد غير واضح فى ذهنية المتلقى، بدليلين، الأول: تنكير قالب اسم الفاعل، الدال على العموم، والثانى: نداؤه بالنكرة غير المقصودة، الدالة على بعد القصد و المقصود بالطلب، والمراوغة فيه، فانتهك بهذا التصرف اللغوى فى اسم الفاعل مبدأ الوضوح؛ إذ لم تكشف بنية التلفظ المحتوى المركزى، الذى يهدف إليه أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى.

وأطاعك الدهرُ العصىُّ كأنه   عبدٌ إذا ناديتَ لبَّى مُسْرِعَا. انظر: الديوان: ١٠٩ – ١١٠

(٤٣٦) وهو يمدح عبد الواحد بن العباس بن الأصبغ الكاتب: من البسيط. انظر: الديوان : ١٠٩

([٤٣٧]) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٢ : ٢٦٥

([٤٣٨]) انظر : الموافقات ،ج٢ : ٣٢٢

وتنخفض درجة التداولية فى انتهاك المُتَنَبِّى لمبدأ الملاءَمة(المناسبة) المتأتية من عدم تحرِّيه الدقة فى ضرورة مراعاة النظير، فيما يتعلق بحُسن توظيف الثنائيات الضدية فى الخطاب؛ حيث تقتضى معيارية الضدية بين القوالب والدلالات أن يورد المؤلف للنقيض ما يناسب ضد معناه، طلبًا لإيضاح الدلالة الحقيقية المرادة لكلٍّ منهما، والإفصاح عن المعانى المضمنة فى كل منهما، حيث يتحد الطرفان المتضادان فى الكشف عن المعنى وتفسيره.(٤٣٩)

والمتلقى- فى بحثه-عن تأويل للقصد الحقيقى، ينبغى له أن يُناسب بين القوالب الصرفية، وضوابط معناها، بيد أن المُتَنَبِّى- حين انتهك هذا المعيار-أضاع الهدف الأساسى، الذى من أجله أورد هذه الثنائيات؛ تمثَّل ذلك الهدف فى استثمار قيمها الدلالية المتنافرة فى الربط بين العناصر المكونة للقصد، الذى تحققه هذه الثنائيات الضدية، فجمع-فى الشاهد الآتى- بين المُحب، والمُجرم فى سياق التضاد الدلالى، وفى هذا مخالفة لمبدأ الملاءَمة، إذ إن الطباق الإيجابى لا يتجاوب مع السياق التداولى-فى هذا الموضع-فتتحول الدلالات الصرفية للدوال، وتصير موصوفة بالمخادعة الدلالية، انطلاقًا من كوْن الطباق الإيجابى متجاوبًا مع السلامة الدلالية، حيث تقتضى أن يضع المحب والمبغض فى حقل دلالى واحد؛ مثلما يضع المسالم والمجرم فى حقل دلالى واحد، يقول أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى:

---

(٤٣٩) **الثنائيات الضدية وانفتاح المُتَخيَّل الروائى فى : (مدن بلا نخيل) و(بيت النخيل)، لطارق الطيب، د: محمد محمود حسين محمد، حولية كلية الآداب، جامعة بنى سويف، المجلد : ١٢، ج: ٢، ٢٠٢٤م:٦٥٨**

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ (مُحِبٍّ) أَوْ إِسَاءَةَ (مُجْرِمِ).(٤٤٠)

وقد عقد العلوى بابًا فى التطبيق، جاء الضرب الثالث منه:" فى مقابلة الشىء بما يُخالفه من غير مضادة؛ وجعله على وجهين؛ أشار فى الوجه الثانى منه إلى ما لا يكون بينهما مقاربة، وبينهما بُعد، فلا يتقاربان، ولا مناسبة بينهما، وذكر أن المقابلة الصحيحة تكون بين مُحب ومُبغض، لا بين مُحب ومُجرم؛ فإن بين المحب والمجرم تباعدًا كبيرًا، فإنه ليس كل من أجرم إليك فهو مبغض لك ".(٤٤١)

من اللافت للنظر أن المُتَنَبِّى قد جمع بين لفظتين- بل حدثين يبدوان متقابلين- غير متناسبتين، فيما يخصُّ الثنائيات اللغوية الضدية/التقابل الدلالى، فإذا كان فى إيراده لنقيض القالب الصرفى قصدية إيضاحه من خلال النقيض؛ فقد غاب هذا الأمر عن أبى الطيب المتنبى، فى هذا الشاهد، بل على العكس، حيث لا تصلح كلمة(مجرم) أن تكون نقيضًا لكلمة(محب)، ممَّا ترك أثرًا غير فاعل فى نفس المتلقى؛ فيما يخصُّ انضباط العلاقات الدلالية، التى تجمع بين الطرفين المتضادين فى تفاعلهما مع المواقف السردية(٤٤٢) فالمقابلة الدلالية الجيدة- فى ضوء الافتراض المسبق- تكون بين(محب ومبغض)، وبين (مسالم ومجرم).

ويرى الدكتور شوقى ضيف-رحمه الله- أن هذا الطباق من باب أن الشعراء لم يُحسنوا استعمال وسائل التصنيع الحسِّيَّة، بل جعلوها ضربًا من ضروب التعقيد؛ يقول

---

(٤٤٠) البيت من الطويل، والقافية من المتدارك، من قصيدة، يمدح بها كافورًا؛ وقد أهدى إليه مُهرًا أدهم، انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤: ١٤١

(٤٤١) جعل الوجه الأول منهما : أن يكون أحدهما مخالفًا للآخر، نحو الحسنة والإساءة . انظر: الطراز، ج٢: ٣٨٣ - ٣٨٤

(٤٤٢) انظر: الثنائيات الضدية وانفتاح المُتَخَيَّل الروائى فى : (مدن بلا نخيل) و(بيت النخيل)، لطارق الطيب: ٦٥٧- ٦٥٨

معلقًا على البيت السابق:" فإنك تُحس أنك لا ترى هذا الطباق، الذى أقامه بين السرور والإساءة؛ والحب والإجرام، لأن الكلمات لا تتقابل، فليست كلمة الإساءة عكس كلمة السرور، ولا كلمة الإجرام عكس كلمة الحب؛ إنما عكس السرور الحزن، كما أن عكس الحب البُغْض، وأطلق على هذا الطباق مصطلح: طباقات غير دقيقة، بل سماها: طباقات باهتة.(٤٤٣)

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (مُتَفَعِّل)، نحو قولُهُ :**

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَغَتَاتِهِ(٤٤٤) فَيَظَلُّ فِى خَلَوَاتِهِ (مُتَكَفِّنَا) .(٤٤٥)

يقول أبو البقاء:" والجبار: العظيم الشديد البطش، وبغتاته: جمع بغتة، وهو ما يفعله فجأة، وظلَّ: إذا أقام بالمكان، وأقام على فعل الشيء، والمتكفِّن: لابس الكفن، المعنى: إن الرجل العظيم البطش يخاف أن يأخذه الممدوح بغتة، ويهجم عليه من حيث لا يدرى؛ فيظل لابسًا كفنه؛ توقعًا لبغتته، وقال الواحدى: ويروى: متلفِّنًا، والتلفن: التندم على ما فات، يعنى أنه يندم على معاداته".(٤٤٦)

---

(٤٤٣) انظر: الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، د: شوقى ضيف، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، (د.ت):٢٨٢- ٢٨٣

(٤٤٤) يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبى الأصبغ الكاتب :

مُتَبَسِّمًا لِعُفَاتِهِ عَنْ وَاضِحٍ تُغْشِى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللُّمَّعَا.

مُتَكَشِّفًا لِعُدَاتِهِ عَنْ سَطْوَةٍ لَوْ حَكَّ مِنْكَبُهَا السَّمَاءَ لَزَعْزَعَا.

انظر: الديوان : ١٠٨

(٤٤٥) قاله، عندما لم يسر مع بدر بن عمَّار إلى الساحل، فبلغه أن الأعور بن كلوَّس، كتب إلى بدر؛ يقول: إنما تخلَّف عنك أبو الطَّيِّب، رغبةً عنك، ورفعةً لنفسه عن المسير معك، ثم عاد بدر إلى طبرية، فضُربت له بها قبابٌ عليها أمثلة من تصاوير، فقال قصيدته النونية المختومة بألف الإطلاق الممدودة، والقصيدة من الكامل، والقافية من المتدارك. انظر: الديوان:١٣٧-١٣٩

(٤٤٦) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى : التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٤ : ١٩٩

وتصبح مبادئ التداولية قيدًا حين تُنتهك العلاقة بين المؤلف والمتلقى، بألَّا يُراعى المؤلف بيئة القوالب والتراكيب اللغوية المستعملة من جانب متلقيه، فكثيرًا ما يحتاج المؤلّف والمتلقى" إلى التأكد من أنهما يستخدمان الشفرة نفسها، وفى هذا إلزام للمؤلف بأن يراعى قاموس الاستعمال والدلالات الاجتماعية لدى متلقيه؛ بصورة موجزه أن يركز على الشفرة اللغوية والدلالية المستعملة؛ فلا يُجبر المتلقى على أن يسأل عنها؛ كأن يقول: أنا لا أفهم ما تعنى، ماذا تريد أن تقول؟ أو يقول المؤلف: أريد أن أقول، أوأقصد، أوأعنى، أوأستخدم هذه الكلمة، أوتلك العبارة بهذا المفهوم؛ تلك هى الوظيفة التخييلية للقوالب والتراكيب، المسماة: دلالات الميتا لغة، أودلالة ما وراء الكلمات والتراكيب.(٤٤٧) وليس من شك فى أن الكلام السابق يُؤَدِّى إلى الفشل التداولى، فقد غابت آلية التواصل بين مستخدمى الخطاب.

ويأمل المؤلف- فى الطرح التداولى، وفيما يخص مرتكز الحجاج- أن يصل قصده إلى متلقيه؛ من خلال تتابع الفعل الكلامى- السلاسل الدلالية والتفاوض الحجاجى- ونجاحه فى تأدية وظيفته التواصلية؛ مقدمًّا له امتدادات دلالية للفعل الكلامى تعينه على أن يدركه بالاستدلالات والاستنباط، ويحمِّل القوالب الصرفية والتركيبية ما يُشير إلى الفعل الكلامى المهيمن؛ وكأنه يُخطط لبيئة الفعل الكلامى، سالمًا من الخروج عن ضوابط المعيار القاعدى والاستعمال، مع المطابقة للسائد من التفسيرات المقبولة؛ تجنبًا للتحريف وحسمًا لسوء الفهم، والذى يساعده على ذلك ارتباط البلاغ، عادة، بالمرجع أو السياق، يستحضره القارئ فى أثناء القراءة؛ فيتجنب به الوقوع فى الخطأ.(٤٤٨) وهنا يعبَّر عن مبدأ العلاقة بين المؤلف والمتلقى، والقصد الجامع

---

(٤٤٧) **علم الأسلوب و صلته بعلم اللغة، مجلة فصول، ع ١٠ : ٥٥**

(٤٤٨) **انظر: التحليل اللغوى للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمه، ومهد له، وعلق عليه: د: سعيد حسن بحيرى، ط٤، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٩٩٧م: ١١٩- ١٢١**

بينهما، بقولنا: ليكن حديثك ذا صلة بما تقصد، ويمكن أن يشتمل وجود الصلة على أمرين على الأقل: أولهما: أنواع المعرفة المتصلة بموضوع أساسيٍّ معين، وثانيهما: أنواع المعرفة النافعة لبلوغ هدف ما.(٤٤٩)

فى الشاهد السابق لجأ أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى إلى التكثير والمبالغة فى وصف صورة مفزعة لممدوحه، منتقلًا – بذلك – من الدلالة المعجمية للكلمات والتراكيب، ولاسيما فى استخدامًا قالبًا مزيدًا من اسم الفاعل غير الثلاثى، وهو قوله: متكفِّنًا، فانتهك مبدأ الهيئة، فجاء بأكثر من المطلوب، فى قوله: (مكتفِّنًا)، فبالغ فى وصف ممدوحه، بإيراد الكثير من المعلومات، بالإضافة إلى الدلالات الضمنية الزائدة للمجاز، فانتقل من المعنى المعجمى للمتكفن، وهو من يرتدى الكفن، قاصدًا إضافة معلومات أخرى، لا يكفى المعنى المعجمى فحسب للتعبير عن دلالاتها؛ من مثل الفزع الشديد، والإلهاب للنفس، وقد عزَّز انتقال ذهنية المتلقى إلى هذا المعنى الإضافى سياق الحال، حيث صدَّر حديثه بكلمة (الجبار) الدالة على القهر والسطوة، وكذلك كلمة(بغتاته) المشيرة إلى الشجاعة والقوة والجرأة والمباغتة، فبدا غير ملتزم بقاعدة الجهة التى تنص على الوضوح فى الكلام؛ بالابتعاد عن اللبس، وتحر الإيجاز والترتيب، فأدى استخدامه لصيغة اسم الفاعل إلى اضطراب الدلالة و ملل المتلقى.(٤٥٠)

---

(٤٤٩) انظر: مدخل إلى علم لغة النص(تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفجانج دريسلار)، د: إلهام أبو غزالة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م: ١٦٢

(٤٥٠) انظر: التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى: ١٤٦

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (مُفْتَعِل)، نحو : قولُهُ :(٤٥١)**

تُعْرَفُ فِى عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ   كَأَنَّهُ بِالذَّكَاءِ (مُكْتَحِلُ) .(٤٥٢)

يقول أبو البقاء:" المعنى: يقول: المعانى التى خلقها الله فيه تُعرف بالنظر إلى عينه؛ فكأن ذكاءه، وحدة ذهنه، وفطنته، موجودة فى عينه كالكحل".([٤٥٣]) يبدو من خلال النظرة العجلى أن أبا الطَّيِّب قد خالف مبدأ العرض لعناصر القصد، بيد أننا حين نتأمل الشاهد الشعرى نجد أنه قد انتهك مبدأ الكمية أيضًا، حين جعل من المنطوق مخالفًا لما يُفهم منه، حيث يُفهم من البنية السطحية تحقق الجمال البصرى، الذى أشارت إليه صيغة اسم الفاعل (مكتحل) فى حين أبان قوله: تُعْرَفُ فِى عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ عن دلالة مضمنة، تمثلت فى الحيل الكلامية. التى دلت على اشتراك بين ظهور الاكتحال وأثره فى إنارة الوجه، وإبرازه له، وبين لمعان عين المتكلم، حين يروغ إلى الحقيقة.

ما يعنينا هو أن المؤلف للخطاب، يقصد- من وراء القالب المفتاح- وهو- هنا- قالب اسم الفاعل-الذى يشكِّل المركز الرئيسى للمعنى-أن يُحدث مراوغة دلالية، يكون قوامها الإقرار بأن الغموض الفنى يُؤَدِّى إلى إيجاد فراغات دلالية، تمثل نقاط نقص فى عملية إدراك القصد، يقوم المتلقى- بما لديه- بإكمالها، بصور دلالية، مما قد يُؤَدِّى إلى سوء الفهم، أو تأويل ينحرف عن القصد الحقيقى؛ وهذا انفتاح دلالى، لا

---

(٤٥١): يمدح بدرَ بنَ عمَّار، وقد وجد به علةً، ففصده الطبيب، ففرَّق المبضع فوق حقِّه، فأضر به ذلك، فقال، من المنسرح، والقافية من المتراكب، ونحو ذلك: قوله، فى صباه: ضيفٌ ألمَّ برأسي غير مُحتشِمٍوالسيف أحسنُ فعلًا منه باللِّمم. انظر: الديوان : ٢٨**

(٤٥٢) الديوان : ١٢٦

(٤٥٣) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣ : ٢١٣

يمكن وصفه بالاكتمال؛ إلَّا حين يُعدُّ المتلقى شريكًا فى عملية الإنتاج والتلقى، والتقبُّل، والفهم، والتفسير، حيث إن النص مفتوح، ويُنتَجُ بواسطة القارئ؛ فى فعل تعاونى، وليس فى فعل استهلاك، وهذا التعاون يعنى عدم كسر المسافة الزمنية بين البنية والقراءة؛ لأنه يتضمن الاتحاد بين كلتيهما فى عملية تدليل وحيدة؛ لأن تنفيذ القارئ هو بمنزلة اشتراك فى التأليف .([٤٥٤])

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل، على وزن: (مُفْعَلِلّ) بتكرير اللام، وتضعيف الأخيرة منهما:**

ليس من شك فى أنه تنتهك مبادئ التداولية، عندما يُسقط المؤلف على ذهن متلقيه ما لا يناسب مقام الاستعمال، من الألفاظ الحوشية أو المعانى الغربية، التى لا يستطيع المتلقى استدعاء إطار دلالى، فى ضوء ما بينه وبين المؤلف من افتراض مسبق؛على الرغم من ذلك فقد أتى أبو الطيب المُتَنَبِّى بقالب اسم الفاعل(مُسْبَطِرٌّ)، ووهى قالب صرفى يحمل دلالة لا تناسب سياق مراثى النساء، وفيها دليل على عدم تبصُّر المُتَنَبِّى بمواقع الكلام([٤٥٥])، كما فى قوله:

رِوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ (مُسْبَطِرٌّ) وَمُلْكُ عَلِيِّ ابْنِكَ فِى كَمَالِ.([٤٥٦])

([٤٥٤]) انظر: نظرية اللغة الأدبية، تأليف: خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، ترجمة: حامد أبو الحمد، ط١، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢م : ١٦٣، وما بعدها(بتصرف).

([٤٥٥]) الكشف عن مساوئ شعر المتنبى : ٤٦، وانظر: الصبح المنبى عن حيثية المتنبى: ٣٨١

([٤٥٦]) البيت من قصيدة للمتنبى، يرثى بها والدة سيف الدوله، والقصيدة من الضرب الوافر، والقافية من المتواتر. انظر:ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى: ٢٥٥، وانظر: شرح ديوان أبى المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج٣: ٨

والمسبطر: الممتد، يقول: مُتْ ورواق العزِّ ممتد عليك، وعلىُّ ابنُك كَامِلُ الْمُلْكِ، ونقل أبو البقاء رواية أبى الفضل العروضى، قال: سمعت أبا بكر الشعرانى خادم المُتَنَبِّى، يقول: قدم علينا المُتَنَبِّى، وقرأنا عليه شعره، فأنكر هذه اللفظة، وقال: مستظل.([٤٥٧]) وذكر ابن منظور(ت٧١١هـ):" أن السَّبطرى: الانبساط فى المشى، أو مشية فيها التبختر، والسِّبْطر: من نعت الأسد بالمضاءة والشدة، واسبطرَّ: أسرع وامتدَّ؛ واسبطرَّت الذبيحة: إذا امتدت للموت بعد الذبح، وكلُّ ممتد مسبطر".([٤٥٨])

فقد أورد أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى– بل أساء توظيف– قالب اسم الفاعل(مُسْبَطِرٌّ)، على ما فيه من الثقل والغرابة، وعدم الدوران على ألسنة الناس فى الاستعمال والتواصل؛ ممَّا أسهم فى كدِّ ذهن المتلقى، جاء التعمق فى الدلالات المحتملة، السطحية والمضمنة؛ وفى تشفير القصد، وكأنه لم يُخطط لعرض قصده، ولم يجعله بصورة مباشرة، فجعلت سياق التلقى معقَّدًا، كما أضفى هذا الاختيار على عملية التواصل توترًا حادًّا؛ يتسبب– فى كثير من الأحيان– فى انصراف المتلقى عن متابعة قصد المؤلف.

- **ما ورد بصيغة اسم الفاعل (مُفَاعِل)، نحو: قولُهُ:**

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ (مُسَالِمًا)   وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبَا .(٤٥٩)

يقول أبو البقاء:" المعنى: يقول: اكتف من معرفة شجاعته بالخبر عنها، ولا تباشرها بنفسك؛ فتهلك، ثم ضرب لها مثلًا، بقوله فى البيت([٤٦٠]) الذى جاء بعده".([٤٦١])

---

(٤٥٧) انظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبى: ٤٦

(٤٥٨) لسان العرب،ج٣: ١٩٢٤ ، مادة : سبط(س، ب، ط).

(٤٥٩) يمدح على بن منصور الحاجب، من الكامل. انظر: الديوان: ١٠٠

فقد صار قصد المبالغة فى وصف الممدوح بالشجاعة معلومًا من تكرير الإيقاع بين (مسالمًا، ومحاربًا). العروض(//*//*)(مُفَاعلن)، و الضرب(//*//*)(مفاعلن)، ومن كون البيت مُصرَّعًا، ومتساوى العروض والضرب؛ وتلزم التداولية المؤلف بأن يزوِّد خطابه اللغوى أو الإشارى بالعديد من طرائق توضيح القصد، وأن يكثِّف معونات الاعتناء بالمعاني السطحية والمضمنة، المحتملة والمردودة في الخطاب، والتى تشكل مقصود المؤلف أو تكون بمنزلة إضاءات(٤٦٢) لردِّ التأويلات المرذولة، التى تعكسها القراءة الأولية للخطاب، وقد أجاد أبو الطيب المتنبى فى إمداد متلقيه بإيقاع متوازن، تكفل لمتلقيه الهدوء، ويؤدى دورًا فى تقبله للمعانى العميقة، التى يبدو من تأملها أن خطابه فى جملته يحمل تهديدًا من ممدوحه، رغم ما توحى به البنية السطحية من وصفه بالشجاعة، فى المسالمة و المحاربة، وكأن دلالة الشكر الأول جاءت على سبيل التقابل الدلالى من الشطر الثانى، فقد جعل متلقيه بين رغبة فى سختىء ممدوحه، ورهبة من معاداته، و محاربته.

ومن خلال التعمق فى القوالب الصرفية المشكلة للدلالة الكلية للبيت الشعرى السابق، نجد أنه تدل صيغتا اسم الفاعل– مما جاء على زنة: مُفاعل، وهما البنيتان الصرفيتان: (مسالمًا، ومُحاربًا)– على قوة القالب اللفظى بزيادة مورفيم سابقة الميم الممهد الدلالى، وزيادة ألف الحشو، وكذلك: زيادة لاحقة التنوين، الذال على قوة اللفظ، كما تُشير صيغة (مفاعل) إلى معنى المشاركة بين اثنين فى مضمون القالب الصرفى،

---

(٤٦٠) يُريد قوله: فالموتُ تُعرف بالصفات طباعُه... لم تلقَ خلقًا ذاق موتًا آيبا. انظر: شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان ، للعكبرى ، ج١ : ١٢٦

(٤٦١) شرح ديوان أبى الطَّيِّب المتنبى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، للعكبرى، ج١: ١٢٦

(٤٦٢) النص الأدبى و قضاياه عند ميشال ريفاتار، د : محمد الهادى الطرابلسى، مجلة فصول، م ١٠، ع٢: ١٢٤ – ١٢٥

وفى هذا المعنى يقول الإمام الشاطبى(ت٧٩٠هـ):" بناء علي أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عن أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلي تحصيل المعني المراد، والمعني هو المقصود، ولا– أيضًا– كل المعاني، فإن الإفرادي لا يُعبأ به، إذا كان المعني التركيبي مفهومًا دونه، كما لم يعبأ ذو الرُّمَّة بـ: بائس، ولا يابس؛ اتِّكالًا منه علي أن حاصل المعني مفهوم".([٤٦٣])

بعيبدًا عن تحقق الثنائية الضدية بين القالبين(مسالمًا، و محاربًا)\، وما له من جماليات، وقدرة على إيضاح المعنى، وتجلية مفرداته وعناصره؛ فقد شكَّل القالبان، قوالب صرفية مقيدة، بقيود الزيادات، المتمثلة فى مورفيم سابقة الميم الزائدة، ومورفيم الحشو، الألف الواقعة فى وسط البنية، ومن ثم زيادة لاحقة التنوين، هذه الزيادات بغية تأكيد مضمون معنى القالب الصرفى، بيد أن أبا الطيب المتنبى قد أضر بممدوحه، فعرض له صورتىْ الترغيب والترهيب، فأشكل الدلالة على متلقيه، لاسيما أنه قد أورها فى سياق تعبيرى واحد، من دون فواصل دلالية.

وعند وضوح المعنى التركيبى تتوقف– نسبيًّا– مهمةُ المؤلف، وهذا ما صنعه أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى، حين عقد بقالب اسم الفاعل ضفيرة، جعلت من المعنى المقصود كيانًا بارزًا على السطح، ومن ثم يدلف المتلقى إلى اكتناه القصد المُراد، وعلى الرغم من أن أبا الطَّيِّب المُتَنَبِّى قد حقق هذا الأمر؛ بإيراد قالب اسم الفاعل(مسالمًا، ومحاربًا) مستثمرًا للطاقة الموسيقية، والقوة الإيقاعية لصيغ اسم الفاعل المجردة من (ال) وما

([٤٦٣]) انظر: الموافقات فى أصول الشريعة، (كتاب المقاصد)، لأبى إسحاق الشاطبى(المتوفى ٧٩٠هـ)، الشيخ عبد الله دراز ، (د . ط)، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٦م ، ج ٢ : ٣٢١

تُحدثه من تناسق علي مستوي السطح والمضمون، فقد انتهك مبدأ العرض([٤٦٤])، إذ ألجأ ذهنية المتلقى الخالى الذهن إلى التعسير فى اكتناه الدلالات الضدية المضمنة، التى تحتاج إلى أن يغوص المتلقى إلى مفردات البنية العميقة، وتُصاب بالكدِ إذ تنتظر اكتمال الدلالات.

(فى ختام هذا البحث يَحْسن أن يُقال):

يقول القاضى الجرجانى عن بعض أشعار أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى:" قد جمع فى هذه الأبيات، وفى غيرها مما احتذى به حذوها بين البرد والغثاثة، وبين الثقل والوخامة، فأبعد الاستعارة، وعوَّص المعنى باللفظ المعقَّد، وعقَّد الكلام، وأساء الترتيب، من مثل: الترتيب المتعسف لغير معنى، وبالغ فى التكلُّف؛ وزاد فى التعمُّق، حتى خرج إلى السخف فى بعض، وإلى الإحالة فى بعض؛ واستشهد على مغالاة أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى فى التكلُّف بكثرة استعماله للفظ (ذا)([٤٦٥]) التى هى للإشارة، وهى ضعيفة فى صنعة الشعر، دالة على التكلُّف.([٤٦٦])

ولا يصحِ للمؤلف–فى ضوء مبادئ التداولية– أن يكدَّ ذهن متلقيه، فى أثناء

([٤٦٤]) ذكر القاضى الجرجانى كثيرًا من أغاليط الشعراء، مشيرًا إلى أن المتنبى ليس بدعًا فى وجود أغلي طفى شعره، مؤكدًا أنه لا تسلم قصيدة من القدح؛ إما فى اللفظ، أو فى النظم، أو فى الترتيب و التقسيم؛ أو المعنى أو الإعراب؛ وساق أمثلة من أشعار الشعراء، على اختلاف عصورهم و مكانتهم، دلل بها على وقوع الخطأ فى الشعر، مستشهدًا على ذلك بأشعر امرئ القيس، ولبيد، وطرفة، والأسدى، والغرزدق، وذى الخِرَق الطُّهَوِى، ورؤبة، والمفضل، وأبى زيد، والأقيْشر، وابن جُرموز، وعنبسة الفيل النحوى، وغيرهم مما يكون من العسر إحصاؤه. انظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه، للقاضى على بن عبد العزيز الجُرجانى، تحقيق و شرح: محمد أبو الفضل إبراهيم و على محمد البجاوى، طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، (د.ت) : ٦ – ٨

([٤٦٥]) نحو قوله: ومن حق ذا الشريف عليك، و: فى وقتك ذا، وقوله: من ذا الورى، و قوله: ذا الذى أنت جَدُّه.

([٤٦٦]) انظر: الوساطة بين المتنبى وخصومه : ٩٢

عرضه لقصده، بإيراد أمثلة من الغموض السلبى، والتعقيد اللفظى، ومنافرة العناصر الصوتية بعضها البعض،والركاكة، بحشو القصد بما لا طائل منه، وقبح الألفاظ وإيراد المبتذل من المعانى المستكرهة، كأن يلجئه إلى الإحالات المختلفة، بل قد يدفعه إلى الإحالة إلى خارج النص، أو الاستدعاء، أو إلى الإكثار من الرمزية ودلالات المجاز، مما يتحقق معه غياب القدرة على فهم مراده، واصفًا تلك الصورة بالضعف؛ لأن المبالغة فى صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر؛ إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ، فيشغل الأسماع بما هو محال، ويهوِّل مع ذلك على السامعين، وإنما يقصدها من ليس المتمكن من محاسن الكلام أن تمكِّنه، ولا يتعذر عليه، وتنجذب كلما أرادها إليه .(٤٦٧)

ويتضمن كلام بيرلمان إيمانه بانخفاض درجة التداولية بين المؤلف والمتلقى؛ حين يغيب اقتناع المتلقى بضرورة أن يُراعى المؤلف حُسن الهيئة، التى يكون عليها القصد المركزى؛ والتى تتطلب وعيًا بالوسائل والأدوات التى من شأنها– إذا ما أُدرجت باعتدال فى الخطاب– أن تُحرِّك المعْنِيّين بالكلام صوب الفعل والتغيير؛ بما ينسجم مع المقامات الخطابية، بمعناها الدلالى والتداولى، وتصبح من الأدوات التى تتطلبها مقاصد النص، وطموحات المؤلف، هذا الهدف يتطلب قدرًا من الوضوح فى الأسلوب، ومستوى ملموسًا من التواضع والاحترام لشخص المخاطب، فالغموض(٤٦٨) المضلل والإكراه من أشد الأمور التى تنفِّر المتلقى من متابعة القصد، وبالتالى تعوق كل السبل المبذولة لنفاذ الخطاب ووصوله إليه، لينقله من كونه فعلًا كلاميًّا متلفظًا به، أو متضمنًا فى فعل القول إلى فعل سلوكى، عكس اقتناع المتلقى بما قصده المؤلف،

---

(٤٦٧) ويُقصد بالبلاغة : ما كان فيه بُعد وإغماض فنى. انظر: العمدة (باب الاعتذار)،ج ٢: ٤٦، ج٢: ١٥٤

(٤٦٨) يحدُّ الغموض من المرونة اللغوية، وتتزايد نسبته إذا ما غابت الصيغ المناسبة للتعبير عن المعانى المقصودة. انظر: فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، د: عبد الله حامد حمد، مجلة عالم الفكر، م ٢٨، ع ٣، يناير– مارس ٢٠٠٠ م، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت : ١٢

وتفاعل معه.(٤٦٩)

يرتكز القول السابق على أن مؤلف النص لا يُمكن أن يموت، بل يظل نصه غامضًا عصيًّا على كل قراءة وقارئ، وكذلك يرتكز على أن النص–أيضًا– لا يُمكن أن يموت، حيث تتعدد قراءاته وتتجدد، وتختلف، حسب طاقة التلقى، ونمط القارئ، وسياق القراءة، ومدى ما توافر لدى مستخدمى النص من معرفة مبادئ التداولية، وضوابط الاستعمال والتأويل، ويؤيد ذلك أن مؤلف الكلام لم يقدِّم تبريرًا عن الأسباب الكامنة وراء انتقاء قالب صرفى من دون آخر، لمعنى معين ما من دون غيره، ويكون حذق المؤلف– مراعاة لمبدأ العلاقة بين المؤلف والمتلقى– حين يجعل من بين قوالبه وتراكيبه قالبًا، يستعين به فى الضغط على المعنى، بغية إضاءته وتقريبه، ويستطيع المتلقى–من خلاله–أن يفكَّ رموز المعنى.(٤٧٠)

ويكون من أهم واجبات المؤلف فى أن يصنع هيئة لغوية وسياقية، تتناسب مع القصد الحقيقى، وكذلك مع التوقعات الدلالية المحتملة، فى ضوء التقبيح أوالتحسين؛ أوالقبول أو الرد، التى يُمكن أن يستدعيها المتلقى فى ضوء أفق انتظاره؛ فيأتى بمعلوماته متطابقة مع المواقف أو الوقائع، أو تكون دلالاته ضربًا من ضروب التخييل المنطقى المتعقل، القائم على التدرج والاستدراج، وكذلك الأصول السائدة، والقيم والأعراف الاجتماعية، حين يكون ذلك ممكنًا، ولا يحق له إهمال أى معلومات، أو يصدر حكمًا بضآلتها.(٤٧١) إذ يتحقق القصد من علاقة التركيب بين مجموع القوالب

---

(٤٦٩) **مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره فى البلاغة المعاصرة: ٦٧– ٦٨**

(٤٧٠) **انظر : الدليل اللغوى وعلاقة اللفظ بالمعنى عند فخرالدين الرازى، نوار عبيدى، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، كلية الآداب و اللغات، المركز الجامعى، الطارف، الجزائر، جوان، ٢٠١٠م، نسخة pdf: ٣**

(٤٧١) **علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات) : ٢٩٦**

اللغوية.([٤٧٢])

وحرصًا من المؤلف؛ حتى يضمن المؤلف وضوح قصده لمتلقيه؛ يلزمه السعى لأن" يجعل مخاطبيه فى أقوى حالات إرهافهم وانتباههم؛ فهو فى مقام الإلقاء يجابه عدوين؛ عدم الانتباه والنسيان، ولكى يظفر بهما؛ عليه التوسل ببعض محسنات الأسلوب، الكامنة فى البلاغة، لكن عليه ألا يُسرف فى ذلك الاعتماد؛ إذ البلاغة فن قوامه الاعتدال، مع توفُّر أكبر مستويات الإبانة والإفصاح، وقديمًا حُدِّدَت أجود المبدعات؛ بأنه الجزل المسبوك، الذى يُهجم على باطنه من ظاهره، ويسحرك ببيانه، مع قرب المأخذ، ومن هنا؛ حددوه بالسهل الممتنع .([٤٧٣])

فعلى المتلقى أن يُحسن فعل التلقى والقراءة والتحليل؛ وفق طاقته، وعليه أن يُتَّصفَ بالخيال النشط، وبأفق الانتظار الممتد، والمتمدد، الذى يمكنه من التقاط القصد؛ فيحسن الولوج فى هذا العالم المفتوح إلى القصد المتضمن فى البنية الكلية للخطاب، وعليه أن يُحسن النظر، ويمعنَه فى هذا البناء؛ لتتكشف ([٤٧٤]) له أسرار تماسكه وكيفيته، حتى يقف على أدواته ووسائله، وبذلك يمكنه أن يصنع إبداعًا موازيًا لإبداع النص.([٤٧٥])

ويكشف عبد القاهر الجرجانى(ت ٤٧١هـ) عن ضرورة أن تكون معانى المؤلف

([٤٧٢]) الطراز ، ج١: ٢٠

([٤٧٣]) مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره فى البلاغة المعاصرة: ٧٥

([٤٧٤]) انظر : الفن و مذاهبه فى الشعر العربى : ٨٠

([٤٧٥]) إذ يمثل النص رسالة؛ تحوى تجربة، أو خبرة، أو كمًّا معلوماتيًّأ، أو بعدًا نفسيًّا، يضع مؤلفه استفسارات عديدة، من ذلك: ماذا يعنى هذا الكم بالنسبة للمتلقى؟ وأى حاسة يستنفر؟ ما الفعل المراد إنجازه من المتلقى على مستوى السلوك والتفكير العقلى؟، ما الإبداع الموازى الذى يضفيه تفاعل المتلقى على مستوى الكم والكيف. انظر: نحو النص بين النظرية والتطبيق، د: يوسف محمد جاد الرب، ط١، مطبعة الجامعة، أسيوط، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م:٢٤

ومقاصده نابعة من القلب والعقل([٤٧٦]) باستثمار الطاقات الدلالية للعناصر اللغوية والإشارية، والسياقية، ويضبط ذلك عوامل التقييد للإفادة،والإثبات والتأكيد، وتجنب الشك والتعقيد؛ والزيادة عن المعنى المركزى، حتى تحرك القرائح، وتستجيب لها العقول والقلوب، بل عدَّ ذلك فرقًا بين الطبع والصنعة، فقال:" والفرق بينهما أن الدواعى إذا قامت فى النفوس، وحرَّكت القرائح؛ أعملت القلوب، وإذا حاشت العقول بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتسبات العلوم وضرورياتها؛ نبعت المعانى".([٤٧٧])

ويتحقق ذلك الضابط التواصلى من الإحكام بين عناصر الخطاب، الذى يربط بين القوالب الصرفية والمعنى المركزى، والدلالات المحتملة والمتوالدة، والتدرج والسياق والتأثير الدلالى لهيئة القصد وترتيب صياغته، بالإضافة إلى ما فى ذلك من الصور؛ وترابط العناصر اللغوية؛ والعلائق بين المظهر والمضمر، وطبيعة المزاج النفسى لمستخدمى الخطاب، وكذلك يربط بين التقبلية والقاعدية، مع تفسير فروق الاستعمال.([٤٧٨])

(على الرغم من هذه القراءة النوعية)؛ فإن الباحث يقرُّ بأن نصَّ أبى الطَّيّب المتنبى- بوصفه نصًّا إبداعيًّا- يظل نصًّا محلِّقًا فى فضاءات الإبداع والانفتاح الدلاليين؛ عصيًّا على القراءة الواحدة، أوالاحتكار الدلالى للتفسيرالواحد، والسياق التداولى الواحد؛ كما أنه يظل متمرِّدًا على التقييد المنهجى، والانحباس فى الدلالات المتوقعة؛ إنما ينفتح محلقًا فى سماوات اللا قيد، المستوعب لفيوض الاحتمالات الدلالية مع كل قراءة؛ ووفقًا لكل سياق؛ ولا يُمكن-بحال- تقييده، بمعاييرَ منهجية، وأُطُرٍ موضوعة، على سبيل ضبطه وتحديد دلالته.

([٤٧٦]) انظر: التحليل اللغوى للنص : ٣٧

([٤٧٧]) انظر: دلائل الإعجاز: ٢٨٠، ٣٧٥- ٣٧٦

([٤٧٨]) انظر : مدخل إلى علم لغة النص : ١٧٧

رابعًا: الخاتمة، وفيها:

أولًا : أهم النتائج التى توصَّل إليها الباحث ، ومنها ما يلى :

- أقام هذا البحث فكرته على رصد مواضع الانتهاك لبعض مبادئ التداولية فى شعر أبى الطَّيِّب المتنبى.
- غاب عن ذهن أبى الطيب المتنبى وضع بعض الخطط الإقناعية والاستراتيجيات الخطابية لقصده، فيما يخصُّ استثمار الطاقات الدلالية لاسم الفاعل؛ فبدا فى بعضها عفويًّا، ومتسلطًا فى بعضها، وقاصدًا فى بعضها، من جهة ثالثة.
- جاء توظيف أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى لاسم الفاعل بدوافع نفسية محضة، فى المقام الأول؛ بعيدًا عن مسئولية المشاركة، أو تحقق مبدأ التعاون مع المتلقى، وكأن – فى جميع أنماطه الشعرية– ذاتًا إبداعية؛ تتحدث إلى نفسها؛ من دون مراعاة للمباينة فى أنماط المتلقين فى كثير من الأحيان.
- أثبت البحث أن أبا الطَّيِّب قد جافته الإجادة– فى أحايين كثيرة– فى تحقيق ضوابط المحادثة التداولية وقواعدها بين عنصريها المؤلف والمتلقى؛ مما نتج عنه عدم وضوح التواصل بينهما، حيث نجم عن انتهاك بعض مبادئ التداولية حيرة الذهنية الثقافية بدلالاتها الاجتماعية عن الوصول إلى القصد المركزى، ولجأ المتلقى إلى صور متعددة من التأويل، كثيرًا ما تُوصف بالمذمومة، أو القراءة الفردية.
- لم يتحقق للمتلقى– السطحى خاصة– حضورٌ قوىٌّ فى شعر أبى الطيب المتنبى، ولم ينل لذة، وهذا يدفع إلى الادِّعاء بوجود صورة سلبية له فى ذهن أبى الطيب المتنبى.
- جاءت قوالب اسم الفاعل فى النماذج المستشهد بها فى صورة استعارات، وأحيانًا إيحاءات، انتقلت فيها قوالب اسم الفاعل من معنى إلى آخر، فى تداخل بين

المعنيين الحرفى، والاستعارى التداولى، فانتهكت مبادئ النوع أو الكيف، إذ خالفت مبدأ الصدق، الذى يشمل: الصدق الفكرى، والصدق الوجدانى، على الأقل من وجهة نظر المؤلف؛ حيث تقوم فى جوهرها على الدلالة الكاذبة، وعلى عدم التطابق بين ما يُقال، وما يُقصد.

- شكَّلت بعض صور اسم الفاعل من فئة النكرة المنونة فى شعر المُتَنَبِّى خرقًا لمبدأ مسئولية المؤلف؛ فقد استخدمها لاستفزاز طاقة التلقى أحيانًا، أو السخرية منها أحيانًا أخرى، أو تحقير شأن الموصوف بمضمونها أحيانًا ثالثة، أو لإظهار التباعد النفسى بين المؤلف والمتلقى فى أحيان رابعة.
- لم يكن الخطاب الشعرى– من خلال قالب اسم الفاعل– فى منجز المُتَنَبِّى خطابًا تلفظيًّا وتداوليًّا ناجحًا بالدرجة التداولية المرتفعة، إذ أغفل المُتَنَبِّى العديد من عناصر النظرية التداولية، من مثل: عدم تعاونه، وعدم وضوحه مع متلقيه، بالإضافة إلى أن وحداته المتلفظ بها من فئة اسم الفاعل دلَّت على انتهاكه لمرتكز الحجاج، المتمثل فى العلاقة بين طرفى العملية التواصلية، فلم يقدِّم له ما يُعينه على استكشاف الدلالات المضمنة من البيت الشعرى، وعلى الأخص الدلالات التى ضمنها اسم الفاعل.
- استهدف أبو الطيِّب المتنبى بقالب اسم الفاعل، التعبير عن نفسه هو، وعمد به إلى مخاطبة العقل، أكثر من مخاطبة النفس، وبشكل يكشف به عن سماته النفسية، فجاءت قوالبُه الصرفية–فى أكثر صورها– جافة، لا تمس عاطفة المتلقى، ولا ترغب فى استقطابه؛ ويغلب عليها طابع الذاتية(الخطاب الذاتى)، وليس الموضوعية.
- شملت انتهاكات أبى الطَّيِّب معظم المبادئ التداولية، على نحو ما رأينا فى خرقه، لمبادئ: الكمية، والكيفية، والقصدية، والملاءَمة، ومراعاة أفق انتظار المتلقى،

وسياقات التحاور، والكفاءة اللغوية، ولعل أبرزها كان انتهاكه لمبدأ الكم، وقد يمزج هذا التصرف اللغوى بالأبعاد النفسية التى يتسم بها المؤلف.

- جاءت البنية الصرفية المستعملة لقالب اسم الفاعل فى شعر المُتَنَبِّى بنية غير تداولية، أيَّدت وجود الخلط والاضطراب فى بعض ألفاظه، وأكَّدت وقوع الفساد الدلالى فى بعض معانيه.
- تجلى انتهاك المُتَنَبِّى للقواعد التداولية فى قالب اسم الفاعل من غير الثلاثى بصورة أكثر من الثلاثى، حيث حملت قوالبه دلالات التكلف، والطلب، والتكثير، والإيغال فى المبالغة.
- ارتبطت الزيادة فى البنية الصرفية لقالب اسم الفاعل من غير الثلاثى بانخفاض درجة التداولية، إذ تتجلى فى اسم الفاعل من غير الثلاثى صورة المواجهة، أو الاستعلاء، والتثقيل، والاقتراب من التحويط على الذات، وكون ملمح المبالغة لصالح المؤلف على حساب طاقة المتلقى.
- حمَّل المُتَنَبِّى قالب اسم الفاعل من غير الثلاثى دلالات متناقضة، ومتنافرة، يمجها حسُّ المتلقى وذائقته؛ حيث انحصرت تلك الدلالات حول التجنب والتكلف، فانصرف المتلقى عنها عندما أحس بالمجافاة بينها، وبين ضعف الذات الفاعلة لها، فقد أدرك أنها تارة تتجنب الفعل، وأخرى يحملها دلالة الكلفة والمشقة.
- على الرغم من مجىء قالب اسم الفاعلفى شعر أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى رشيقًا، ومسببًا للإيقاع الموسيقى المتوازن، وباعثًا للإمتاع؛ ومحفِّزًا على الانفتاح الدلالى، فقد كبَّل ذهن المتلقى بالتكثيف الدلالى تارة، أو بالمغايرة الدلالية أخرى؛ أو الازدواجية الدلالية تارة ثالثة.

- تمثَّلت انتهاكات أبى الطيِّب المتنبى لأبعاد التداولية فى قالب اسم الفاعل، فقد جاء قالب اسم الفاعل موصوفًا بالثقل، أو الغرابة، أوالبعد عن الاستعمال، أوالغرابة فى الشكل والمضمون، أومخالفًا للأصول النحوية، أو اللغوية، أوالصرفية.
- تمثَّل انتهاك أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى لقواعد النظرية التداولية فى أنه جاء، فيما يخصُّ قالب اسم الفاعل من الثلاثى ومن غيره–عن قصد نفسى– ببعض الألفاظ الغريبة، وبعض الألفاظ الركيكة والمخالفة للصحة الصرفية، والقليلة بل النادرة الاستعمال.
- لم يتحصل المتلقى على لذة الإيقاع فى قالب اسم الفاعل، إذ انتهك هذا الشعور تكثيف دلالى، بلغ حدَّ التزاحم، وفقدان اسم الفاعل لتداولية الصوت والبنية الصرفية، فصرف نفس المتلقى عن التفاعل والمتابعة.
- لم يُحسن أبو الطَّيِّب المُتَنَبِّى توظيف إيقاع قوالب اسم الفاعل، فى ضوء ارتباطها بعلاقات الإسناد مع غيرها، مما سبب تزاحمًا دلاليًّا، ساق أفق التلقى إلى التمركز حول المعانى، وليس إيقاعات الألفاظ، ولا جمالها الفنى.
- بدا المنهج التداولى منهجًا صارمًا فى تطبيقه على النصوص الإبداعية، مما يدفع إلى ضرورة التنبيه إلى خطورة المغالاة فى تطبيقه.

ثانيًا : التوصيات، لعل أهم ما يوصى الباحث ما يلى:

- دراسة المستوى التداولى عند أبى يعقوب السكاكى (٦٢٦هـ).
- تطبيق أبعاد النظرية التداولية على بعض النصوص العربية، للكشف عن الموائز(الميزات) التى يقدمها هذا المنهج، والتنبُّه إلى ما به من فجوات ونواقص.
- بحث العلاقة بين المبادئ التداولية وأنماط أخرى من المشتقات، نحو: اسم المفعول، أو الصفة المشبهة، أوالمصادر، وغير ذلك من المشتقات الصرفية.

- عقد دراسات وبحوث حول علاقة قوالب اسم الفاعل، والأنماط المختلفة للفعل الكلامى.
- صناعة دراسات وبحوث حول تطبيق مبادئ الطرح التداولى، فيما يخصُّ الاستعمال اللهجى لأطراف عملية التواصل فى البيئات اللغوية النوعية .
- إجراء مزيد من البحوث التطبيقية التى تسلِّط الضوء على أوجه القصور وفجوات التحليل فى المنهج التداولى.
- إنشاء بحوث مختصة حول ضوابط التشكيل والانتقاء، التى تدفع المؤلف إلى انتخاب بنية صرفية من دون أخرى، والتصرُّف فى عناصرها، إيرادًا على الأصل، أو العدول بالتصرف فيها؛ بالزيادة أو بالحذف، أوتحريكها بالتقديم أو التأخير، أو إيراد المتشابهات الصرفية.
- ضرورة الاحتراز من المغالاة فى تطبيق التداولية- بوصفها منهجًا موضوعا- على النصوص المقدسَّة، إذ إنه منهج به بعض الفجوات التحليلية، التى تفتقر إلى الإحاطة التامة بمختلف جوانب الفعل الكلامى، والموضوعية المطلقة.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية:

- آليات الحجاج فى مقدمة ابن خلدون، دراسة تداولية، شيماء عبد السلام أحمد محمود، مجلة علوم العربية، المجلد الثانى، يونيه /ديسمبر، جامعة بنى سويف، ٢٠٠٢م.
- الأحاديث القدسية، دراسة لغوية نصية، فى ضوء نحو النص، د: بخيت فوزى جاب الله، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة سوهاج،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- أسرار البلاغة، للشيخ الإمام: عبد القاهر الجرجانى، المتوفى عام ٤٧١هـ، تحقيق: د: محمد عبد المنعم خفاجى، (د.ط)، مكتبة الإيمان، المنصورة، (د.ت).
- الأشباه والنظائر فى النحو، للشيخ العلامة: جلال الدين السيوطى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
- الإجراء والتركيب في النحو العربي (كتاب سيبويه أنموذجًا)، د: يوسف أحمد جاد الرب محمد، ط١، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠١٨م.
- الإحكام فى أصول الأحكام، للعلامة: على بن محمد الآمدى، تحقيق: الشيخ عبد الرازق عفيفى، ط١، دار الصميعى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الإشاريات التداولية فى مقالات عبد العزيز البشرى، دراسة تحليلية فى كتاب المُختار، د: صلاح محمد أبو الحسن مكى، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع٢٥، يوليو، ٢٠٢٣م.

- الإشارايات التداولية والعناصر المسرحية فى مسرحية شمس النهار لتوفيق الحكيم، مصطفى طايع سيد طايع، مجلة علوم العربية ، م٢، ع٤، يونيه/ديسمير، جامعة بمى سويف، ٢٠٢٢م.
- الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، (من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة، إلى وضع القوانين الضابطة لها)، العياشى أدراوى، ط١، دار الأمان، من منشورات الاختلاف، الرباط، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- الاستلزام الحوارى فى رائية عمر بن أبى ربيعة (دراسة تداولية)، د: عبد الباقى على محمد يوسف، حولية كلية اللغة العربية، بإيتاى البارود، العدد الثانى والثلاثون، المجلد الثالث.
- الاستلزام الحوارى فى مسرحيات أحمد شوقى الشعرية، دراسة تداولية، ياسر فتحى محمد حمدى، رسالة ماجستير، نسخة PDF، جامعة كاستمونو، كلية الإلهيات، تركيا، ٢٠١٩م.
- الاستلزام الحوارى فى مسرحية مجنون ليلى، دراسة تداولية، إيهاب سيد إبراهيم إبراهيم، الكلية التركية للدراسات اللغوية والأدبية، نسخة pdf.
- اسم الفاعل فى الربع الثالث من القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية، خويلدى عائشة، وبوغفالة الزهرة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الأدب واللغات، جامعة قاصدى مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٩م/٢٠٢٠م.
- اسم الفاعل من الثلاثى المزيد فيه بأكثر من حرف والواقع نعتًا فى القرآن الكريم، دراسة صرفية دلالية، د:هبوا عبد الله كريم، وعبد الباسط عبد الخالق عبد الله، مجلة جامعة تكريت للعلوم،م: (١٩)،ع: (٥)، آيار ٢٠١٢م.
- اسم الفاعل واسم المفعول فى سورة الذاريات، دراسة صرفية دلالية، د: مطيعة بنت محمد بن شويط الحربى، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

- البداية فى علم الصرف، على النمر، دار الفوائد، دار ابن رجب، القاهرة، (د.ت).
- بلاغة الإقناع(دراسة نظرية وتطبيقية)،د: عبد العالى قادا، ط١، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، عمان.
- بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، الحسين بوهاشم، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، مارس٢٠١٤م.
- بلاغة الحجاج فى ثأر الله لعبد الرحمن الشرقاوى(قراءة فى الأبعاد والقيم الحجاجية)، د: سعيد فرغلى حامد، ضمن بحوث كتاب المؤتمر الدولى الثالث لكلية الآداب، جامعة أسيوط، الاتجاهات التراثية و المعاصرة فى العلوم الإنسانية، فى الفترة من:٥– ٧ أبريل ٢٠١٦م.
- البنيات الإيقاعية فى فواصل السور المكية، أثرها الصوتى، ودورها الفنى، د: أحمد عبد الله أحمد نصير، حولي كلية الآداب، جامعة بنى سويف، المجلد١٣، ج:٢، ٢٠٢٤م.
- بنية الإيقاع فى منسرحيَّات المُتَنَبِّى، قراءة تحليلية، د: أيمن عبد الحفيظ محمد عيَّاد، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، نسخةpdf.
- البيان والتبيين، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق: ناصر محمدى محمد جاد، ط١، دار القدس، القاهرة، ٢٠١٣م.
- تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال كتاب الكشاف للزمخشري، إعداد الطالب: خالد سوماني، كلية الآداب، جامعة مولود معمري، الجزائر، ٢٠١١م.
- تجليات التأثير والتأثر بين النص الأدبى وتعليم قواعد النحو العربى،د: صفاء جاهين أحمد دسوقى، ضمن بحوث كتاب المؤتمر الدولى الثالث لكلية الآداب، جامعة أسيوط، الاتجاهات التراثية و المعاصرة فى العلوم الإنسانية، فى الفترة من: ٥ – ٧ أبريل ٢٠١٦م.

- تحليل الخطاب، مبادؤه، تطبيقاته، نقده،د: صبرى إبراهيم السيد، ط١، مكتبة الآداب،٢٠٢٠م،القاهرة.
- التحليل اللغوى للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمه، ومهد له، وعلق عليه: د: سعيد حسن بحيرى، ط٤، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٩٩٧م.
- التحليل الفونولوجى والمورفولوجى لاسم الفاعل المشتق من الثلاثى فى القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجًا)، د: فرحة عبد الله بشر الشريدى، أبحاث المؤتمر الدولى الثانى، كلية الآداب، جامعة أسيوط، (حرية الفكر والإبداع، الأصول والضوابط) فى الفترة من ١٦– ١٨ مارس، ٢٠١٤م.
- التداولية، جورج يول، ترجمة: د: قُصى العتَّابى،ط١،الدار العربية للعلوم، ناشرون، دار الأمان،١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، د: مسعود صحراوى، ط١، دار الطليعة، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٥م.
- التداولية، مقاصد وآداب، د: صبرى إبراهيم السيد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
- التداولية (النشأة والتطور)، د: هديل حسن عباس حسن، جامعة بغداد ، كلية ابن رشد للعلوم الإنسانية ، العراق ، ٢٠١٨م.
- تساؤلات التداولية، وتحليل الخطاب، بحوث مختارة، ترجمة: د: حافظ إسماعيلى علوى، وآخرين، ط١، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، عمان.
- تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، د: صالح سليم الفاخرى، (د.ط) مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

- التغيير الدلالى لزمن الفعل فى الصيغ الخبرية البسيطة، دراسة تطبيقية فى النصوص السردية الحديثة، د: حمدى على عبد اللطيف، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، العدد:٤٦، يناير: (٢٠١٨م) الجزء الأول.
- التفكير التداولى فى كتاب الحروف، لأبى نصر الفارابى، الطالبة: بن شريط نصيرة؛ كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، رسالة دكتوراه غير منشورة، نسخة pdf الجزائر، ٢٠١٦م/٢٠١٧م.
- التنبيهات على أغاليط الرواة، لعلى بن حمزة، المتوفى ٣٧٥هـ، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، (د. ط)، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.
- تهافت الفلاسفة، للإمام أبى حامد الغزالى، (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق وتقديم، د: سليمان دُنيا، ط٩، دار المعارف المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الثنائيات الضدية وانفتاح المُتَخيَّل الروائى فى : (مدن بلا نخيل) و(بيت النخيل)، لطارق الطيب، د: محمد محمود حسين محمد، حولية كلية الآداب، جامعة بنى سويف، المجلد:١٢، ج: ٢، ٢٠٢٤م.
- جماليات التصريع فى القصائد الأندلسية، لأحمد شوقى، دراسة أسلوبية، على نكاع، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، المجلد٥، العدد ١٢، ديسمبر ٢٠١٧م ، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف.
- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمى، ضبط وتدقيق وتوثيق: د: يوسف الصميلى، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د.ت).
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، تأليف: عبد الله صولة، من منشورات كلية الآداب، جامعة منوية، ٢٠٠١م.

- حلية المحاضرة فى صناعة الشعر، لأبى على محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمى(٣٨٨هـ)، تحقيق،د: جعفر الكِتابى، دار الرشيد، سلسلة كتب التراث، (٨٢)، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٧٩م.
- الخصائص، ابن جنى، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، (د.ط)، المكتبة التوفيقية، (د.ت) الباب الأخضر، العراق.
- خمسة مداخل إلى النقد الأدبى، ويلبرس سكوت، ترجمة وتقديم وتعليق د: عناد عزوان إسماعيل، وجعفر صادق الخليلى، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- دراسات فى علم الصرف، د: عبد الله درويش، ط٣ ، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، العزيزية، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- الدراسة التداولية فى مادة الحوار فى كتاب العربية بين يديك محمد بن ستيا، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، جاكرتا، ٢٠٢١م/١٤٤٢هـ، نسخة : pdf.
- دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجانى، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى، ومطبعة المدنى، القاهرة،(د.ت).
- دلالات العدول الصرفى فى القرآن الكريم، عبد الناصر مشرى، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب واللغات، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية: ٢٠١٣م/٢٠١٤م ، نسخة pdf.
- الدلالة الصرفية لاسم الفاعل واسم المفعول، د: حسام عبد على الجمل، جامعة بابل، كلية التربية الأساسية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد: الثالث والخمسون، ٢٠٠٨م
- دلالة الكلمة العربية بين الاستاتيكية والديناميكية، د: وفاء حسن على زيادة، نسخة pdf.

- الدلالة اللغوية، عمر شاع الدين، مجلة الدراسات اللغوية،م(٢) العدد(٣)، رجب/رمضان ١٤٣١هـ/أكتوبر/ديسمبر، ٢٠٠٠م.
- الدليل اللغوى وعلاقة اللفظ بالمعنى عند فخرالدين الرازى، نوار عبيدى، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، كلية الآداب واللغات، المركز الجامعى، الطارف، الجزائر، جوان،٢٠١٠م، نسخة pdf.
- ديوان أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى، بشرح أبى البقاء العكبرى، المسمى: التبيان فى شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وآخرين، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د. ت).
- ديوان أبى الطَّيِّب المُتَنَبِّى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، احتفالًا بالعيد الألفى للشاعر، صحَّحها وقارن نسخها، د: عبد الوهاب عزام، (د. ط)، (د.ت)، نسخةpdf، وهى تبدأ بمقدمة رموزها متعددة، تبدأ برقم(١)، تنتهى بحرف (م)، وعددها على نسخة pdf أربعون صفحة.
- شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، ابن مالك،(ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحى السيد، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد على بيضون، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- شرح شافية ابن الحاجب الشيخ: رضى الدين محمد بن الحسن الإستراباذى، مع شرح شواهده، للعالم عبد القادر البغدادى، المتوفى عام ١٠٩٣هـ، حققها، وضبط غريبها، وشرح مبهمها، الأستاذ: محمد نور الحسن،وآخرين، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- شذا العَرف فى فن الصرف، الشيخ: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوى،(ت١٣١٥هـ)، قدم له وعلَّق عليه، د:محمد بن عبد المعطى، خرَّج شواهده ووضع فهارسه، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع؛ (د.ط)، (د.ت).

- شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصارى، وبهامشه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، محمد محى الدين عبد الحميد، (د .ط)، دار الطلائع، ومكتبة الساعى، القاهرة، ٢٠٠٤م
- الصبح المُنبى عن حيثية المُتَنَبِّى، للشيخ يوسف البديعى، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد شتا و عبده زيادة عبده، ط٣، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب(٣٦)، القاهرة، ١٩٩٤م
- الصرف التعليمي، د: محمود ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٢م.
- الصرف العربي، أحكام ومعان، د: محمد فاضل السامرائي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠١٣م.
- الصيغ الصرفية فى سورة نوح (دراسة دلالية)، د: سلوان على حسين الحديثى، قسم اللغة العربية، كلية الإمام الأعظم الجامعة(نسخةpdf).
- ظاهرة الاستلزام التخاطبى فى التراث اللسانى العربى، أ: كادة ليلى، نسخة pdf.
- ظواهر نحوية برؤية تداولية د: خلود بنت عبد الله إبراهيم النازل، مجلة علوم العربية، المجلد الثالث، العدد الخامس، يناير – يونيه، ٢٠٢٣م
- العدول الصرفى ودلالته فى باب اسم الفاعل، د: عامر صلاح محمد، مجلة اللغة العربية والعلوم الإنسانية، العدد(٢)- يوليو ٢٠٢٢م.
- علم الصرف بين النظرية والتطبيق، د:مجدى إبراهيم محمد، ط١، دار الوفاء،الإسكندرية، ٢٠١١م.
- علم الدلالة ، د: أحمد مختار عمر، ط٤، عالم الكتاب ، القاهرة، ١٩٩٣م.
- علم لغة النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تأليف: تون .أ.فان دايك، ترجمة: سعيد حسن بحيرى، ط٢، دار القاهرة، مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- علم اللغة والدراسات الأدبية، (دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصى) براند شبلنر، ترجمة: د، محمود جاد الرب، ط١، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.
- العمدة، فى محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى الأزدى، حققه، وفصَّله، وعلَّق حواشيه: محمد محى الدين عبد الحميد، ط١، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- فاعلية الصوت فى إنتاج الدلالة، د: عمران رشيد، كلية الآداب واللغات، جامعة تبسة، نسخة pdf.
- فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، د: عبد الله حامد حمد، مجلة عالم الفكر، م ٢٨، ع ٣، يناير– مارس ٢٠٠٠ م، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى، د: شوقى ضيف، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د: طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافى العربى،٢٠٠٠م، الدار البيضاء، المغرب.
- فى مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبى، أنمار إبراهيم أحمد، (البحث مستل من رسالة دكتوراة) مجلة ديالى، العدد الحادى والسبعون، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠١٦م.
- فى نقد الشعر القديم، د: زكريا سعيد على، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.
- القارئ فى النص، نظرية التأثير والاتصال، د :نبيلة إبراهيم ، م فصول ، م١٠ ، ع٢.

- الكتاب، لسيبويه، (ت ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجى، القاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوى، تحقيق: جماعة من العلماء، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.
- الكشف عن مساوئ شعر المتنى، للصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عبَّاد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط١، مكتبة النهضة، ومطبعة المعارف، بغداد١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- الكُنَّا ش فى النحو والصرف، للملك المؤيد، عماد الدين إسماعيل بن على(ت ٧٣٢هـ)، تحقيق: د/ على الكبيسى، ود: صبى إبراهيم، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر، الدوحة، قطر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، (د.ط) دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- اللسان والميزان، أو التكوثر العقلى، د: طه عبد الرحمن، ط١، ١٩٩٨م، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان.
- اللغة العربية معناها ومبناها، حسان، تمام، ط٦، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- اللغة المعيارية واللغة الشعرية، موكاروفسكى. مجلة فصول، م١٠، ع٢.
- مآخذ البلاغيين على المُتَنَبِّى، د: إبراهيم عبد الفتاح رمضان، كلية الآداب، جامعة المنوفية، نسخةpdf: ٤٦ www.researchgate.net.
- محاضرات في مقياس التداولية، الأستاذ: بومنقاش الرحماني، الموسم الجامعي٢٠١٦م/ ٢٠١٧م، جامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢، كلية الآداب ، الجزائر : نسخة pdf.

- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق، على النجدى ناصف، والدكتور:عبد الفتاح إسماعيل شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دبوجراند، وولفجانج دريسلر، ترجمة: د، إلهام أبو غزالة، وعلى خليل حمد،ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
- المزهر فى علوم العربية، للسيوطى، شرحه، وضبطه، صححه، وعنون موضوعاته، وعلَّق حواشيه: محمد جاد المولى بك، وعلى محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الحرم للتراث، القاهرة، (د.ت)
- مسألة اللفظ والمعني عند الزمخشري،د: حمدي علي بدوي،مجلة كلية الآداب،جامعة سوهاج، ع٤٤،٢٠١٧م.
- معاني القرآن، للفراء، (ت ٢٠٧هـ)، ط ٣، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ//١٩٨٣م.
- المغنى الجديد فى علم الصرف، د: محمد خير حلوانى، دار الشرق العربى، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصارى، وبهامشه: مختصر شرح شواهد العينى، للعلامة السيوطى، تدقيق الدكتور: صالح عبد العظيم الشاعر، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- مفتاح العلوم، للسكاكى، (ت٦٢٦هـ)، ضبطه، وكتب هوامشه، و علَّق عليه: نعيم زرزور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م
- مفهوم الأنا عند المتنبي، د: محمود إبراهيم أحمد بدري، من أبحاث المؤتمر الدولي الرابع للسرديات (السرد والشعر)، مايو: ٢٠١١م، السويس، نشر ٢٠١٢م.

- مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره فى البلاغة المعاصرة، د: محمد سالم ولد محمد الأمين، م عالم الفكر، م ٢٨، ع ٣ يناير/مارس، ٢٠٠٠م، المجلس الوطنى للثقافة والفنون و الآداب، الكويت.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق، د: على عبد الواحد وافى، ط بولاق، ١٢٨٤هـ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
- مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس على،ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، مكتبة نرجس، نسخة PDF، ليبيا، ٢٠٠٤م.
- انظر: ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمة، ط٢٤، المكتب العلمى للتأليف والترجمة، الجزء الثانى، قواعد الصرف،(د.ت).
- من مظاهر الحداثة فى الأدب(الغموض فى الشعر)، محمد الهادى الطرابلسى، مجلة فصول، (الحداثة فى اللغة والأدب) الجزء الثانى، م٤، ع٤، يوليو/أغسطس/سبتمبر،١٩٨٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
- الموافقات فى أصول الشريعة، لأبى إسحاق الشاطبى(ت٧٩٠هـ)، الشيخ عبد الله دراز، (د . ط)، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٦م.
- النحو بين عبد القاهر و تشومسكى، مجلة فصول ، م١٠، ع٢.
- نحو اللغة العربية الوظيفى فى مقاربة أحمد المتوكِّل(الاستلزام التخاطبى أنموذجًا)، محمد يزيد سالم، مجلة حوليات جامعة بشار فى الآداب واللغات، ع(٢٠) جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٧م.
- نحو النص بين النظرية والتطبيق، د: يوسف محمد جاد الرب، ط١، مطبعة الجامعة، أسيوط،١٤٣١هـ \ ٢٠١٠م.
- النحو الوافي، الأستاذ: عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر،١٩٧٣م.

- النص الأدبى وقضاياه عند ميشال ريفاتار،د: محمد الهادى الطرابلسى، مجلة فصول، م١٠، ع٢.
- النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د: محمود عكاشة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣م.
- نظرية التلويح الحوارى (بين علم اللغة الحديث، والمباحث اللغوية فى التراث العربى والإسلامى)، د: هشام لعبد الله الخليفة، ط١، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة، مصر، ٢٠١٣م.
- نظرية اللغة الأدبية، تأليف: خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، ترجمة: حامد أبو الحمد، ط١، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢م.
- نظرية القوالب من نظريات علم اللغة الحديث، د: حازم على كمال الدين، (د.ط)، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).
- هذا العدد، كلمة هيئة التحرير، مجلة فصول، الحداثة فى اللغة و الأدب، الجزء الثانى، المجلد الرابع، العدد الرابع، يوليو/أغسطس/سبتمبر، ١٩٨٤م.
- الوافى فى قواعد الصرف العربى، يوسف عطا الطريفى، الطبعة العربية الأولى، دار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ٢٠١٠م.
- الوساطة بين المُتَنَبِّى وخصومه، للقاضى على بن عبد العزيز الجُرجانى، تحقيق و شرح: محمد أبو الفضل إبراهيم و على محمد البجاوى، طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، (د.ت).

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

C. Perleman , L. T. Olbrechts, Traite de L'argumentaion; La nouvelle. Rhetorique. edition de L'universite de Bruxelles, 2000.

Types of Morphological Derivatives in Abu-Altayeb Al-Motanabbi's Poetry: A Distinction between the Broadness of Semantics and Limitations of Pragmatics. (Applied Research in Selected Models of the Participial)

Abstract:

This study reinvestigates the poetry of Abu-Altayeb Al-Motanabbi (D 354 AH), in the light of the dimensions of the theory of Pragmatics and its five properties. The study is based on analyzing some selected models of the morphological derivatives of Participial according to the pragmatic determinants and its multiple rules.

This is to monitor the qualitative indications of such use of Morphological models; as an element of the overall connotation of the speech act, between the broadness of semantics and the limitations of pragmatics.

The current study has revealed pragmatic violations in the poetry of Abu-Altayeb Al-Motanabbi of the, particularly in his use of the participial's model. Such violations include the forms of the three-letter and other forms of the verb, which reduced the degree of pragmatics, and contributed to the low degree of media efficiency in the process of effective communication between the author and the recipient.

Keywords: E Al-Motanabbi, the Participial, the broadness of semantics, the limitations of pragmatics